الموازين

أو

أضواء على الطريق

الموازين أو أضواء على الطريق
المؤلف: محمد فتح الله كولن

ترجمة
أورخان محمد علي

المؤلف: محمد فتح الله كولن

المَوَازِين

أَوْ

أَضْوَاءٌ عَلَى الطَّرِيق

ترجمة كتاب
Ölçü veya Yoldaki Işıklar
عن التركية

دار النيل للطباعة والنشر

الطبعة الثالثة

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

DARALNİLE
Emniyet Mah. Huzur Sok. No: ٥
٣٤٦٧٦ Üsküdar – İstanbul / Türkiye
Tel: +٩٠ ٢١٦ ٣١٨٦٠١١ Faks: +٩٠ ٢١٦ ٣١٨٥٣١٤

Baskı yeri:
Cağlayan A.Ş.: Sarnıç yolu No: ٧ Gaziemir - İzmir
Tel: +٩٠ ٢٣٢ ٢٥٢٢٠٩٧/٩٨

مركز التوزيع / فرع القاهرة

العنوان: ٧ ش البرامكة – الحي السابع – م. نصر – القاهرة

تليفون وفاكس: ٢٠٢٢٦١٩٢٠٤+

المحمول: ٠٠٢٠١٢٣٧٨٥١٩٢

جمهورية مصر العربية

البريد الألكتروني

www.daralnile.com

الموازين

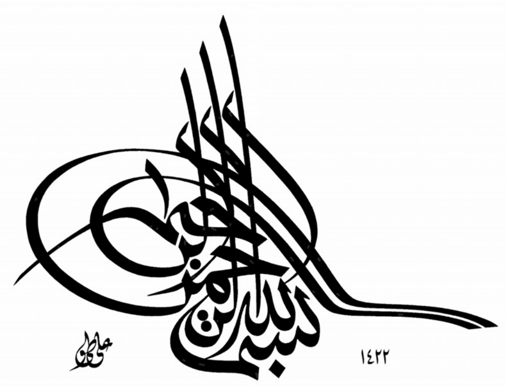
أو

أضواء على الطريق

محمد فتح الله كولن

المترجم

اورخان محمد علي


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٢

مقدمة المترجم

في عصرنا الحالي... عصر الاتصالات السهلة والشاملة لا يزال المسلمون يجهل بعضهم بعضا. وفي دوامة هذا الغزو الثقافي المنصب على رؤوسهم ليل نهار منذ قرن تقريبا والمتوج أخيرا بنداءات العولمة، فقد تم غسل عقول المسلمين تماما أو كاد بالثقافة الغربية.

لم نعد نعرف سوى كتّابهم ومفكريهم..

ولم نعرف سوى علمائهم... وأبطالهم... ونجوم السينما عندهم.

هل يعرف أطفالنا صورة للبطولة غير الصور المحفورة في أذهانهم عن سوبرمان وعن رجل العنكبوت؟ والحقيقة أنه لا نجاة لنا إلا بعد تحطيم هذه الأسوار الثقافية العالية التي بنوها حول عقولنا. فمثل هذا الاستعمار الفكري والثقافي أخطر من الاستعمار العسكري.

من وسائل التحرر من ربقة هذا الاستعمار الفكري قيامنا بتعريف كتّابنا ومفكرينا. لقد قام الماركسيون في البلدان العربية بترجمة جميع أشعار الشاعر التركي الماركسي ناظم حكمت إلى اللغة العربية وكتبوا عن حياته وعن أدبه وشعره عدة كتب. ولكن لا يعرف أحد في بلادنا شيئا عن الشاعر التركي محمد عاكف والشاعر والمفكر المسرحي التركي نجيب فاضل، ولا عن الشاعر المتصوف جلال الدين الرومي أو يونس أمره.

نحن نعرف عن الشاعر الهندي طاغور أكثر مما نعرف عن المفكر والشاعر محمد إقبال. نحن لا ندعو بالطبع إلى قيود ثقافية أو عزلة فكرية عما يجري في العالم من تيارات فكرية وأدبية وثقافية وفلسفية، ولا ندعو إلى قطع صلتنا مع العالم الخارجي والتقوقع على الذات، ولكننا نريد هنا التأكيد على أمر

هام وهو عدم إهمال تقديم من يمثل فكر وروح هذه الأمة. وهذا أمر ضروري لكي تستقيم شخصيتنا وتستقل أفكارنا فلا نذوب في أفكار الآخرين، ولا ننقلع من جذورنا.

وتعريف كتابنا ومفكرينا وذلك بترجمة كتبهم ونقل أفكارهم خطوة مهمة من خطوات التحرر من الأسر الثقافي وعامل توازن. وهذا ما نحاول القيام به منذ سنوات، وما قمنا به الآن من ترجمة هذا الكتاب لمؤلفه الأستاذ الشيخ محمد فتح الله كولن الذي جمع في نفسه شخصية العالم والمفكر والشاعر الفنان.

هذا الكتاب عبارة عن نظرات في مختلف شؤون الفكر والحياة والمجتمع.

يقترب فيه المؤلف من هذه الشؤون مرة بنظر العالم... ومرة بنظر المفكر... ومرة بروح الشاعر... ولكنه لا ينسى في أي مرة من هذه المرات أن أبرز صفة عنده هو أنه داعية يدعو إلى الله تعالى على بصيرة... العقل عنده شيء ضروري، ولكنه لا يكفي... فهناك البصيرة النفاذة أيضا... وهي تخطو أبعد من العقل... والعلم ضروري، ولكن الحكمة أرحب وأوسع.

لا نريد أن نطيل على القارئ..

بل ندعه ليتأمل في هذه النظرات... ويعيش في جوها.

اورخان محمد علي

اسطنبول

في أهبة الرحيل إلى البعيد

أيها الكبير المتعال!

لقد فتحنا أعيننا على المشاهد والمعارض الساحرة التي نثرتها على طريقنا ودعوتنا لمشاهدتها... مشاهدة آثار صنعتك الخارقة والرائعة والأبدية التي هي بعض التجليات الخفية لجمالك. وذلك ضمن كرنفال من ألـــوان وصـــور ولوحات في الطبيعة تذهل العقول وتأخذ بالألباب بجمالها وتناســقها.. ثم مشاهدة التناسق والتناسب الموجود بين الأشياء وبين الحوادث.

في فرصة رؤيتك من خلال كتابك الكريم نحس وكأننا نملك أجنحة ونطير إليك بأرواحنا، وفي ضوء أسمائك الحسنى التي نطل من منافذها ونرى النظـــام والتناسق في الكون ونسمع النغمات الحلوة المتناسقة التي تشكل "كورســـاً" و"سمفونيات" تصدح في أرجاء الكون... عند ذلك تثمل أرواحنا وتغيب عن الوجود في ظلال أسرار العالم العلوي الذي هو منبع كل صور الجمال.

من خلال المنافذ التي انفتحت في قلوبنا، وأمام عيون إيماننا بدأنا نطـــل على العالم البعيد... عالم فيما وراء هذا العالم. وتجرأنا لمشاهدة شجرة طوبى في الجنة لأن بذرتها موجودة في قلوبنا... وطمحنا في الـــسفر إلى مـــا وراء الأفق... بل إلى ما وراء الوراء... سفر طويل مرهق ولكنـــه لذيـــذ... في سفرنا ورحيلنا هذا جعلنا بيان كتابك دليلاً ومرشداً لروحنـــا، وأسمـــاءَك الحسنى وصفاتك هادية لنا.

شرحت لنا في كتابك الكريم العالم الآخر حتى أدق تفاصيله ورسمت لنا

لوحات رائعة عنه، وعندما أنعمت على عبد محظوظ من عبادك بنعمة المعراج، انفتحت أبواب أسرار هذا العالم على مصاريعها. وأصبح بإمكان قلوب العارفين الارتفاع إلى ذلك العالم في سياحة مباركة... فإن لمست أصابعنا مطرقة أبواب الأسرار، وتجرأنا على ذلك على الرغم من عدم نضوج روحنا فنحن نطلب العفو والصفح.

يا خالقنا العظيم! الجميل فوق كل جمال... أنت الذي أوصلتنا إلى شاطئ الوجود، وأذقت قلوبنا اللذة اللانهائية للوجود... أنت من بسط الكون الواسع الرحب أمام أنظارنا مثل كتاب... وأنت من هز قلوبنا بأسرار الوجود... أنت من جعلت قلوبنا شاطئاً تضربه أمواج الأسرار اللاهوتية... لو لم توجدنا لكنا عدماً... لو لم تجعل هذا الكون صحيفة مفتوحة، ولو لم ترسل لنا الأدلاء والمرشدين العظام لِيُعَرِّفُونَا بك ويصِفوك لنا لما عرفناك، ولقضينا حياتنا جهلة وميتي القلب... لو لم تهبنا نعمة تعريفنا بك، كيف كنا نستطيع أن نصل إلى إدراك الذات الإلهية أو الوصول إلى سر العلاقات بين العالم الخارجي وبين قلوبنا؟ وكيف كنا ندرك العلم الحقيقي والمعرفة الحقيقية لو لم تنقش العلم الأولي في قلوب فطرتنا؟ كيف كنا نعرفك، وكيف كنا نصل إلى التوله بك والشوق إليك؟

نحن العبيد أمام عتبة بابك... الومضات الموجودة في قلوبنا من ضياء نور وجودك... بكل ما نملكه من نعم نعمةٌ منك وعطيةٌ منك نعلن هذا مرة أخرى، ونعترف بأننا عبيد فضلك وكرمك ونجدد عهدنا معك.

لقد أردنا يا سلطان القلوب الذي لا تطمئن القلوب إلاّ بذكره أن ننقل إلى القلوب الميتة -الشبيهة بقلوبنا- حقائق ما علَّمتنا وما أوصلت إلى أرواحنا من أمور... دخلنا إلى معترك الحوادث، ورجعنا إلى أنفسنا لنرسم إطاراً عاماً لسير الخطى، ومن النوافذ المطلة على وجودك حاولنا البحث عن الطرق الموصلة إليك. وعندما حاولنا أن نوصل سعادة ذلك اليوم -الذي

سنراك فيه دون حجاب ولا ستر- إلى القلوب الفجة التي لم تـــرتبط كمـــا يجب بالحقائق السامية التي لا يستطيع التعبير عنها سوى أجمـــل العبـــارات وأنقاها وأصفاها... كنا نريد إيصال هذه الحقائق إلى القلوب التي تعلقـــت بالقشور وتهافتت على الجمال الظاهري لهذا العالم فجفت أرواحهـــا. مـــن أجل هذا قمنا بضرب الأمثال الواقعية للحقائق القدسية المجردة. ولكن ربمـــا عجزنا عن تقديم الحقائق بكل صفائها ونقائها وأخطأنا، وربمـــا اختلطـــت أهواؤنا بمحاولتنا هذه دون أن ندري.

إن كنا قد أخطأنا وتعثرنا، فقد تعثرنا ونحن نسير نحوك ونحاول أن نرشد الآخرين إليك، وإن شاب القصور عملنا، فقد شابه ونحن في الطريق المؤدي إليك. ولكن الخطأ هو الخطأ، والقصور هو القصور على الـــدوام... نحـــن الذين على جباههم علامات العبودية لك ننتظر بقلوبنا المكلومة وأرواحنـــا الخاشعة حكمك، ونرضى به كل الرضا. وعندما نقول هذا نـــؤمن بـــأن رحمتك الواسعة واللانهائية قد سبقت غضبك. وندري أنّ الخطأ والقـــصور يليق بنا نحن عبيدك، ولكننا نعلم علم اليقين بأن العفو والمغفرة تليق بك.

أجل! "السلطنة تليق بالسلطان، والتسول يليق بالمتسول".

فإن سامحتنا فإننا سنحتفظ بحقائق السياحة للعالم الآخـــر في صـــدورنا، ونرجع لنتفحص ولنتأمل صفحات كتاب الكون الـــذي أنـــت صـــاحبه، ونستمع وننصت إلى المرشدين والأدلاء إليك ونستمع إلى ترانيم هذا الكون الذي يسبح لك. فاشرح صدور من يريد الإقبال عليك يا رب الـــسموات والأرض.

الغاية المتوخاة من العلم

بما أن الحياة الحقيقية بالنسبة للإنسان تكون قائمة بالعلم وبالعرفان. لذا فالذين يهملون التعلم والتعليم يعدون أمواتاً وإن كانوا على قيد الحياة. ذلك لأن الغاية من خلق الإنسان هي النظر والتأمل وتحصيل المعرفة ونقل ما تعلمه إلى الآخرين.

* * *

إن صحة القرارات والتدابير التي يتخذها أي فرد تتناسب مع ما يملكه من عقل ومنطق. أما العقل والمنطق فيتنوران بالعلم والمعرفة ويترقيان بنسبة درجتهما نحو الكمال. لذا فمتى ما خلا موضع من العلم والمعرفة ترى العقل عاطلاً والمنطق خادعاً والقرارات خاطئة.

* * *

لا تظهر إنسانية الإنسان واضحةً إلا عند محاولته التعلم ثم تعليم غيره وتنويره. والذي لا يحاول التعلم –مع كل جهله– ولا يفكر بذلك ولا يجدد نفسه بما تعلمه ولا يكون قدوة لغيره هو إنسان بالصورة فقط وليس بالسريرة.

* * *

أما الأمور التي يجب تعلمها ثم تعليمها للآخرين فيجب أن تكون متعلقة بكشف ماهية الإنسان وأسرار الكون. وكل علم لا يكشف أسرار النفس الإنسانية ولا ينير النقاط المظلمة في الوجود ولا يحل العقد المستعصية لا يعد علماً.

* * *

إن المنصب والمقام الذي يُستحصل بالعلم والمعرفة أسمى وأدوم من المناصب والمقامات المستحصلة بالطرق الأخرى. ذلك لأن العلم يُبعد صاحبه في الدنيا عن السوء ويجعله من أرباب الفضائل. كما يجعله من أصحاب السعادة في الدار الآخرة بما يحصل عليه من منصب ومرتبة لم يكن يتخيلهما.

* * *

على كل أب وأم ملء رؤوس أطفالهما بالعلم والمعرفة من قبل أن يتم ملء هذه الرؤوس بما لا ينفع، لأن القلوب الخالية من الحقيقة، والأرواح الخالية من المعرفة بمثابة مزارع صالحة لإنبات كل الأفكار الضارة ولنمائها. ويكون الحصاد من نوع البذور التي بُذرت فيها.

* * *

إن الغاية من تعلم العلم هو اتخاذ المعرفة مرشداً وهادياً للإنسان ولتنوير الطرق التي ترقى بالإنسان نحو الكمالات الإنسانية. لذا فالعلوم التي لا تتناول الجانب الروحي للإنسان تكون عبئاً على صاحبها. وكل معرفة لا توجه الإنسان إلى الأهداف السامية ليست إلاّ عبئا للقلب والفكر لا فائدة منها.

العلم هو أن تعرف
أن تعرف نفسك
فان لم تعرفها
فالعفاء على ما قرأت

(الشاعر يونس أمره)

يُعد العلم الذي وضحت غايته وهدفه وسيلة بركة دائمية لصاحبه، وكنزا لا يفنى. والذين يملكون مثل هذا الكنز يكونون بمثابة نبع ماء

سائغ شرابه يرده الناس طوال حياتهم وبعدها، ويكونون وسيلة خير. أما الفرضيات الجوفاء التي تلقي الشكوك والريب في القلوب، وتعتم الأرواح والتي لا تملك أهدافا واضحة فهي كومة من المزابل التي تطير حولها الأرواح الكدرة واليائسة، وتكون فخا ومصيدة للأرواح.

إن العلم والصناعة تحتويان فروعا عديدة، وكل فرع له فوائده للجميع. ولكن بما أن عمر الإنسان قصير وقابلياته محدودة، فلا يستطيع استيعاب جميع هذه العلوم. لذا كان على كل فرد أن يتعلم ما يفيد نفسه وأمته، ولا يضيع عمره سدى في أمور لا ضرورة ولا حاجة لها.

ورجل العلم الحق هو الذي يعمل ويجري بحوثه في ظل أصدق البيانات والمعلومات وينظمها في ظل التجارب العلمية وعلى هداها. لذا يكون باله مطمئنا على الدوام .

أما بعض النفوس المسكينة المحرومة من معرفة الحقيقة فتظل تغير طريقها واتجاهها، وتقضي عمرها في إطلاق الحسرات والأنين، لأنها لا تستطيع التخلص من أوهامها المريضة.

* * *

إن قدر كل شخص وقيمته مرتبطة بمضمون وغنى العلم الذي حصله. والذي يستغل علمه في مجال الشائعات تكون قيمته بقيمة تلك الشائعات. أما الذي يستغل علمه ويستعمله كمنشور في تحليل الحوادث والأشياء، ويوجه علمه لإضاءة المناطق المظلمة والطيران وإنارتها بعلمه ومعرفته للوصول إلى الحقائق الموجودة فيما وراء الطبيعة، فقدره وقيمته بقيمة علو طيرانه.

حفظ السر

السر كالعرض، فمن صان سراً -سواءً أكان له أم لغيره- فكأنه صان عرضه. ومن باح به فكأنه خان شرفه وكرامته ولم يراع حرمة ذلك السر حق الرعاية.

* * *

يجب أن يكون الشخص الذي يودع أي إنسان سره لديه أميناً أمانة من لا يتردد في إيداع عرضه عنده، وأن يكون واثقاً أنه سيبدي نفس حرصه هو في صيانة عرضه. فكما لا يجوز إيداع أمانة لدى شخص غير أمين كذلك لا يجوز إيداع السر لدى من لا يعد السر عرضه وشرفه.

* * *

صيانة السر واحترام أسرار الآخرين ميزة إنسانية مرتبطة بالإرادة والإدراك. فالذين يفتقرون إلى الإرادة لا يستطيعون حفظ السر، كما أن السذج والبسطاء الذين لا يدركون عواقب ما يعملون أو ما يقولون لا يمكن أن يكونوا كتومين.

* * *

الذي يودع سره إلى شخص سبق وأن أفشى سره عدة مرات يبرهن على مدى عجزه في اختيار من يودع إليه السر، ويدل كذلك على ضعف إدراكه. أما الذي نضج قلبه بالإيمان، وإنفتحت بصيرته فلا يمكن خداعه ولا استغفاله مثل هذا الاستغفال.

* * *

لا شك أن على الشخص أن يقدم البيانات والتوضيحات المناسبة متى ما

كانت هناك ضرورة لذلك. ولكن عليه أن يحذر من فتح قلبه وإفشاء أسراره دون أي داعٍ. وليعلم وليتذكر بأن الذين يفتحون قلوبهم ويفشون أسرارهم هنا وهناك دون أي موجب سيضرون بأنفسهم وبمجتمعهم ضرراً بليغاً وقد يدفعون به إلى التهلكة.

* * *

على الإنسان أن يحذر من إفشاء أسراره هنا وهناك حذراً شديداً.. ولاسيما إن كانت هذه الأسرار أُموراً قبيحة ولا تؤدي إلى أي نتيجة مفيدة. فهذا سيخجل أصدقاءه ويفرح أعداءه في أكثر الأحيان، ويؤدي إلى أمور لا تحمد عقباها.

* * *

لقد خلقت الصدور كي تكون صندوقاً للأسرار، والعقل قفلها، والإرادة مفتاحها. فإن لم يكن في القفل وفي المفتاح أي ضرر أو عطل لما كان بإمكان أحد الاطلاع على الجواهر الموجودة في هذا الصندوق.

* * *

بما أن الشخص الذي يفشي لك أسرار الآخرين سيفشي سرك أيضاً للآخرين، إذن يجب ألاّ تعطي فرصة الاطلاع على أي أمر من أمورك مهما كانت ضئيلة الأهمية لمثل هؤلاء الأشخاص غير المتوازنين.

* * *

هناك سر يتعلق بالفرد، وسر يتعلق بالأسرة، وسر يتعلق بالمجتمع وبالأمة أجمعها... فعند إفشاء سر فرد تتعرض كرامة الفرد للانتقاص. وعند إفشاء سر العائلة تتعرض كرامة العائلة للانتقاص. وعند إفشاء سر مجتمع تتعرض كرامة المجتمع والأمة للانتقاص. لأن السر يشكل قوة لصاحبه ما بقي في الصدر، ولكنه ينقلب إلى سلاح يستعمل ضده إن انتقل إلى أيدي الآخرين. لذا قال أجدادنا: "سرك أسيرك، فإن أفشيته كنتَ أسيره".

* * *

وكمبدإ، كم من أمور مهمة كان من المفروض أن يحتفظ القائمون بها سراً، إلاّ أنهم عجزوا عن ذلك فلم يستطيعوا من ثم تسجيل خطوة واحدة إلى الأمام. بل إن عدم احتفاظهم بالسر أدى في بعض الأحيان إلى وقوعهم في مخاطر جدية. ويكتسب هذا الأمر أهمية استثنائية إن كان متعلقاً بحياة الأمة وبقائها.

* * *

على الإنسان أن يحذر من إيداع أسراره لشخص أحمق. فعلاوة على احتمال سوء النية عنده فقد يفشي أسرارك وهو يظن أنه يسدي إليك معروفا.

الحيطة

اتخاذ الحيطة تصرف مهم يحول دون الوقوع في الخسارة في أي أمر أو في أي فعالية من دون مواجهة المصائب ثم إطلاق الحسرات. فما أكثر المحاولين الذين لم يراعوا الأسباب حق الرعاية وكانت النتيجة الحتمية أنهم لم يجدوا أمامهم إلاّ إطلاق الزفرات أو ندب حظهم ولوم القدر. فهم يقصرون في رعاية الأسباب في البداية، ثم يقعون في الخطأ عندما ينتقدون القدر.

* * *

تتناسب أهمية الحيطة ومراعاة اتخاذ التدابير اللازمة مع أهمية الهدف الذي تستهدفه أي محاولة أو نشاط. لذا فإن لم يقم أي شخص بتنظيم أعماله والأخذ بنظر الاعتبار الأرباح والخسائر المحتملة للمسؤولية التي أخذها على عاتقه، ونسبة أهمية ومقدار هذه المسؤولية فهو إما شخص غير جدي في أعماله هذه، بل شخص مغامر، أو هو شخص ساذج وأحمق. وقيام هؤلاء الحمقى بمثل هذه المحاولات أسوأ من الجمود وعدم الحركة.

* * *

إن اتخاذ الحيطة والتدابير اللازمة رأسمال كبير للإنسان الذي يأمل الوصول إلى مبتغاه. وإبداء أي تراخ أو إهمال خطأ كبير، إذ سيؤدي في النتيجة إلى تبادل الاتهامات، والإنسان العاقل هو الشخص الذي يجد الحلول اللازمة للأضرار المتوقعة ويتلافاها قبل ظهورها. أجل فكما قال أجدادنا: "عليك أن تمسك بتلابيب النشال قبل أن ينشلك".

* * *

على كل إنسان أن يتناول كل عمل ضمن خطة مسبقة وتدبير، وعليه تجنب كل شيء لا يؤدي في النتيجة إلى فائدة مادية وفضيلة معنوية تجنباً قطعياً. فكل محاولة لم يؤخذ لها مثل هذا التدبير منذ البداية تعد عبثاً. والاشتغال بالعبث يدل على نقصان عقل ذلك الشخص وطفولة عقليته.

* * *

إن أي شخص يستطيع أن يظهر قدره وقيمته ويبرهن عليها عندما ينجح في اجتياز الامتحانات الصعبة والظروف غير المواتية. ونجاح الدعوة في ظل هذه الشروط يستند قبل كل شيء إلى خطة محكمة والتصرف والحركة ضمن هذه الخطة. وعلى هذا فقدر أي شخص وقيمته تتناسب مع مقدار نجاحه، ويتناسب نجاحه مع صحة القرارات التي اتخذها قبل البدء في مشروعه وعمله تناسباً طردياً.

* * *

كما أن اتخاذ الحيطة لا يعني الخوف والتراجع إلى الوراء لأنهما شيئان مختلفان تماماً، كذلك فإن التصرفات البعيدة عن الحيطة وعن اتخاذ التدابير اللازمة لا علاقة لها بالشجاعة والبسالة.

صحيح أن الإفراط في الشق الأول قد يؤدي إلى بعض الأضرار والخسائر ولكنها أضرار يمكن تلافيها. أما الذين يعدون عدم أخذ الحيطة شجاعة

وتكون تصرفاتهم متسمة بالدونكيشوتية فإن أسلوبهم هذا يكـــون خطـــراً وضاراً على الدوام.

* * *

وككل خصلة رديئة فإن الخروج لاصطياد الجماهير تحت عناوين تحبـــها هذه الجماهير هو مما ورثناه عن الغرب. ويرى الذين يتبنون هـــذه الفكـــرة اللقيطة أن من الطبيعي إحداث ضوضاء في كل حركة كالـــضوضاء الـــتي تطلقها الدجاجة وهي تضع بيضة واحدة، بينما نرى نحن أن كـــل نـــشاط يجب أن يجري في سكون وصبر يحاكي سكون وصبر المرجان الذي يتكـــاثر بهدوء ودون ضوضاء في أكثر الأماكن هدوءاً وبعداً عن الأنظار.

* * *

إن منـــزلة الإنسان عند الله تعالى تقاس بعلو همته. وأبرز علامات علـــو الهمة هو تضحية الإنسان بمنافعه وبملذاته الشخصية في سبيل سعادة الآخرين. ولا أدري أهناك تضحية أكبر من قيام الإنسان بالدوس على كرامته وشرفه في سبيل سلامة المجتمع وكظم غيظه بدلاً من إطلاقه زئير الغضب، ووضـــع القيود على جميع رغباته الشخصية فيما يتعلق بسعادته في كل مرة... أهناك تضحية أكبر من هذه التضحية؟

* * *

كما أن حصر نجاح "جيوش الفاتح" في شجاعة وبسالة هذه الجيـــوش وعدم الالتفات إلى الخطط العسكرية الحكيمة لهذه الجيوش وعدم إعطائهـــا أي أهمية يعد غفلة وقصور فكر، كذلك فإن ربط كل أســـباب النجـــاح بالجرأة العمياء وبالتهور وعدم إعطاء أي أهمية لاتخاذ التدابير اللازمة حماقة لا تغتفر.

* * *

إن أي حملة نشاط وفعالية مثلها مثل اتخاذ التدابير، إنما هي دعاء متوجه لله

تعالى. وهما في الوقت نفسه وجهان لحقيقة واحدة. وأي قصور يطرأ على أحدهما يؤدي في أحيان كثيرة إلى انقطاع المدد الإلهي والعناية الإلهية مما يؤدي إلى الفشل. والاستمرار في السير دون تعثر إنما يمكن فقط عندما يكون هذا السير مستنداً كل لحظة إلى البصيرة الواعية. فطوبى لمن أدرك هذا وفهمه.

الشورى

"سل خبيراً.. فخبرتان اثنتان أفضل من خبرة واحدة".

الشورى هو الشرط الأول لصحة القرارات المتخذة وصوابها. والقرارات المتخذة حول أمر ما أو مسألة ما إن لم يتم التمعن فيها جيداً وعرضها على أفكار الآخرين لنقدها ستنتهي في النتيجة إلى الخسران والهزيمة. ومن الملاحظ أن الشخص المنغلق بأفكاره والذي لا يحترم أفكار الآخرين ويكون بمعزل عنهم يكون معرضاً للأخطاء -وإن كان شخصاً ممتازاً بل عبقرياً- أكثر من الشخص الذي يستشير الآخرين في كل أفكاره.

* * *

أعقل الناس هو أكثرهم احتراماً للشورى، وأكثرهم استفادة من أفكار الآخرين. إن نفوس وأرواح الذين يكتفون بأفكارهم عند قيامهم بأي نشاط بل حتى بفرض أفكارهم على الآخرين لم تنضج بعد، لذا فلا يثيرون سوى النفور عند الآخرين.

* * *

وكما أن الشورى شرط أولي للحصول على نتائج جيدة. فإن الرجوع إلى آراء الأصدقاء وعدم إهمالها وسيلة مهمة ضد حصول نتائج وخيمة.

* * *

قبل مباشرة أي نشاط يجب القيام بكل الاستشارات اللازمة وعدم القصور في اتخاذ التدابير اللازمة لكي لا يتم اتهام هذا وذاك ونقد القدر فتتضاعف بذلك المصيبة الناتجة عن سلوك طريق خاطئ. أجل! فقبل القيام بأي عمل وبأي نشاط إن لم يتم التفكير جيداً في العاقبة وإن لم تؤخذ آراء المجربين فلا يمكن التهرب من عاقبة خيبة الأمل والندامة.

* * *

كم من نشاط وعمل بدئ به دون إمعان فكر، لذا فلم يتم تسجيل خطوة واحدة فيه إلى الأمام... ليس هذا فحسب بل خسر القائمون به سمعتهم كذلك. أجل! فالشخص الذي يحاول تحقيق كل ما يخطر على باله، عندما يصاب بخيبة الأمل عاجلا أم آجلا نتيجة سلوكه مثل هذه الطرق الخاطئة، يقع في اليأس حتى في الأمور التي يستطيع إنجازها.

* * *

على الإنسان ألاّ يفتح أبداً أبواباً لا يستطيع سدها، وإلاّ تسربت إلى الداخل أنواع من الشرور من المنافذ المفتوحة، وهذه الشرور تقضي على الآخرين وعلى كرامته ايضاً. فكم من غافل انساق وراء خيالاته دون أن يستشير أحداً فلدغته الثعابين التي نبهها وأيقظها من جحورها فأخرجته خارج الصف وشلت حركته. والخطب قد يكون يسيراً لو أنه وحده كان الخارج من الصف ووحده المشلول.

المسامحة

افتح صدرك للجميع... افتحه أكثر ما تستطيع... ليكن كالبحر... لتمتلئ بالإيمان وبمحبة الإنسان... لا تبق خارج اهتمامك أي قلب حزين لا تمد له يدك.

* * *

صفق للأخيار بسبب خيرهم وفضلهم، وكن ذا مروءة تجاه المؤمنين، وكن لينا تجاه المنكرين إلى درجة تذوب معها أحقادهم ونفورهم، وكن دائماً كالمسيح عليه السلام في سماحته وفي أنفاسه التي كانت تحيي كل شيء.

* * *

لا تنس أنك وراء مرشد كبير على علاقة وثيقة بالسماء يسير على أفضل صراط وأقومه.[1] لاتنس هذا، وفكر في الذين لا يملكون حتى صفة واحدة من صفاته هذه... فكر بهذا وكن منصفاً.

* * *

ادفع السيئات بالحسنة، ولا تهتم كثيراً بالسلوك المفتقر إلى الذوق، فكل إنسان يعكس طبيعته وأخلاقه بتصرفاته وسلوكه. أما أنت فاختر لنفسك طريق المسامحة، وكن كريماً عالي النفس حتى أمام الذين لا يعرفون قواعد السلوك والخلق.

* * *

أهم ما يميز القلب الذي يهتز بالإيمان هو أنه يحب الحب ويعادي العداوة... أما الذي يكره الجميع وينفر منهم فهو إما شخص سلم قلبه للشيطان أو هو شخص مريض... أما أنت فليكن شعارك هو حب الإنسان والإنسانية.

* * *

مع كل حذرك إياك أن تسقط بين أنياب نفسك وسيطرتها ولو مرة واحدة. ذلك لأن الجميع سواك -في نظر هذه النفس- متهمون، وكل شخص آخر هو شخص غير سوي وغير جيّد. وهذا الاعتقاد حسب قول الصادق صلى الله عليه وسلم يسبب هلاك صاحبه. إذن فكن صارماً تجاه نفسك ولين الجانب تجاه الآخرين قدر استطاعتك.

* * *

(١) المقصود هو الرسول ﷺ. (المترجم)

انتبه إلى أنماط السلوك والتصرف الذي يحبب لك الآخرين ولا تنس أن هذه الأنماط من السلوك هي التي ستحببك للآخرين... وتصرف على الدوام بما يليق بالإنسان، وكن يقظاً على الدوام.

* * *

اتخذ من معاملة الحق تعالى لك مقياساً لكي تتصرف على ضوئه مع الناس. عند ذلك تكون مع الحق وأنت وسط الناس وتتخلص بذلك من وحشة الوحدة... من وحشة الوحدة والابتعاد عن الله، ومن وحشة الوحدة مع الناس.

* * *

تستطيع أن تعرف منزلتك لدى الخالق بمقدار المساحة التي أفردتها له في قلبك. وتستطيع معرفة منزلتك لدى الناس بتقييم تصرفاتك تجاههم... لا تغفل عن الحق تعالى لحظة واحدة وكن بين الناس فرداً من الناس.

* * *

إذا كان الاعتقاد بأن المؤمنين من الناس يمكن أن يسيئوا إليك.. إذا كان هذا الاعتقاد قد ملأ قلبك تماماً فاعلم أن هذا حكم غير صحيح وصادر عن قلة عقل، وهو وقوع في أسر النفس ونتيجة لذلة الروح... اعرف هذا والتمس "ربانياً" يستطيع هز قلبك وإسالة دمع عينيك.

* * *

ومجمل الكلام: لكي تحفظ منزلتك ومحبتك لدى الناس فعليك أن تحب للحق وتكره للحق، وليكن قلبك مفتوحاً للحق على الدوام.

الغاية والوسيلة

قبل القيام بأي نشاط أو عمل يجب تحديد الهدف والغاية لكي لا تغل الوسائل يد الإنسان وتربطه بها، فإن لم يتم عند القيام بالنشاطات في سبيل

الله توجيه الروح نحو الهدف، فإن الأفكار ستختلط وسيبقى هؤلاء الناشطون أسرى لها دون أن يتقدموا خطوة واحدة.

* * *

يجب أن يتوضح الهدف والغاية في مستوى الفكر ويحتل المركز الأول فيه، وإلاّ تعددت الأهداف وظهر الاضطراب والفوضى. فكم من حملة نشاط واعدة فشلت في إعطاء أي نتيجة إيجابية وأي ثمرة بسبب الفوضى في تعيين الهدف والغاية. وعلاوة على عدم وصولها إلى أي نتيجة طيبة وخيرة تخلف وراءها أكواماً من الأحقاد والنفور.

* * *

يجب أن يكون الخالق العظيم وابتغاء مرضاته هدف صاحب كل دعوة، وإلا دخلت إلى الساحة الكثير من الأصنام، وتلبس الباطل بلباس الحق وظهرت الأهواء والشهوات في مظهر الفكر، وارتكبت جرائم عدة باسم الجهاد.

* * *

أما الأعمال المتوجهة لرضا الله تعالى وحده، فإن الذرة الواحدة منها تعادل الشمس، والقطرة الواحدة منها تعادل البحار، واللحظة الواحدة منها بقيمة الأبد. وما دام الأمر هكذا فلو قلبت الدنيا إلى جنّة بل إلى جنان عن طريق لا يحبها الله تعالى لما كان لها أي قيمة، بل كانت وبالاً على صاحبها. لأن قيمة الوسائل والوسائط تقاس بدرجة توصيلها إلى الهدف دون حدوث أي خلل، لذا فكل وسيلة تشكل عثرة في الطريق تعد وسيلة ملعونة. وهذا هو الوجه الذي لعنت الدنيا من أجله وإلاّ كان من المفروض أن تكون الدنيا أهلاً للمديح لأنها محشر كبير ومرآة لتجليات الأسماء الإلهية الحسنى.

* * *

هناك طرق ووسائل عديدة للالتزام بالحق وإعلائه. وقيمة هذه الطرق

ونفاستها مرتبطة بمدى احترامها للحق تعالى وبمدى خدمتها لأفكار ومبادئ الحقيقة. فإذا كان هناك بيت يحلق بساكنيه في سماء المعرفة، وإذا كان هناك معبد ينفث في نفوس المجتمعين تحت قبته الأفكار التي تتجاوز هذه الحياة إلى الأبدية، وإذا كانت هناك مدرسة تستطيع ملء قلوب طلابها بالأمل وبالإيمان... مثل هذه الأماكن تعد أماكن مباركة. أما إن قامت هذه الأماكن بمهمات ضد المهمات المذكورة سابقاً فهي مصايد مخيفة تقوم بقطع السبيل أمام الإنسان. والجمعيات وتشكيلات الأوقاف والأحزاب السياسية أمثلة في هذا الموضوع.

* * *

على مؤسس كل مؤسسة أن يتذكر على الدوام هدف تأسيسها ووجودها لكي لا ينحرف النشاط عن الهدف، ولكي يكون العمل مثمراً ومفيداً، وإلاّ تم نسيان هدف الإنشاء والتأسيس، فتنحرف المؤسسة مدرسة كانت أم قسماً داخلياً أم عائلة عن خط سيرها مثلما ينحرف الإنسان الذي نسي الغاية من وجوده وخلقه ويعمل ضد نفسه ويضرها.

* * *

الاحتكار الفكري وادعاء صاحبه بأن الحق دائماً معه ليس إلاّ تعبيرا عن عبادة الوسيلة وإشارة إلى غياب الهدف. وإلاّ فكيف يمكن تفسير مشاعر الحقد والنفور والكراهية عند بعضهم نحو أناس يشاركونهم العقيدة والمشاعر والمبادئ نفسها؟ أليس هذا دليلا على عدم وجود هدف؟ آه من هؤلاء المساكين عبيد أنفسهم الذين يطمحون إلى إدارة العالم حسب أفكارهم العرجاء.

حب الراحة

كل دعوة سامية، وكل حقيقة تكتسب الاستمرارية وتصل إلى المستوى العالمي نتيجة عزم وإخلاص منتسبيها وجهودهم المبذولة في الحفاظ عليهـــا. فإن حرمت أية دعوة من المنتسبين الأوفياء المخلصين الواعين الذين يحافظون عليها ضد هجوم واعتداءات أعدائها فمصيرها إلى الزوال والانهدام عاجلاً أم آجلاً والدخول إلى عالم النسيان والإهمال.

* * *

كما تأسن المياه التي فقدت حركتها وركدت، كذلك يكون الـــذبول والضياع مصير الكسالى الذين تركوا أنفسهم للتراخي والركود. إن الرغبـــة في الراحة والخمود هي أولى إشارات الموت وإنذاره. ولكن الشخص الذي انقاد لمشاعره وأحاسيسه وانشغل بها لا يفهم هذه الإشارة ولا يسمع هـــذا الإنذار، ولا يستفيد من نصائح أصدقائه وتحذيراتهم.

* * *

الكسل والانقياد إلى الراحة من أهم أسباب الذل والحرمان. ولا ريب أن الذين رموا بأنفسهم في أحضان الكسل فماتت أرواحهم... هؤلاء ســـيأتي يوم يضطرون للتذلل للآخرين للحصول على حاجاتهم المعاشية الضرورية.

* * *

فإذا أضفنا إلى هذا الحب الشديد للراحة والارتخاء الرغبة الكبيرة في التملك، كان التراجع عن خط النضال، وموت الروح أمراً مقدراً ولا مفر منـــه. وإذا لم يتم رصد هذا التراجع والتقهقر إلى الوراء، وتعلق النظر بمظهره الخارجي وعده رجلاً كامل الرجولة... مثل هذه النظرة نظرة خاطئة ونظرة مهلكة.

* * *

كان حب الكفاح وعشق الجهاد هو السبب في ولادة دولة كبيرة من قبيلة صغيرة.[1] وعندما احتل حب الجواري مكان عشق الجهاد تداعت هذه الدولة أنقاضاً.

* * *

عندما تركت الرغبة في الجهاد مكانها لشهوة الجواري وشهوة المساكن والقصور في النفوس، تلقت هذه النفوس صفعات شديدة من القدر على عكس توقعاتها، وحرمت من بيوتها الدافئة ومن أطفالها وأولادها.

وما أبلغ هذه الكلمات التي قالتها أم لابنها الأمير الأندلسي الذي هرب من مواجهة الأعداء وقتالهم:

"ابكِ مثلَ النساء ملكاً مضاعفاً   لم تحافظ عليه مثل الرجال".

* * *

إن التغير الذي يطرأ على الإنسان فيفسده ويذبله، يطرأ تدريجياً وبشكل صامت وبطيء جداً. وقد تؤدي غفلة صغيرة أو انحراف قليل عن سير القافلة إلى ضياع كامل. ولكن أمثال هؤلاء الذين يتوهمون أنهم لا يزالون على الخط نفسه وفي الموضع نفسه لا ينتبهون إلى سقوطهم من مواقع مرتفعة ارتفاع المآذن إلى قعر عميق عمق الآبار.

* * *

ويستحيل على الذين يتركون خط المجاهدة والكفاح وينحرفون عن الخط الرجوع إلى مواقعهم الأولى عادة، ذلك لأنهم وهم يتقلبون في حمى الشعور بالذنب لا يرون أمامهم -في سبيل الدفاع عن أنفسهم- سوى سلوك نقد وتجريح إخوانهم في سلك الدعوة. فمقابل استغفار آدم عليه السلام عن زلته واستغفاره واعترافه بخطئه ورجوعه إلى موقعه السابق بقفزة

---

(١) يشير الكاتب هنا إلى ولادة الدولة العثمانية من قبيلة صغيرة. (المترجم)

واحدة، نرى قيام إبليس بتبرير عمله والدفاع عن نفسه على الرغم من جرمه الكبير، فاستحق بذلك اللعنة الأبدية والخسران الأبدي.

* * *

إن لأمثال هؤلاء الذين أصاب الشلل إرادتهم وعزيمتهم تأثيراً سلبياً كبيراً على روح وعزيمة المحيطين بهم. حتى أن تردداً قليلاً أو إحجاماً بسيطاً يبديه أحد هؤلاء قد يسبب هزة ويأساً في العزائم يعادل هزة موت مائة فرد. وهذا لا يؤدي إلاّ إلى تشجيع أعداء الأمة والوطن وزيادة شهيتهم في الهجوم علينا.

* * *

إن زينة الحياة الدنيا وجمالها والمال والبنين إن هي إلاّ امتحان وفتنة. والطلاب الذين ينجحون في هذا الامتحان نجاحاً باهراً هم أصحاب الإرادة القوية الذين ارتبطت قلوبهم ارتباطاً دائمياً بالحقيقة والذين أعطوا عهدهم وميثاقهم ألاّ يتزحزحوا ولا ينكثوا عهدهم وميثاقهم.

التوازن بين الروح وبين الجسد

الحياة الحقيقية هي حياة القلب. والإنسان الذي يحيا بحياة القلب يصبح كياناً فوق الزمن ويستطيع دق أبواب الماضي والمستقبل ويراهما وجهين لعملة واحدة يمكن فتحهما. فمثل هذا الإنسان لا يأبه بآلام الماضي ولا بتهديدات المستقبل.

أما الذين لم يجدوا أنفسهم في قلوبهم فتراهم -وهم يتقلبون في حياتهم الضحلة- في شكوى دائمة، وتشاؤم مستمر. فالماضي في نظرهم قبر رهيب، والمستقبل بئر لا قعر لها... فهم في عذاب مستمر سواءً أعاشوا أم ماتوا.

* * *

إن علاقة الإنسان بالماضي البعيد وبالمستقبل الذي لا نهاية له مرتبطة فقط بدرجة وبمستوى إدراكه لحياة القلب والروح. والأرواح المحظوظة التي تعيش في هذا المستوى الرفيع للحياة وتدرك علوها ترى الماضي خيمة وسدة حكم للأجداد وترى المستقبل طرقاً ممتدة نحو حدائق الجنة، وتعب من مياه الكوثر التي تفجرها في وجدانها وهي تعيش في دار هذه الحياة حتى وداعها لها.

أما البائسون الذين لم يدركوا الحياة هذا الادراك و لم يفهموها هذا الفهم فحياتهم أسوأ من الموت، وموتهم كظلمات جهنم بعضها فوق بعض.

* * *

هناك علاقة تساند وتنظيم وانضاج بين عمل الفرد وسلوكه وبين حياته الجوانية. ونستطيع أن نسمي هذه العلاقة أنها علاقة دائرة خير على عكس "الدائرة المفرغة". فكما ينعكس سلوك الإنسان المتسم بالعزم والإصرار والثبات على عالمه الداخلي وينوره، كذلك يقوم الوجدان المتنور للإنسان بشحذ إرادته وعزيمته ويفتح أمامه آفاقاً جديدة.

* * *

والمحظوظون الذين يكونون تحت إمرة الروح يتوجهون دوماً للحصول على رضا الله وعلى الفضائل الإنسانية، وبوصلتهم تشير على الدوام نحو المحراب نفسه، ونحو الدرب نفسه. قد يحدث عندهم أحياناً انحراف ضئيل عن الطريق، ولكن ندم من أعماق النفس، وأنين من أعماق الروح يكفيان لإذابة الآثام المحيطة بالقلب... إذابة هذه الآثام في أرواحهم، ثم الاستمرار على الدرب نفسه وعلى الطريق نفسه.

* * *

هؤلاء المحظوظون الذين يقومون بأداء جميع واجباتهم وفرائضهم حتى أدق تفاصيلها بكل عناية واهتمام، لا ينسون وهم يوفون حق أعمالهم الدنيوية ويقومون بوظائفهم فيها بكل عناية ونظام ودقة... لا ينسون عالمهم

الداخلي حيث يسمون ويرتفعون ارتفاع عطر البخور حتى كأنهم يشاركون الملائكة كل يوم بضع مرات في مجالسهم.

* * *

فكرة الأبدية هذه التي دخلت شعاب وشغاف قلوبنا منذ عصور عديدة والتي أوقدت فيها حب ووجد الأبدية والخلود، تركت مكانها بمرور الزمن إلى مجرد رفع شعارات شكلية جامدة والى تصوفية متخدرة خالية من الروح.. ولم يكن دور هذه الأفكار المنحوسة -التي حسبت شراراتها الضئيلة الشبيهة بشرارات اليراع نداً ومساوية لشمس الوحي- منذ ذلك التاريخ حتى اليوم ما تزال تنفث الضباب والدخان في طريقنا المضيء لتعكير دنيا إنساننا وزيادة ظلامها.

* * *

بعد كل هذا فإننا نستطيع وصف رجل الحقيقة هكذا:

هو رجل يستطيع مجابهة ومقاومة كل الدواهي ببدنه وبأعصابه الفولاذية. أما فكره وعقله فقد مزج في بوتقة واحدة معارف ومفاهيم عصره بالحقيقة الأزلية وصهرهما معاً، أي هو مثل عالم كيميائي ينشئ في كل آن تركيبة جديدة. أما ملكاته الروحية والقلبية فهي بنفس نكهة القابليات والملكات التي سحّتْ من أمثال مولانا جلال الدين الرومي(١) ويونس أمره(٢) إلى بوتقة واحدة وانصهرت فيها ونضجت.

أي هو في النهاية قلب ناضج عارف، بينما يرى نفسه إنساناً وفرداً عادياً بين الناس. فإنه يستطيع أن ينسى بل يضحي بلذاته وحظوظه من أجل خير وسعادة الآخرين.

---

(١) جلال الدين الرومي: (١٢٠٧– ١٢٧٣) من أعظم شعراء التصوف. درس على أبيه بهاء الدين. رحل إلى بلاد عديدة. التقى في مدينة " قونية " بأستاذه ومرشده " شمس الدين التبريزي" فكان له تأثير كبير عليه. من أهم آثاره ديوانه "ديوان شمس تبريزي"، وديوانه الكبير "المثنوي" وكتابه المشهور "فيه ما فيه ". وهو مؤسس الطريقة المولوية. (المترجم)

(٢) يونس أمره: (١٢٣٨– ١٣٢٠): من أشهر شعراء التصوف في الأناضول. عاش في عهد سقوط الدولة السلجوية في الأناضول نتيجة غارات المغول، وفي عهد زادت فيه الهجرة من ايران وخراسان إلى الأناضول هربا من المغول. درس العلوم الفلسفية وتعلم العربية والفارسية. خدم في تكية "طابتوك أمره" ثم ساح في الأناضول. لا يعرف أين توفي، لأن هناك عدة أضرحة تنسب إليه في الأناضول. له مؤلفات "رسالة النصيحة" و"الديوان". أشعاره رقيقة ومؤثرة، وأسلوبه واضح لا تعقيد فيه. (المترجم)

رجل الدعوة

رجل الدعوة رجل ارتبط قلبه بدعوته ارتباطاً لا يتردد معه السباحة في بحور من الدم والصديد من أجلها. وهو ناضج إلى درجة أنه عندما يصل إلى هدفه يزهد بكل شيء ويعطي كل صاحب حق حقه.

هو مؤدب غاية الأدب تجاه خالقه... كل نفس يتنفسه في سبيل الدعوة ذكر وتسبيح، وكل فرد من أفراد الدعوة مبجل وعزيز عنده، يشكرهم على كل خدمة ناجحة يقدموها للدعوة ولكن دون إفراط. لأنه يؤمن بإرادة ربه... أي هو رجل متوازن.

عندما تكون هناك خدمة لا يتقدم أحد نحوها يرى نفسه مسؤولا عنها قبل الجميع. هو منصف ويحترم كل من يعين الحق وينصره ويعمل في سبيله. عندما تنهدم مؤسساته وخططه، وتتمزق وحدة جماعته وتتفتت قوتها لا يفقد إيمانه ولا أمله وتفاؤله بل يحاول التحليق من جديد. وعندما ينجح في التحليق ويصل إلى الذرى لا ينسى التواضع والمسامحة.

هو شخص واقعي وصاحب بصيرة يعرف منذ البداية أن هذا الطريق وعر وشاق، ولكنه صاحب عزيمة وإيمان يرى معه أن طريقه لو ملئت بحفر من حفر جهنم فإنه يستطيع قطعها. هو عاشق متوله يحب دعوته التي وضع روحه في كفه من أجلها... وفيّ لها وفاء يضحي بسببه في سبيلها بروحه وبكل ما يملك دون أن يخطر على باله أبداً أنه قام بأي تضحية.

لا شكوى... بل صبر وتحمل

عندما كان الظلام لا يزال سائداً، كنت أنت من أسمعَ صوت الحق ورسالته.. الأرض والسماء تعرفان هذا حتى وإن أنكره المنكرون وجحده

الجاحدون.. ولكن إياك والشكوى وأنت تنظر إلى هؤلاء الجاحدين.. لأن الحق تعالى يعرف الخدمة التي تقدمها، لذا فلا يهم إن عرف الناس ذلك أو لم يعرفوا.

* * *

لقد قمت بما أملته عليك فطرتك السليمة وسجيتك... وأصبح ما حواليك حديقة زهور وزنابق... إذن فلم الشكوى من وجود ثلاث أو أربع أشواك بجانب كل هذه الورود والزهور؟ ولاسيما إن كان وجود هذه الأشواك نتيجة نقص عند التنشئة والإعداد.

* * *

أليس من قصر النظر ومن الخطأ لقلب متعلق بالحق وعاشق له انتظار مكافأة الخدمات الأخروية في الدنيا؟ أليست الدنيا وبكل ما فيها فانية؟ أليست الآخرة بكل جمالها وروعتها التي ينذهل أمامها العقل باقية وخالدة؟ إذن تعال ودع عنك طلب المكافأة لخدماتك وجهودك من أجل الحق... فما وراء هذا العالم وما وراء الوراء يعادل ألف دنيا.

* * *

عليك ألاّ تعتمد على إطراء الناس ومحبتهم لك، حتى وإن كانوا محقين، ولا تحسب ذلك علامة من علامات العظمة. وإياك إياك النظر إلى الآخرين وكأنهم أقل منك، فهذا قصر نظر شنيع. ذلك لأن القيمة والكرامة لدى الحق تعالى هي حسب درجة صفاء الروح وسمو القلب، وما أفحش خطأ من يجعل مقاييس الجسم معياراً للتقييم.

* * *

مع أن احترام الكبار صحيح من ناحية المبدأ، ولكن عليك ألاّ تطلب ذلك.. وفي مقابل عدم وجود أي سوء أو ضرر عندما يأتي هذا الاحترام لك من الآخرين دون طلب أو انتظار. ولكن إن أردته ورغبت فيه وطلبته أصبح

هذا المطلوب محبوباً لا يمكن الوصول إليه، ويغرق الطالب له والمتلهف عليه في لجة من البؤس والألم.

* * *

إياك أن تعتمد على ظن الشعب أنك شخص عظيم أو كبير. فهذا التوجه وحسن الظن بك قد يكون انعكاساً لحسن الظن بك في عالم الغيب ولا ضرر منه، ولكنه لا يعد أمراً مرغوباً فيه، أو شيئاً تحرص عليه، فهو إن أسعد الإنسان لحظة أبكاه ساعات. لذا فلا تدع المديح يأسر قلبك... فهذه أمور عارضة تقبل ثم تزول.

* * *

هل فكرت أنه كلما توسعت دعوتك امتحنت لا بأعدائك فقط بل حتى بالمحيطين بك من الأصدقاء؟ تأمل وفكر... وكن منصفاً وذا مروءة لأصدقائك الذين يستعملهم الحق تعالى كعناصر امتحان لك.

* * *

عندما تقوم بواجبك في أداء الخدمات لأمتك إيّاك أن تذكر أي معروف أسديته لأي شخص يعمل تحت إمرتك... لا تفعل ذلك وإلاّ أزعجت جميع من حواليك، ولا تنس أن ما فعلته وأديته ليس سوى وظيفة على عاتقك ولست سوى موظف في هذا الأمر.

* * *

إن لم تزدد إخلاصاً كلما قرأت كتاباً، أو حللت وقدمت أفكاراً جديدة، أو جاهدت في سبيل الله تعالى، وإن لم تَفْنَ في بوتقة الإخلاص بحيث يستوي لديك ما تتعرض له من نقمة أو نعمة... إن لم تكن كذلك فاعلم أنك تضطرب بين براثن ومخالب نفسك الأمارة... اعلم هذا وارتجف خوفاً وخشية.

* * *

إياك إياك أن تحدثني عن عظم الخدمات التي قدمتها والتضحيات التي أبديتها. ولكن قل لي أتستطيع إحالة جميع خدماتك إلى جهود أصدقائك وتعرف أنها فضل من أفضال الله تعالى ولطف منه؟ وهل تستطيع أن تكون عند بذل الجهود في الصف الأول وعند قطف النتائج في الصف الأخير؟ حدثني عن هذا... حدثني عن هذا لكي تتفتح الأزهار في قلبي.

* * *

لا تحرك نوازع نفسك وغرورها بحجة علمك أو عزة نفسك أو كرامتها، وإلاّ أفرحت أعداءك وأحزنت أصدقاءك. فإن كانت لك مزايا فدعها تُخرج سنابلها في العالم الآخر، ولتكن بطولات حياتك أناشيد أبدية تنشدها الملائكة.

التذبذب والثبات

كما أن العثور على الحقيقة وعشقها مهم، فإن التمسك بها والوفاء لها والثبات عليها مهم بالدرجة نفسها. إن من وصل بروحه إلى نور الحقيقة من الصعب عليه تغيير وجهته وطريقه. أما الذين يغيرون محاريبهم صباح مساء فهم إما أشخاص بؤساء لم يصلوا إلى الحقيقة، أو حمقى لم يدركوا قيمة الحقيقة حق الإدراك.

* * *

المحظوظون الذين جعلوا قلوبهم شواطئ لبحر الحقيقة لا يعرفون الارتواء منها، فتراهم كلما ضربت موجات الحقيقة شواطئ قلوبهم يقولون بكل شوق ورغبة "هل من مزيد؟" عند هؤلاء انتهى البحث عن الطريق... لقد عثروا على محرابهم واستقرت أرواحهم.

أما المتذبذبون فهم إما من قصيري النظر الذين لا يعرفون أسلوب

البحث، أو من عديمي الإدراك ممن لا يميزون الفرق بين البحث وبين الظفر بما يبحث عنه واكتشافه. فالذي يبحث هو الذي سيجد ويظفر. أما القاعدون في أماكنهم الذين يحسبون أنهم عثروا على بغيتهم... هؤلاء سيبقون في أماكنهم وسيدورون حول أنفسهم طوال حياتهم.

* * *

الذين يحافظون على مواضعهم ولا يتخلون عنها يعلمون أن هذه المحافظة أول شرط للتغلب على الأعداء والوصول إلى الهدف المرسوم. أما الذين يتركون مواضعهم في الجبهة فليعلموا أنهم دخلوا في دائرة الخسران منذ أن فارقوا مواضعهم وابتعدوا عنها.

* * *

كل فار من الجبهة سيكون مُداناً أمام ضميره أولا ثم أمام التأريخ وأمام الأجيال القادمة... مُداناً من قبل نفسه لأنه يكون قد نال صفعة لسيره ضد هدفه. والثبات في الموضع والمحافظة على الجبهة يعد رمزاً للشجاعة في كل دعوة كبرى. أما عبيد النفس الذين يدورون مع الريح أينما دارت فلا يمكن أن يفهموا هذا، وهم لا يريدون أصلاً فهمه. أما الإنسان الحقيقي فما أن يدرك الحقيقة ويفهمها حتى يستحيل على المنافع والمصالح تقييد رجليه، ويستحيل على الخوف أن يقطع طريقه ويمنع سيره، ولا تستطيع الشهوات إغراءه وربطه بالدنيا... يعجزون عن هذا لأنه يتخطاهم جميعاً وكأنه طائر أفرد جناحيه وطار.

* * *

إن المذبذبين يغيرون آراءهم ومواضعهم دون توقف عند أداء الخدمة الإيمانية، لذا تراهم لا يهزون ثقة الآخرين بهم وحدهم، بل حتى ثقة أصدقائهم وإخوانهم في الدعوة. فكما تتقلقل وتفسد المسيرة المنتظمة لجماعة أو لفصيل بخروج أحدهم من وسطه وتفسد المسيرة المتناغمة، ويظهر

الاضطراب فيها، كذلك فإن خروج بعض الأعضاء من جماعة متساندة ومتناغمة فكرية يؤدي بأصدقائهم إلى الإحباط والتشاؤم، ويغرق أعداءهم في الغبطة والسرور.

* * *

الذين يسقطون في درك التردد وعدم الاستقرار، وينقضون العهد الذي قطعوه على أنفسهم بين فينة وأخرى، سيأتي يوم يفقدون الثقة بأنفسهم، ويدخلون شيئاً فشيئاً تحت تأثير الآخرين. وبمضي الوقت يفقد هؤلاء المشلولين روحيا شخصياتهم تماماً، لذا يصبحون عناصر ضارة لأنفسهم وللمجتمع الذي يعيشون فيه.

* * *

هؤلاء الذين إنسحقوا أمام حسابات تافهة من حسابات المنصب أو الشهرة أو المقام أو الشهوة... ماذا سيقول هؤلاء وكيف يتصرفون عندما تحيط المنافع بأفق الدعوة مثل قوس قزح، وتقبل الدنيا عليها؟ وكيف سيتصرفون في الأيام التي يحيط فيها الخوف والإرهاب والفتن بالدعوة؟

* * *

إن تاريخ البشرية حافل بقصص آلاف الأبطال الذين استولوا على القلاع والحصون والمدن بكفاحهم وعرقهم ودمائهم، ثم كيف خسروا هذه القلاع والمدن إلى الأبد نتيجة خيانة شنيعة لأحد الخونة... هذه الحوادث والأمثلة من الكثرة بحيث يمكن تأليف مجلد كامل عنها لكل أمة.

* * *

آه... آه أيتها الشهرة القاتلة، وأيتها الشهوة الكافرة وأيها الطمع الخالي من الشرف! كم من روح مر من دياركم فذبل من الزيارة الأولى!! وكم من قلب سقط في دياركم مثل أوراق الخريف الصفراء!! وكم من قامة سامقة

سمعت ضحكاتكم المغرية فتركت المعبد وأصبحت من رواد الحانات!! أجل كم من شجاع جاء إليكم فتحول إلى جبان رعديد، وكم من رجل تحول إلى مخنث وخصي وكم من شابٍ شابَ من قربه منكم ثم ارتحل.

أيها السائح

الإنسان سائح، والكون معرض للمشاهد الملونة، ومكتبة زاخرة مطروحة لنظره وتأمله وسياحته. وهذا السائح أُرسل إلى هذا العالم لكي يقرأ هذه الكتب ويزيد من معرفته. هذه السياحة الممتعة لا تتيسر للإنسان إلاّ مرة واحدة. وهذه السياحة الوحيدة تكفي بالنسبة لصاحب العقل الرشيد والقلب اليقظان لإنشاء جنات كجنات عدن وكجنات إرم ذات العماد، أما بالنسبة للذين يعيشون مغمضي العيون فلا تكون سوى لحظة عابرة تأتي ثم تمضي بسرعة.

* * *

الذين يتأملون قوانين الطبيعة وقوانين الحياة بعمق ويعرفون قيمتها يرون في ألوان الزهور وفي حركة الأغصان وفي هدير الرعود وفي تغريد الطيور جمالاً لا يمكن وصفه، ويرون في كل صوت تقديساً وتسبيحاً لصاحب القدرة اللانهائية. ويرون في الضوء والحرارة والجاذبية والعلاقات الكيميائية وفي القوانين التي تحكم الأحياء وتسوقهم آثار تجليات إلهية.

* * *

كلما انسلخ الروح من هذا العالم المادي المليء بالضوضاء وانغمر في أعماق "عالم الوحدانية" شاهد التجليات الإلهية المشرقة بشكل أوضح، فيكاد يغيب عن وعيه.

هؤلاء الذين سموا إلى الوصال الإلهي مثل هذا السمو وتركوا أنفسهم بين

أمواج المد والجزر للوجد الإلهي واستغرقوا فيه، يرون في المناظر الصامتة للسهول الوحيدة الممتدة على مد البصر، وفي الحياة الزاخرة في أعماق المحيطات، وفي الوقفة الوقورة للجبال الشاهقة التي تناطح السحاب، وفي ظلام المساء الذي يداعب السفوح الخضراء، وفي الروائح العطرة المسكرة للزهور الساحرة المنتشرة في الحدائق، وفي منظر قطرات الندى وهي تبتسم فوق الزهور الصغيرة وتهتز مع النسيم فتسحر الألباب وتشرح القلوب... يرون في هذه المناظر تجليات وانعكاسات من جماله هو.

* * *

ماذا يضرنا إن لم نحط به علماً؟! كل صوت إشارة ورسالة منه. يقول الأديب والحكيم الألماني "جوته":

"إننا نحدس وجود الله في قلوبنا وفي الطبيعة، فما أهمية إن عجزنا عن معرفة ماهيته؟ أجل! فماذا نعرف حول الماهية الإلهية؟ حدسنا حول الله عاجز ومحدود ولا يغني شيئاً. وحتى لو ذكرناه بمئات من أسمائه وصفاته فإننا سنبقى دون الحقيقة بكثير. فالوجود المطلق للألوهية لا يتجلى في الإنسان فقط، بل في كل صغيرة وكبيرة وفي كل حادثة دقيقها وخطيرها وفي الظواهر المتصفة بالقوة والغنى للطبيعة. فهل من الممكن أن تكون الأوصاف البشرية كافية للإحاطة بمثل هذا الذات الأكمل؟" هذا ما يقوله "جوته"، وهكذا يحول الأنظار نحو الذات الإلهية المعلومة والمجهولة معاً، والمتجلية بآثارها في العالم وفي الكون.

* * *

نحن خرجنا إلى سياحة دائمة لا تنتهي نحو ذلك الذات الأقدس الذي ستر ذاته عن العيون وتجلى بآثاره... هدفنا أن نكون دائماً في الطريق الموصل إليه، وندخل من الأبواب المتفتحة عليه... نحن في رحلة أبدية نحوه... فما دام هذا العالم موجوداً فرحالنا مشدودة دوماً إليه وقلوبنا تتغنى بحبه... كيف لا ولم نأت

إلى هذا العالم إلا لكي نعرفه! ولا نعرف وظيفة أعظم وأجلّ من هذه الوظيفة... نحن جميعاً ظل من ظلال وجوده... أما هو فمصدر ومنبع ومرجع كل شيء.

* * *

هو الذي فجر المياه من الأرض، وأسال العيون والينابيع بكرمه... هو الذي ألبس الشمس تاجاً من الضوء والحرارة، وزين الأرض بآلاف من الورود والزهور وألبسها آلافاً من الحلل... السماوات والأرض والبحار الواسعة منه... السحب والغيوم تنظر إليه بعين البحار، والبحار تسبح له بلسان الغيوم. هو الذي ملأ بطن الأرض بآلاف من التحولات والعمليات، وصبغ المرجان باللون القاني... الشموس عبيد على بابه، والعوالم واقفة أمامه مثل أسرى كبلت أقدامهم وأرجلهم بالسلاسل.

* * *

ياخالقي العظيم! كل ما في العالم من ملك وسلطنة تحني هاماتها في ظل رايتك... وكل السلاطين عبيد عندك... كل شيء يهرع نحوك ليلتمس منك الوجود، أما أنت فموجود بذاتك دون حاجة لأحد... الموجودات الوقتية تدخل عالم الوجود وتأخذ أشكالها ثم تنطفئ وترحل. أما أنت فبريء من كل هذا ومستغن عن كل شيء. أنت واحد أحد، لا شبيه لك ولا مثيل ولا تحتاج إلى أحد. الوجود بأجمعه يطلب المدد من وجودك الأحد الصمد. أحديتك واحة وجنة للظامئين في الصحارى، وماء كوثر لهم. الأرض باقية بقدرتك، والسماء منتظمة بقدرتك وإرادتك. ولولا أن الكون كله مستند إليك لتناثرت النجوم تناثر حبات المسبحة في أرجاء الكون.

* * *

سعدنا جميعاً بك... وجدنا طعم السعادة بمعرفتك... كل سعادة لا تشير إليك فنحن برآء منها، ونلعن مثل تلك السعادة... أجل سننسى كل شيء لا يتحدث عنك ونقطع علاقتنا معه.

* * *

اللهم يا ذا الرحمة التي لاتُحد! نحن عبيد عند بابك! لم نسجد لأحد غيرك، ولم نكن عبداً لأحد سواك، وسنظل هكذا في الدنيا وفي الآخرة. لم نشتك لأحد غيرك، فإن فعلنا ذلك دون قصد فاقبل توبتنا من ذلك، واقبل رجوعنا إلى بابك وساحتك، واملأ أقداح هؤلاء الملازمين لبابك لترتسم البسمة على هذه الشفاه التي نسيت شفاهها البسمة منذ عصور.

* * *

يا أمل المحزونين والمكروبين ويا مصدر سعادتهم! يا صاحب الغرباء! يا شفاء القانطين واليائسين! افتح ستاراً لعبيدك الحيارى، وأطفئ ظمأهم وكن دواءً لدائهم! كم كنا نود لو نستطيع شرح لوحات الجمال التي وهبتها للعالم، وانعكاسات ألوان الجمال هذه في قلوبنا للآخرين. ولكن إن قصرنا في هذا... وإن عجزت كلماتنا وبلاغتنا عن هذا فاغفر لنا واصفح عنا وتب علينا يا تواب...

الحرص على المنصب

إلى جانب وجود بذور خير لكثير من الأمور في الإنسان وفطرته توجد بذور شر كذلك عنده من أجل تحقيق مصالح عديدة.

فمثلاً إلى جانب خصال الإخلاص والتضحية والوفاء والاستغناء وغيرها من الخصال الحميدة في الإنسان، نرى بجانبها في الأغلب حب المنصب وحب الجاه والشهرة وغيرها من الخصال السيئة التي تميت القلب وتشل الروح. لذا فعندما نؤسس علاقاتنا مع الناس يجب أخذ وجود هذه الجوانب والخصال بنظر الاعتبار لكي لا نُصاب بخيبة الأمل.

* * *

يكاد لا يخلو أحد من حب المنصب والشهرة، وذلك بدرجات متفاوتة. فإن لم يتم إشباع هذه الرغبات عن طريق مشروع لدى الذين لا يستطيعون

إنقاذ أنفسهم من هذه الأحاسيس والمشاعر أصبح من المحتمل انقلابهم إلى أشخاص ضارين لأنفسهم وللمجتمع الذي يعيشون فيه. ويشبه هذا القيام بمحاولة منع جسم مشبع بسائل من طرح هذا السائل خارجاً. مثل هذه المحاولة ستؤدي إلى توتر نفسي وضرر. فإن لم يتم إشباع هذه الرغبة المضطربة في مثل هذه القلوب المضطربة وغير الناضجة والمغلوبة على أمرها بطريقة مناسبة لم يكن هناك مفر من وقوع أضرار في مجال الدعوة.

كل حركة تصدر من هذه القلوب الفجة وغير الناضجة وكل فعالية تكون غايتها إشباع هذه الرغبة النفسية. ومع أن هذا الأمر يُفسد الروح ويجرحه إلاّ أنه قد يؤدي أحياناً إلى درء بعض المفاسد وبعض الشرور في نهاية المطاف. لذا يعد أحياناً "أهون الشرين" بل قد يعد خيراً بطريق غير مباشر. فالذي وهب حنجرة قوية وصوتاً جميلاً فلم يقم باستغلال هذه الهبة في أغانٍ فاجرة تدعو إلى الفحش وتحرض عليه، بل قام بترتيل آيات الله أو أنشد مدائح للرسول ﷺ وأشبع رغبته عن هذا الطريق يكون أقل ضرراً، بل ربما كان عمله هذا خيراً محضاً بالنسبة للبعض.

* * *

الصدق والإخلاص هما روح كل عمل منفذ ومنجز، وهما أيضا صفة لمؤدي ذلك العمل. وكل عمل لكي يحوز على رضا الخالق وقبوله يجب أن يتم بصدق قلبي ودون انتظار أي مقابل، وألاّ يدخل ذلك القلب أي نية سوى نية نيل رضا الله تعالى. ولكن نجاح كل فرد في هذا الخصوص وبهذا المستوى ليس هيناً. لذا يقيّم هؤلاء بالكفة الراجحة عندهم من الخير والشر. أجل فهناك أمور تغلب فيها ناحية المظاهر إلاّ أنه لا يمكن الادعاء بأنها ضارة بمبادئنا وأفكارنا وبالناس ضرراً أكيداً.

قد يخلط هؤلاء رغباتهم الشخصية في الأعمال والخدمات التي يقومون بها، وقد لا يفكرون في رضا الخالق في كل حين، وقد لا يئنون ندماً أمام

أخطائهم، ولا يعرفون مثل هذا الندم. إلاّ أنه لا يمكن القول أبـــداً أنهـــم في عقيدتهم وفي اتجاه سلوكهم ليسوا بجانب الحق تعالى.

* * *

ومع كل هذا إن قام كل فرد من الأفراد في جماعة تؤدي خدمات الإيمان بمحاولة تمثيل الجماعة في الساحة التي يعمل فيها بشكل مستقل، فسد نظام الجماعة وانقلب كل شيء رأساً على عقب، لأن الآخرين سيحاولون تقليده في رغبة الظهور والشهرة وهكذا تعُمُّ الفوضى، إذ ينفـــتح البـــاب أمـــام الحركات الفردية بسبب الأنانيات الشخصية، ويختلط الحابل بالنابل وتزول السيطرة المركزية وتنهدم تماماً.

* * *

إن قام أصحاب القابليات الكبيرة وأصحاب الكفاءات والحركة بطلـــب حصة الأسد حسب قابلياتهم وكفاءاتهم الشخـــصية في الحكومـــة أو في أي مؤسسة، أصاب الشلل تلك الحكومة ودالت تلك الدولة، وتحولـــت تلـــك المؤسسة إلى مخلوق غريب ذي مئة فم. فالحكومة تبقى قائمة ما دامت قواعد الأوامر والطاعة سارية وسالمة وموجودة كوجودها في الجندية والعـــسكر. وادعاء العكس إنكار صريح للمبادئ وللعناصر التي أمنت بقاءنا منذ مئات الأعوام وعدم رؤية لها.

* * *

يا ليت القلوب قنعت بما وهبها الله تعالى وبحثت دائماً عمـــا يرضـــيه. ولكن الظاهر أن بعض القلوب الأنانية التي قنعت بالضوء الخافت للمصباح الذي يحملونه في أيديهم وأدارت ظهرها لضوء الشمس سوف لن تهتدي إلى الطريق الصحيح حتى تشفى من قصر نظرها.

دوامة الأنانية

إن أمانة الأنانية المنعمة على الإنسان هدية مقدسة معطاة له لكي يبحث عن الحقيقة الكبرى ويجدها... هدية يجب ضربها بالأرض وكسرها حالما تنتهي وظيفتها، وإلاّ كبرت وتضخمت وانقلبت إلى عفريت يبلع صاحبه.

يدرك الفرد بها خالقه جل وعلا، ويدرك قدرته وعلمه وإرادته اللامحدودة، وكونه بريئا من كل نقص، ثم يقوم بإذابتها في لهب معرفة الله وحب الله الملتهب في صدره، فلا ينظر ويرى إلاّ بالله... به يفكرو به يعرف ويصل به إلى المعرفة... وبه يتنفس أنفاس الحق.

* * *

البقاء أنانياً ليس إلاّ تعبيراً عن رؤية الحق دون إدراكه وفهمه، وعدم قطع أي مسافة في طريق اللانهاية، بل البقاء في المكان نفسه معصوب العينين. والذين يفكرون دائماً وأبداً في نطاق الأنانية، ويقومون ويجلسون بها، ويبحثون ما يبحثون عنه في إطارها لن يتقدموا خطوة واحدة إلى الأمام وإن مشوا سنوات وسنوات وقطعوا الفيافي والقفار.

* * *

الأعمال المنفذة حتى وإن كانت أشق الأعمال وأكثرها إرهاقاً إن عملت من أجل الأنانية لم تعد فضيلة على الإطلاق، ولم تحز على القبول الإلهي. والذين يعجزون عن تجاوز أنفسهم، ولم يمزقوا أنانيتهم والمحرومون من البصيرة... حبطت أعمال هؤلاء... وحرموا من كل شيء، حتى أن كل أعمالهم وتضحياتهم تذهب هباء منثورا.

* * *

لما كانت الأنانية صفة شيطانية، فإن مصير المنخدعين بها هو مصير الشيطان نفسه دون شك. بل إن دفاع الشيطان ومعذرته لم تكن إلاّ نغمة

أنانية. فالنبي آدم عليه السلام عندما هفا هفوة، أطلق دموع الندم والتوبة ورجع إلى الله واستغفره، بينما نرى في كل كلمة من كلمات اعتذار إبليس عناداً وغروراً وعدم احترام وعدم توقير.

* * *

قد تنشأ الأنانية من العلم، أو من الثروة والسلطة، أو تنبع من الذكاء، أو تتضخم بالجمال... وهناك أنواع أخرى. ولما كان الإنسان لا دخل له في إيجاد هذه الصفات، لذا فأي ادعاء أو دعوى تكون وسيلة لغصب حق صاحب الملك الحقيقي وجلب لسخطه، وتؤدي في النهاية إلى هلاك أرواح هؤلاء المغرورين.

* * *

عندما تنضم الأنانية الفردية والشخصية إلى أنانية جماعة نراها تتضخم وتأخذ شكلاً عدوانياً. وتبدأ هذه الأنانية المتوحشة بتحويل كل شيء –حتى الأمور الخيرة– إلى غيوم سوداء تقوم بإمطار كل ما عرفه البشر من شرور.

أجل! فالعلم يكون في يد هؤلاء ضياء كاذباً ووسيلة للثروة والغرور والمظاهر، والقلب جحراً للأفاعي والحيات، والجمال فتنة للآخرين وضرراً، والذكاء وسيلة للضحك على الذقون.

* * *

الفلسفة كانت ولا تزال تمثل الأنانية، والنبوة تمثل الحق والتواضع. طريق الفلسفة حافل بالشكوى والشبه والخداع والشدة والغضب، وصدامات عنيفة كصدامات جبال الثلج وتفتتها، بينما نجد النور في طريق النبوة وانشراح القلوب ونجدة الملهوف والتساند والتعاون.

* * *

الرغبة في عرض النفس للآخرين والتحدث على الدوام عنها ناتجة عن عقدة الشعور بالنقص. ويستمر هذا الوضع عند هؤلاء حتى تلقيهم دروساً جيدة في تربية النفس والروح يصلون بها إلى فداء وجودهم لصاحب الملك

الحق. كل أمر من أمورهم تفوح منه رائحة الأنانية وحب المظاهر. وكل مظهر من مظاهر تواضعهم إما خداع ورياء، أو محاولة لكسب الآخرين... سحقاً وألف سحق للأنانيين أعداء الحق!..

التواضع

الذين يلصقون خدودهم بالأرض هم أصحاب المراتب العليا عند الحق تعالى وعند الناس كذلك. أما الذين يشمخون بأنوفهم ويستعلون على الناس ويحتقرونهم فلا يجدون سوى البغض من الناس والعذاب من الله تعالى.

* * *

الذين يفتتنون بأنفسهم ويعجبون بها ويعظمونها يبرهنون على نقصان عقولهم وفجاجة أرواحهم. والإنسان العاقل والناضج روحياً يعلم أن كل مزية من مزاياه هبة من الله تعالى. لذا تراه في شكر دائم وفي خضوع وخشوع أمامه.

* * *

التواضع يجلب تقدير الخالق ورضاه حتى وإن جلب استهانة الناس أو إزدراءهم، لذا فهو يشرح القلب. أجل! فالشخص المتواضع يكون قد دخل -بإحساسه برضا الله- في درع حصين، وقلعة منيعة وإن استهان به الناس واستخفوا به.

* * *

التواضع علامة على نضج وعلى فضيلة الشخص. والكبرياء علامة نقصه وانخفاض مستواه. أكمل الأشخاص هم الذين يتعارفون مع الناس ويمتزجون ويؤسسون علاقات المودة معهم. وأنقص الأشخاص هم الذين يكرهون مخالطة الناس ويستنكفون من ذلك، لأن ذلك لا يتلائم مع غرورهم وكبريائهم.

* * *

الذين يعيشون في مجتمع لا يعرف قدرهم وقيمتهم، سرعان ما يعلون نحو المعالي بسبب سجية التواضع عندهم. أما المبتلون بعقدة الكبرياء فسرعان ما يكشفهم المجتمع فيتحولون بمرور الزمن إلى عنصر غريب ومنفور في محيطهم.

* * *

إن ارتفاع أي شخص إلى مرتبة الإنسان لا يكـــون إلاّ بتواضـــعه. ولا يظهر هذا التواضع ولا يتوضح إلاّ عندما لا يستطيع المنصب والجاه والشهرة والعلم (وهي الأمور التي يقدرها العوام) على تغييره. فإن استطاع أحد هذه الأمور تغيير سلوكه أو تفكيره عند ذلك لا يمكن الحديث عن أي تواضـــع، ولا عن ارتفاعه إلى المستوى اللائق بالإنسان.

* * *

يكاد يكون التواضع مفتاحاً لجميع السجايا الحميدة. والذي يملك هـــذه السجية يستطيع امتلاك السجايا الحميدة الأخرى. ومن يحرم منها يحـــرم – على الأكثر– من السجايا الحميدة الأخرى. فبينما استطاع الـــنبي آدم عليه السلام بتواضعه أن يسترجع كل ما فقده من نفائس تتجاوز قيمتها العالم المـــادي، أصبح الشيطان الذي تورط في الذنب معه ضحية لغروره وكبريائه.

* * *

لم يسمُ في التكايا والزوايا سوى من وضع خديه علـــى التـــراب. ولم يستفد في المدارس الدينية والمدارس الاعتيادية سوى المتواضعين خلقاً، وكانوا هم الذين أفادوا المجتمع. أما الذين شمخوا بأنوفهم، وخالفوا أصـــول وآداب الزوايا والتكايا، ولم يسمح لهم غرورهم بالجلوس وتلقي العلوم من حلقـــة تدريس عالم فقد ذهبوا وضاعوا.

* * *

لما كانت الكبرياء من صفات الألوهية، فإن مدعي الكبرياء من المغرورين تعرضوا على الدوام للغضب الإلهي وأُهلكوا بيد قدرته. أما الـــذين عرفـــوا حدودهم فتواضعوا فقد سموا ووصلوا وسعدوا بالقرب الإلهي.

الإنسانية

على الإنسان أن يجعل من نفسه ميزاناً يزن به كل شيء في سلوكه تجاه الآخرين. فما يريده لنفسه عليه أن يريده للآخرين. وعليه ألاّ ينسى أنه عندما يكره تصرفاً معيناً تجاهه فإن الآخرين أيضاً يكرهونه، فيتخلص بذلك من جميع التصرفات الخاطئة من جهة، ويسلم من إيذاء الآخرين وجرح قلوبهم.

* * *

أنت ترى أن الإحسان المسدى إليك يلين قلبك ويزيد من محبتك وتقديرك لصاحب الإحسان، إذن تكون قد اهتديت إلى الطريق الذي يوصل الآخرين إلى محبتك وتقديرك.

أحسن إلى الأناس تستعبد قلوبهم   فطالما استعبد الإنسان إحسان

إذن فالإحسان أفضل طريق للوصول إلى قلوب من ترجو منهم خيراً أو تخشى من جانبهم شراً.

* * *

لا يظهر كمال الإنسان ونضوجه إلاّ عندما لا ينحرف عن طريق الحق حتى بالنسبة للأشخاص الذين أساءوا إليه، بل لا يتردد في إسداء الخير إليهم. أجل! على الإنسان ألاّ ينحرف عن الإنصاف وعن المروءة حتى تجاه من رأى منه الإساءة والشر. ذلك لأن القيام بالإساءة تصرف حيواني، ومقابلة الإساءة بالإساءة نقص خطير في الإنسان. أما مقابلة الإساءة بالإحسان، ومقابلة الشر بالخير فعلامة من علامات السمو والشهامة.

* * *

ليست هناك حدود في إسداء المعروف إلى الآخرين، فالإنسان الشهم قد يضحي حتى بروحه من أجل الآخرين. ولكن هناك شرط واحد لكي تكون

مثل هذه التضحية علامة فضيلة، وهو أن تكون هـذه التـضحية بـصدق وإخلاص وصفاء نية، وبعيدة عن التعصب العرقي والقبلي.

* * *

إن إنسانية أي شخص ومروءته وشهامته تكون واردة بدرجة قربه مـن أصدقائه وأحبائه وبدرجة استمرارية هذا القرب. لذا فالحديث عن الشهامة دون إظهار هذا القرب منهم يبقى مجرد ادعاء فقط.

أما إسداء المعروف إليهم مقابل معروفهم وجعل ذلك شرطاً، أو القيـام أحياناً بعقابهم بقطع هذا المعروف عنهم، فتصرف يدل على عـدم نـضج الروح والعجز عن إدراك الحقيقة أو الوصول إليها.

* * *

من أفضل أنواع المعروف التي يمكن للإنسان عملها تجاه الآخرين هـو التعامي عن رؤية التصرفات غير اللائقة الصادرة منهم وتجاهلـها وتناسـي تقصيراتهم. أما البحث عن أخطاء الآخرين وتقصيراتهم وعيـوبهم فـشيء خارج عن نطاق الأدب. أما إشاعة هذه العيوب والتحدث عنها هنا وهناك فنقيصة لا يمكن الصفح عنها. أما ذكر هذه العيوب وتعـدادها لأصـحابها فضربة قاصمة للإخاء وللمودة التي تربط بين الأفراد، لأن الأنانية التي تثـار عنده ستمنع تأسيس المودة مرة أخرى.

* * *

والإنسان الناضج والكامل هو الشخص الذي يعد أكبر معروف يسديه للآخرين شيئاً ضئيلاً، وأصغر معروف يُسدى إليه شيئاً كبيراً. مثـل هـذا الشخص يكون قد سما إلى الخلق الإلهي ووصل إلى الاطمئنان القلبي. مثـل هذا الشخص لا يمن بإحسانه ومعروفه أبداً، ولا يشكو من الإهمال وعـدم الاهتمام الذي قد يتعرض له.

الصداقة والإخاء

من يكرم أصدقاءه وإخوانه ويعزهم يربح من يدافع عنه ضد أعدائه ويذود عنه.

* * *

حاجة الإنسان إلى أصدقاء مخلصين لا تقل أهمية عن حاجاته الضرورية الأخرى. ومن وصل إلى الأمن والطمأنينة من ناحية أصدقائه وأحبائه يكون قد وصل إلى الطمأنينة في كثير من النواحي.

* * *

الإنسان العاقل هو الإنسان الذي عندما تسوء علاقاته مع محيطه، يسعى بسرعة إلى إزالة خلافاته ويجدد صداقاته ويؤسسها مرة أخرى. والشخص الأعقل هو الذي لا يقع أبداً في سوء تفاهم أو خلاف أو قطيعة مع أصدقائه.

* * *

إن استمرار العلاقة بين الأصدقاء واستمرار المحبة والتآلف بينهم –ضمن نطاق الشرع– مرتبط بمدى الفهم والإيثار الذي يبدونه فيما بينهم. والذين لا يملكون نحو الآخرين مبدأ التضحية في أفكارهم وفي سلوكهم وتصرفاتهم سرعان ما تنطفئ الصداقة بينهم وتزول.

* * *

ومصداقية الصداقة الموجودة عند أحدهم نحو أصدقائه تقاس بمدى مشاركته لهم في آلامهم وفي أفراحهم. فمن لا يبكي لبكاء أصدقائه ولا يضحك لضحكهم لا يعد صديقاً وفياً.

* * *

محك الصداقة والأخوة الحقيقية هو استمرار هذه الصداقة وهذه الأخوة

عندما يكون الأصدقاء في ضيق مادي وفي ظروف صعبة. فمـــن لا يكـــون بجانب أصدقائه في الأوقات الصعبة وفي الظروف الخطرة فلا علاقة له مـــع مفهوم الصداقة.

* * *

الشخص الذي يكثر نزاعه ونقاشه مع المحيطين به يقل أصدقاؤه. ومـــن أراد زيادة أصدقائه ورغب في أصدقاء أوفياء، عليه الابتعاد عـــن الـــدخول معهم في نقاشات لا طائل منها.

* * *

الصداقة قبل كل شيء عمل قلبي. فمن توهم أنه يستطيع الحصول عليها بالرياء والخداع فهو مخدوع. وقد يجتمع لفترة محدودة حول أمثال هـــؤلاء ثلاثة أو أربعة من الأفراد البسطاء المنخدعين بتملقه ومداهنتـــه، ولكـــن لا يوجد أي احتمال لاستمرار هذه الصداقة مدة طويلة.

* * *

كما يوجد هناك أعداء خفيون، كذلك هناك أصدقاء خفيون. والصديق الخفي هو الذي يعد إظهار نفسه مداهنة. لذا فكما نسعى لمعرفة أعـــدائنا، علينا السعي ألا نهمل السعي لمعرفة أصدقائنا. لأنه من الممكـــن أن يكـــون الأصدقاء الذين نصادفهم دون بحث غير موثوقين تماما.

* * *

الصديق الحق هو الذي يرعاك في أوقات الضيق، وليس الذي يهز رأسه موافقا لك في كل أمر.

* * *

إن أكرمت نفسك وأعززها، أكرمك الآخرون كذلك وأعزوك.

حقوق الوالدين

الوالدان أولى الأشخاص بالاحترام عند كل إنسان. والذي يقصر في احترامهما يكون عاصياً لله تعالى. ومن آذاهما تعرض للإيذاء آجلاً أم عاجلاً.

* * *

منذ اليوم الأول لتلقي الإنسان هبة الحياة ثم ترعرعه شيئاً فشيئا، يكون حملاً وعبئاً على أكتاف والديه. وليس في الإمكان هنا تعيين عمق شفقة الوالدين ورحمتهما، ولا مقدار العبء الذي يتحملونه. لذا فاحترامهما وتقديرهما واجب من جهة، ودين إنساني من جهة أخرى.

* * *

الذين يعرفون قدر الوالدين. ويعدوهما وسيلة للوصول إلى الرحمة الإلهية هم المحظوظون هنا في الدنيا، وهناك في الآخرة. أما الذين يستثقلون وجودهما ويملون من استمرارهما في الحياة، فهم التعساء والمرشحون لأرذل حياة وأسوئها.

* * *

بدرجة توقير الإنسان لوالديه يكون موقراً لخالقه تعالى، ومن لا يوقرهما لا يوقر الله تعالى. لذا فما أعجب وأغرب حادثات الأيام التي يدعي فيها البعض حب الله تعالى -دع عنك الذين لا يوقرونه- ولكنهم لا يتوانون أبداً عن مخاصمة والديهم وعدم احترامهما!

* * *

على الأبناء احترام وتوقير والديهما التوقير كله. وعلى الوالدين الاهتمام بالجانب الروحي والقلبي للأبناء قدر اهتمامهما بحاجاتهم المادية والجسمية. لذا عليهما تسليم الأبناء إلى من يستطيع تربيتهم التربية الروحية الصحيحة.

لذا فما أكثر جهل الوالدين الذين ينسون الجانب الروحي والقلبي للأبناء، وما أتعس هؤلاء الأبناء الذين يذهبون ضحية جهل والديهم.

* * *

الأبناء الذين لا يبالون بحقوق الوالدين ويرفعون راية العصيان تجاههما ليسوا إلاّ وحوشاً في صورة إنسان. أما الوالدان اللذان لا يبذلان جهدهما لتأمين الحياة المعنوية الصحيحة لأبنائهما فهما والدان غداران لا يملكان الرحمة. والأسوأ منهما من يبذل جهده لقطع الطريق أمام الأبناء الذين اهتدوا إلى الطريق الصحيح.

* * *

البيت هو لبنة بناء المجتمع، فكلما أبدى أفراد البيت الاحترام والتوقير لحقوق ووظائف الآخرين، كان ذلك المجتمع متيناً وصحياً، وإلاّ فمن العبث العثور على الاحترام والشفقة في مجتمع أضاع هذا الاحترام والشفقة في بيوته.

حقوق الطفل

عندما خلق الإنسان خلق مع أليفه وصديق حياته. ولم يبق وحده إلا مدة قصيرة. لذا فإن خلقه مع زوجه يدل على أن الزواج شيء فطري للإنسان. وأهم هدف لهذه الوظيفة الفطرية هو التناسل. لذا فإن لم تكن الذرية هدفاً للزواج، كان ذلك الزواج عبارة عن مغامرة وتسلية وبقصد اللذة فقط. أما الأطفال الذين يأتون من هذا الزواج فليسوا إلاّ ضحية للحظة لذة.

* * *

لا يستمر نسل الإنسان إلا بالإنسان وحده. فإلى جانب الإنسان الذي ارتفع إلى حياة القلب والروح، هناك أجيال لم تر ولم تلق التربية ولم تنمّ

ملكاتها الروحية فلم تصل إلى مستوى الإنسانية. وإن كانت من نسل آدم عليه السلام فهي مخلوقات غريبة. فما أتعس المخلوقات من الأمهات والآباء الذين كان من نصيبهم تنشئة مثل هذه المخلوقات.

* * *

بنسبة قيام الآباء والأمهات بتزيين الأبناء بالفضيلة يحق لهم أن يقولوا: هؤلاء أبناؤنا. لذا فليس من الملائم للآباء والأمهات الذين يهملون تربية أبنائهم أن يدعوا مثل هذا الادعاء. ولكن ماذا نقول إذن للآباء الذين يدفعون أبناءهم إلى طريق الشر والرذيلة ويبعدونهم عن المستوى اللائق بالانسان؟!

* * *

إن بقاء أمة ودوامها مرتبط بالأجيال التي تنشئها... بالأجيال الصالحة المتشربة بروح الأمة. والأمة التي تفشل في تنشئة الأجيال الصالحة التي تستطيع إيداع مستقبلها بين يديها... مستقبل مثل هذه الأمة مستقبل مظلم. ولا شك أن الوظيفة الأولى في تنشئة الأجيال تنشئة صالحة تقع أولاً على الآباء والأمهات.

* * *

إن قام الآباء والأمهات بواجبهم على نحو صحيح نحو أبنائهم وربوهم تربية صالحة بحيث يكونون ذوي فائدة لأنفسهم ولمجتمعهم فإن الأمة تكون قد ملكت ركناً قوياً ومهماً. أما إن كان العكس، أي أهملوا تربية مشاعر وأحاسيس أبنائهم تربية صالحة فكأنهم يدفعون إلى المجتمع حشرات ضارة.

* * *

عندما تقلم الأشجار، أو عندما تراعى تربية الحيوانات رعاية صحيحة نحصل على ثمرة هذا الاهتمام، ويستمر نسل تلك الشجرة وذلك الحيوان. ولكن عندما تترك الأشجار أو الحيوانات دون رعاية واهتمام لا نستطيع

الاستفادة منها الاستفادة المطلوبة. إذن ألا يستحق الإنسان المرسل إلى الدنيا بألف قابلية بذل الاهتمام والرعاية التي نبذلها لشجرة؟

* * *

يا ابن آدم! أنت الذي تقوم بجلب الأطفال إلى الدنيا، لذا فوظيفة الارتفاع بالطفل إلى ماوراء هذه السماوات تقع عليك وحدك. فكما تهتم بصحة جسمه وتشفق عليه من المرض، اهتم بحياة قلبه وبروحه واشفق على ذلك المسكين وأنقذه بحق الله، ولا تدعه يخسر الدنيا والآخرة.

يُلدغ المؤمن مرة واحدة فقط

لا يرتفع أي فكر أو مبدأ عظيم إلا بنظام فكري موزون، ولا يجد الحياة والأنصار إلاّ ضمن تخطيط صحيح. وعند ذلك يتحول إلى محراب تتوجه إليه أنظار مؤيديه وأنصاره. والمبدأ الذي لا يجد هذا العون وهذه القاعدة من الأنصار والمؤيدين يموت ويزول قبل ولادته.

* * *

القوى التي لا تعتمد في وجودها وعدمها، أو تجمعها أو تفتتها علينا، ولا نؤثر نحن فيها فمن العبث قيامنا بعقد أي أمل عليها. والذين عقدوا تحقيق آمالهم عليها عرفوا أنهم مخدوعون. والذين أسسوا مستقبلهم وبنوه عليها انسحقوا تحت أنقاض ما بنوه.

* * *

إن سمو الفكرة ومتانة التخطيط وإخلاص الأفراد الذين يمثلون تلك الفكرة إخلاصاً قلبياً عميقاً عناصر مهمة في نجاح أي دعوة. ولكن يجب التأكد من عمل الأسباب والعوامل التي يتم اختيارها عند التخطيط لأي بناء بحيث تؤدي إلى النتائج المرتقبة. والذين يعقدون آمالهم على أسباب غير

مجربة، و لم يتم تأييدها من قبل ديوان أو مجلس عال، يصابون هم وكـــذلك الذين عقدوا آمالهم عليهم بخيبة أمل شديدة.

* * *

يجب أن يستند الحق إلى الحق أيضاً، أي يجب أن يتم البحث عن أقـــوم السبل. فمن الغفلة أن تبحث عن الحق في أوساط لم تعرف الحق و لم يخطـــر الحق على بالها. ومخدوع من بحث عن الحق في ظلام الأســـباب وأجوائهـــا الباطلة.

* * *

لا يمكن بناء الأشياء الصحيحة والإيجابية بأفكار سلبية أو بواسطة آليـــة سلبية. ووضع الأمور الإيجابية في وسط الأمور السلبية يشبه المشي في فراغ الأبواب الدوارة. يجب ألاّ يقف المشي والحركة، ولكن يجب ألا يتم التصادم معها أيضاً.

* * *

يجب ألاّ تربط الحقائق الخالدة الباقية بالأشياء المتغيرة. فكما لا يصح لك أن تؤسس أهم مؤسساتك وأكثرها حيوية وأهمية فوق جزيرة عائمة وسابحة في البحر، كذلك لا يصح لك تسليم إدارة ودفة أمورك إلى نظم هي في يد الآخرين.

التناقضات

كيف يمكنك الوصول إلى نقاء في الفكر وفي الأحاسيس، وكيف يمكنك تنمية ملكاتك الإنسانية وقابلياتك لكي تكون من الربانيين دون أن تتملص من الشهوات الجسمانية والشهوات البهيمية وتعلن عصيانك عليها؟

* * *

إن كنت ترغب الوصول في حياتك القلبية إلى "التوحيد" وتذوق اللذائذ الروحية وتغرق فيها... كيف يتسنى لك هذا وفي جوانحك تتراقص ألف رغبة وهوى؟ وكيف يتسنى لك هذا وأنت تستجيب في كل منعطف إلى رغباتك الجسدية؟

* * *

إن كنت تتمنى الانطلاق إلى الأعالي، وتسمو إلى عوالم وراء هذه السماوات... إن كنت تتمنى هذا فكيف يليق بك التعلق بأوحال هذه الدنيا كطفل ساذج؟

* * *

أنت تنتظر على الدوام فجراً جديداً يطل على أفقك، ولكن كيف يمكن ذلك دون أن تزين قلبك بالمثل السامية، ودون أن تأخذ مكانك وموضعك القديم، ودون أن تكون صرخة تدوي في سمع الدنيا؟

* * *

أنت تريد جلب حلول للمشاكل المزمنة المتراكمة منذ عصور وعصور... كيف يمكنك ذلك إن لم تملك أملاً، وإن لم تملك عزم وصبر الانتظار سنوات وعصوراً؟

* * *

أنت تتحدث عن تقدم الوطن وعن سعادة المواطنين... ألم تفكر كيف يتسنى هذا إن لم تؤلف بين المدرسة والمعسكر والتكية ولم ترتفع بأجيال هذا المثلث فوق جميع مثلثات الشيطان؟

* * *

إن كنت تروم عيش حياة الروح والقلب، وإن كنت تصبو إلى التسامي في مشاعرك وعواطفك... إن كنت تروم هذا فكيف تحصل عليه دون الصوم حتى الغروب؟

* * *

أنت تروم جعل دول الدنيا تحترمك وتحسب لك الف حساب... ولكن قل لي كيف تستطيع ذلك إن لم ترجع إلى نفسك وترمـــي عنـــك لبـــاس المسكنة وتكون مثل محمد الفاتح أو السلطان ياوز؟

* * *

أنت تتوقع أن تكون أمام جميع الأنظار دوماً، وأن يُصفق لك ويُهتـــف بإسمك، ولكن أنّى يكون هذا وأنت تنكث عهدك كل يوم خمسين مرة؟

* * *

أنت ترى نفسك دون أي نقص أو قصور، وتريد من الآخرين أن يروا هذا الرأي ايضا... ولكن أنّى يكون هذا وأنت تحمل على ظهرك ألـــف إثم كل يوم؟ وكيف يمكن هذا وتصرفاتك في المجتمع تنم عن تناقضات عديدة؟

بلية اللسان

الثرثرة مرض يدل على عدم توازن العقل والروح. والكـــلام المعقـــول والمقبول هو الكلام الذي يصل إلى عقل المخاطب عن أقصر طريـــق ودون تشويشه. ولكي تفهم مخاطبك شيئاً لا تحتاج إلى ثرثرة طويلة، بل إن الثرثرة تجلب أضراراً في أحيان كثيرة. لأن الكلام الكثير قد يحتوي على تناقـــضات عديدة ويجلب أسئلة جديدة لفكر المخاطب، وهذا الأمر أقرب إلى الـــضرر منه إلى النفع بالنسبة إليه.

* * *

الإنسان العاقل هو الإنسان الذي يدع فرصة الحديث والكلام للآخرين ويُؤَمِّنُ فرصة لتحدث الآخرين -ممن يرجو منهم الفائدة له وللغير- أكثر من تحدثه هو.

والحقيقة أن تحدث الآخرين أمام من تنور عقله بنـــور الكـــون وقلبـــه

بالمواهب الإلهية يعد عدم احترام وعدم توقير، كما أن صمت أمثال هـؤلاء الأشخاص الكاملين يعد خسارة للمجتمع.

* * *

التحدث قليلاً والاستماع كثيراً أمارة من أمارات الفضيلة والنـضج في الإنسان. أما شهوة إجبار الآخرين للإنصات والاستماع له وإن لم تـدل في كل حين على مرض نفسي، إلاّ أنها بلا شك علامة من علامـات عـدم التوازن وعدم الحياء في الإنسان.

* * *

يجب أن يكون كل كلام إما لحل مسألة أو إجابة على سؤال. ويجـب الانتباه عند التحدث ألا يكون سبباً وجالباً لملل وسأم السائل او المستمعين.

* * *

من الطبيعي أن يصمت الإنسان عند وجوب الصمت، ويتحدث عنـد وجوب الحديث. غير أنه من الأفضل أن يتكلم أكثر الأشخاص إفادة. وهذا مرتبط بالأدب وبفهم فضيلة السكوت. وما أحسن ما قاله أجـدادنا: "ان كان الكلام من فضة، فالسكوت من ذهب".

* * *

لا ترتفع قيمة الإنسان وقدره بطول كلامه، بل بمدى فائدة هذا الكلام، بل على العكس فالشخص الذي يتحدث على الدوام سيقع في أخطاء كثيرة لا سيما إن كان حديثه يتناول مواضيع فكرية دقيقة أو مواضـيع تتطلـب الاختصاص، فيخل بذلك بقيمته ويهبط بمنـزلته، وما أصدق من قال: "من كثر كلامه كثر خطؤه".

* * *

يُظهر الإنسان نفسه بكلامه، وتعكس تصرفاته وسـلوكه سمـو روحـه. والشخص الذي يتصور أن من واجبه أن يدلي في كل موضوع بدلوه ولا يدع فرصة الحديث للآخرين... مثل هذا الشخص الثرثار سرعان ما يقابل بـالنفور

والضيق من قبل أصدقائه ويتعرض لإهاناتهم. وفي مثل هذا الوضع قد نفقد فرصة الاستماع إلى آراء جيدة من الآخرين، كما أن حقائق سامية ستتعرض للاستهانة وللهزء لكونها صدرت من فم ثرثار، وهذا عدم توقير لها.

* * *

لقد كان شعار قلة الكلام شعاراً من شعارات الناضجين إلى جانب شعار قلة الأكل وقلة النوم. وأول وصية لمن يريد تربية ملكاته الروحية هو وجوب سيطرته على لسانه والحذر من الكلام عشوائياً. والذي يفتح فاه ويكثر من الهذر... مثل هذا الشخص قد يسوقه لسانه هذا – الذي يكون عادة أكبر من عقله وأطول – إلى الخسران هنا في الدنيا وفي الآخرة ايضاً.

* * *

أما الذين يدعون فعل ما لم يفعلوا فأمرهم أمرّ، وحالهم أسوأ. لذا فقد بين الصادق الوعد الأمين أن المحافظة على اللسان وعلى ما بين الفخذين وسيلة وطريق من طرق الوصول إلى الجنة.

* * *

على قدر ابتعاد الإنسان عن مرض العجب بنفسه وبكلامه وعن عدم إعطاء فرصة الحديث للآخرين يكون قريباً من الخالق ومن المخلوقين ومحبوباً لديهم، وبعكسه لن يجد المكانة التي تأملها لا عند الخالق ولا عند الناس.

في طريق الأبدية

وجودنا مستمد من وجود الخالق تعالى، وعظمته تحيط بالكون وبالكائنات، ونوره يتألق في كل شيء. السماوات والأرض لمعة من بريق نوره، والوجود كله عبد خاضع لديه. هو المحراب الأبدي لكل قلب واصل إلى الحقيقة... هو الوجود الوحيد للأولياء العارفين الذين سموا بأحاسيسهم

إلى الأعالي... هو القبلة الوحيدة... مجنون من تركه وتوجه إلى غيره... ومخدوع من شكى حاله لسواه... من ترك بابه خسر خسراناً أبدياً وضل طريقه... القلوب التي لم تتنور بنوره تركض وراء السراب، وتتعب دون جدوى... الكون مضاء بنوره ومنقلب إلى كتاب... والزمان يغدو بالأنفاس السحرية اللاهثة في طريقه من كونه شيئاً نسبياً ويكتسب معنى وقيمة.

* * *

هو الذي أوجد الأشياء وقدرها تقديراً وجعلها تتكلم بألف لسان ولسان.. لولاه لما وجد أي شيء من نفسه، ولولاه لما انتظم أي شيء... بعنايته تحول الكون إلى إنسان، والنظام إلى لسان ولغة. كل شيء يهمس به، وكل شيء ثمل بجماله. إن لم يكن الوجود مرآة له فما فرقه إذن عن حديد صديء؟ وهل يكون الإنسان إنساناً إن لم يذكره ويعرّفه؟ آه أيتها الأرواح المظلمة! وآه أيها الصُمّ عن صراخ القلوب! متى سينتهي لهوكم بالدمى، والى متى ستغمضون عيونكم عن الحق؟

* * *

ولأن الإنسان ألفى نفسه موجوداً في عالم تحيط به المادة من حواليه، وجد نفسه يؤمن أول ما يؤمن بما يصل إليه من هذا العالم بوساطة حواسه الخمسة، ثم يقوم بتفسير معاني الأشياء ويكسر القيد الحديدي عن عنقه ليرى الحقيقة الموجودة في قلبه. ولكن هناك من يبقى طوال حياته أسيراً لهذا الطوق الحديدي حول عنقه فلا ينجح في التقدم خطوة واحدة إلى الأمام. لذا كان علينا عندما نتناول الأشياء المحيطة بنا أن نقرأها ككتاب وأن نستمع إليها كنغمة ونشيد. في هذه القراءة والاستماع علينا ألاّ نغفل عن كاتب هذا الكتاب وملحن وقائد أوركسترا هذا النشيد، وإلا فإن الغافلين لا يسمعون أنفاس الحقيقة ونبضها في قلوبهم. ومهما غرقوا في الأدلة المستقاة من دراسة الكون فلن يستطيعوا معرفته، ولن يستطيعوا المثول بين يديه.

والأرواح البائسة التي لا تستطيع -ببيانه وبكتابه تعالى- رفع الأستار عن عيونها وآذانها لا تستطيع الارتفاع لمعرفة الحقيقة في وجدانها، أي لن تستطيع معرفته... معرفة كاتب كتاب الكون.

* * *

يا من وُجدنا بوجوده وتنورنا بنوره! يا صاحب الرحمة اللانهائية الذي أنقذنا برحمته من ظلمات النفس الأمارة! لو لم يكن نورك الأزلي الذي تنورت به الكائنات لما استطعنا رؤية أي شيء على حقيقته، ولما استطعنا إصدار أي حكم صائب. وُجدنا جميعاً بعنايتك أنت، فلتكن عنايتك معنا... تعلمنا الحقيقة من علمك، ولو لم تتلطف بإلهام أرواحنا عن وجودك كيف كنا نعرفك؟ ومن أين كنا ندرك وجودك؟ وكيف كنا نصل إلى الاطمئنان؟

* * *

جعلت كل موجود لساناً، ومن بين هذه الألسنة جعلت الإنسان بلبلاً، فلا عدمنا من يعرّفك! أجل نثرت الآيات التي تتحدث عنك في كل أرجاء الكون، وجعلتنا نقرأ هذه الآيات، وأَسْمَعْتَ قُلوبنا صَوْتَ الحقيقة، فبدأنا نحدس بفضل هذا العلاقة بين الموجد والموجود... بين الخالق والمخلوق... وبشوق وفوران هذه الحقيقة في قلوبنا بدأنا نرتفع نحوك، ونتخلص من ظلام النفس ومن دوامات الرغبات الجسدية ونصان منها.

عندما عرفناك وصلنا إلى لب المعرفة وأدركنا سر الجمال الذي نقشته في روح الأشياء. لذا فإن كنا نحدس الحكم الموجودة في سيماء كل وجود، ونسمع في كل صوت في الطبيعة موسيقى ساحرة ونغمات حلوة فكل هذا بفضلك أنت... نثرت اللوحات الرائعة للجمال الموجود في الكون، أي في كتابك المذهل، فأثرت قلوبنا بالوجد. وفككت عقال ألسنتنا أمام هذا الجمال الذي أنت صاحبه، فسالت منها روائع البيان. ولو تأملنا جمال كتاب الطبيعة الذي لا مثيل له مئات المرات، واستمعنا إلى النغمات التي همس

بوجودك مرات ومرات، وعرضنا ذلك بوجد على المشاهدين المشتاقين إليك، لما ارتوينا من هذا العالم النوراني، وبقينا في شوق لسماعك والإنصات إليك، وبقينا في لهفة وفي وجد إليك وحدك.

* * *

يا سلطان الوجود الذي جعل قلوبنا عارفة بصور جماله الخفي! كم ألف مرة حاولوا أن يعرّفوك من الأمس حتى اليوم، وكم كأسا من كؤوس كوثر حبك قدموا لعطشى حبك! ولكن أيمكن لصاحب هذا الصوت الخافت، ولصاحب نغمة هذه الربابة المكسورة في هذه اليد العاجزة أن يقول شيئاً بجانب النغمات السحرية لتلك الأرواح المشعة نوراً من سالكي الطريق الموصل إليك؟ ولكننا نلوذ بحمى لطفك ومسامحتك وبكرمك الذي أعطى للجميع حرية الكلام والحديث. لذا أقبلنا على بابك الواقف أمامه أمراء البيان والبلاغة ونحن نخفي من الحياء وجوهنا بنقاب ونقول: "هذه هي بضاعتنا المتواضعة من النغم..." نقول هذا ونطلب العفو والصفح.

ومع هذا، فإن الكلام الحقيقي في هذا الموضوع يعود أيضاً إليهم. نحن نعترف بهذا مرة أخرى، فبجانب بيانهم الذي يشبه الشلال الهادر نحاول نحن أيضا الحديث عنك وعن قدرتك وحكمتك اللانهائية.

لقد استمعنا حتى الآن إلى بعض المرشدين إليك، وأنصتنا إلى أصواتهم، وحاولنا فهم إشاراتهم. ومن خلال النوافذ التي انفتحت في قلوبنا وبالإشارات المختلفة الواصلة إلينا من هؤلاء المرشدين نحنّ إلى أن نراك في كل شيء، ونسأل عنك كلَّ شيء، ونرتفع إليك من طرق مختلفة.

نوّر أعيننا وبصائرنا بنورك واشف صدورنا. وَهَبْ السعادة الأبدية لنا... لعبيدك الذين لا يريدون العتق من العبودية... وعرفهم بنفسك أكثر لكي يدلوا الحائرين إلى طريقك وينجدوهم. فالعفو يليق بك... والإرشاد إلى طريقك يليق بهم...

نقاط الالتقاء والاتحاد [1]

تحفل أيامنا الحالية بالكثير من التيارات الفكرية، وهذا شيء طبيعي، ذلك لأن الإنسان الحالي يعيش أزمة خانقة، فكما تشكل الشكوك أساس العلم، إذ تسوقه للبحث والتدقيق، كذلك فإن الأزمات هي منشأ التيارات الفكرية.

نرى أن المجتمعات المعاصرة التي تم إشباع جميع حاجاتها تقل فيها المشاكل الاجتماعية إلى درجة الانعدام. أما المجتمعات التي لم تشبع حاجاتها المادية والمعنوية، ولم تستطع تنمية تطورها الطبيعي ولم تتسارع هذه التنمية لديها فنرى تزايد الضغوط الخارجية والداخلية فيها ثم زيادة أزماتها.

إنَّ الأزمات والاضطرابات الاجتماعية تشبه نزول الثلج وهبوب العواصف، لذا تكون في الأكثر حميدة من ناحية العواقب والنتائج، لأن هذه الأزمات تعمل على تجديد المجتمع وتساعده على فهم طبيعة العصر الذي يعيش فيه. لأن المجتمع إن لم يدرك طبيعة العصر الذي يعيشه، ولم يستطع التفاعل مع أحداث عصره فلا يمكن القول أنه يعيش ذلك العصر، بل نقول إنه في طريق التفتت والانقراض.

لا شك أن الهزّات والضغوط الداخلية والخارجية وراء هذه الأزمات ذات الطابع العالمي، ووراء مقدمات محاولات التغيير والتبديل وفتح باب لتشكيل بنى جديدة. والأمة التي لا تنقرض بسبب هذه الأزمات والهزات والبنى الجديدة ستأخذ نصيبها وتستطيع المساهمة في تكوين عالم جديد.

لا يمكن أن نستثني أمتنا والأمم الأخرى التي نرتبط معها من هذا الأمر، بل إن من قدر هذه الأمم التعرض أيضاً إلى الأزمات والهزات وتجرع المصاعب والالآم.

---

(١) كتبت هذه المقالة في السبعينات عندما كانت الفوضى والاغتيالات تضرب أطنابها في تركيا. وكان موضوعها كيف نستطيع التغلب على هذه الفوضى. نشرت عام ١٩٧٨ كمقدمة لكتاب كان تحت عنوان "مسار الصلح" الذي تناول أمر كيفية تأمين وحدة البلاد. (المترجم)

ولكن المسألة الأساسية هي إنشاء التجديد على أساس من المبادئ السليمة والقوية التي لا تشيخ ولا تهتز. لأنه إن لم تُعرف القوانين الاجتماعية حق المعرفة، وإن لم يتم العلاج بشكل علمي فإن كل شيء سينقلب رأساً على عقب.

وهكذا فنحن اليوم أمام مفترق الطرق: إما أن نبقى أو نزول. فبعد كل هذه الأزمات الخانقة إما أن نذعن لسلطان العقل كأمة وننجح في تأسيس العالم الذي نتصوره ونتخيله فنصل إلى شاطئ السلامة أو -والعياذ بالله- نتقهقر إلى الوراء بسبب مصالح ضيقة ومنافع آنية تجعل نتائج كل هذه الآلام التي تجرعناها هباءً منثوراً ودون أي ثمرة.

من أهم المواضيع الاجتماعية موضوع الاتفاق والفرقة، أو الوحدة والاختلاف، ويكتسب هذا الموضوع الآن أهمية أكثر بكثير من السابق لأن التهيؤ لمناخ جديد أصبح ضروريا ومن الأمور المهمة التي لا يمكن الاستغناء عنها حالياً، لذا كان لهذا الموضوع الآن أهمية استثنائية، وبدأ يشغل مكانه في مقدمة المسائل الاجتماعية.

إن هذه الفرقة والاختلاف الذي لا مبرر له والذي دفعت الأمة بسببه ثمناً باهظاً ولعدة عصور، بلغ درجة مقلقة في هذه الأيام التي باتت القيادة في يد الأحاسيس والمشاعر وليس العقل. ويمكن القول دون أي تردد أنه لا يوجد ولا يمكن تصور وجود خطر أكبر من هذا الخطر الداهم أمام نهضتنا من جديد.

إن مجتمعنا اليوم ضعيف من ناحية بنيته العلمية والفكرية وفقير من جهة حياته الروحية والقلبية ومحروم من القيادة والتوجيه إلى درجة يرثى لها. وما لم يتم القضاء على مثل هذه الأجواء التي تغذي التعصب وعدم المسامحة فمن العبث الحديث عن الاتفاق والاتحاد.

ذلك لأن التفاهم والتوافق مسألة عقلية ومنطقية. والوحدة التي تستطيع الاستمرار والبقاء هي الوحدة المبنية على العقل وعلى المنطق وعلى القلب

بينما الإخاء والوحدة الموجودة حالياً إخاء ووحدة قائمة على الأحاسيس والمشاعر في الأغلب. ومثل هذه الوحدة تكون ضعيفة وناقصة وغير كافية وقصيرة العمر. وهي عبارة عادة عن تجمعات ضد مجموعة معينة، أو اجتماع ولدته مشاعر الانتقام، أو اتفاق من أجل هجوم أو لصد هجوم... مثل هذه التجمعات القائمة على أساس من أحاسيس ومشاعر فوارة ليست إلاّ تموجات وحركات وقتية سرعان ما تزول، وهي بعيدة من أن تكون كافية لا من الناحية الكمية ولا من الناحية النوعية لبلد ولأمة محاطة بالأعداء من جميع الجهات. أما من زاوية مبادئنا المقدسة فبعيدة جداً عن التصويب أو التجويز كما لا تعني شيئا بالنسبة لمستقبل أمتنا.

إذن فهناك ضرورة قصوى في تناول العوامل التي تشكل أساس وحدتنا تناولاً عقلياً يأخذ في نظر الاعتبار أيضاً جميع عوامل التفرقة الداخلية منها والخارجية. أي يجب تعيين الغايات والوسائل والأهداف والمقاصد من جديد مع الارتباط بموثق وعهد قلبي. فلأجل تأمين وحدتنا التي هي أساس سعادتنا المادية والمعنوية وسعادتنا في الدنيا وفي الآخرة نحتاج إلى صيغة اتحاد حاجة ماسة جداً.. في الأقل كالاتحاد الأنكلوسكسوني والغال.

ومع أننا لا نتقن فن إشغال أعدائنا وعدم إعطاء فرصة لهم للتفكير أو التدبير ولا نملك مثل هذه الدراية والقابلية، فالمطلوب منا في الأقل إبداء النضج الضروري في عدم الوقوع في مصايد الأعداء وعدم قيامنا بحفر قبورنا بأيدينا.

الاختلاف في الفكر والفهم نتيجة طبيعية لاختلاف التكوين والخلق فهذه إرادة الله تعالى وله فيها رحمة وحكمة. ولكن الإنسان مكلف أيضاً بتأمين النظام والتلاؤم الموجود في الشريعة الفطرية بارادته. ومع أن قانون الجبرية يحكم العالم الكبير (الكون) إلاّ أن الإرادة الإنسانية التي تعد شرطا عاديا لها دور في عالم الإنسان.

ومع أن الوجود الأول مرتبط بإحسان وإنعام، إلا أن كل إحسان بعده يستند إلى سبب. ولكي يتم الوصول إلى نعمة وفضل الوفاق الاجتماعي

فعلى القلوب أن تكون اجتماعية وتبتعد عن الأنانية وتكون مليئة بحب الإنسانية وبالشهامة والمروءة. وما لم يتم الابتعاد عن الأنانية وعن عبادة النفس وإرجاع كل شيء وكل الوسائل والأهداف إلى سلطان النفس الذي هو شرك خفي والقول: إن لم يكن هذا العمل بيدي فلا أريده حتى وإن كان خيراً ما دام يتم بيد الآخرين وليس بيدي.. إن لم يتم التخلص من مثل هذه العقلية التي ترى أن الحق فقط معها وتابع لها، والتي تكفر وتضلل وتجرم كل من لم يتبعها، وإن لم يتم تخليص القلوب من مثل هذا التعصب الأعمى فلا يمكن الوصول -حسبما أرى- إلى أي تفاهم أو اتفاق.

قبل كل شيء فإن من الطبيعي وجود الاختلاف في التفكير إذا استثنينا وجوب الاتفاق في القواعد والأركان والأصول الأساسية. فلا بد من إبداء المرونة أمام من يخالفوننا، في الأقل مثلما نبدي المرونة مع الأجانب أو نبدي البشاشة لهم. فهذا شيء ضروري ومطلوب وأمر لا مفر منه لوحدتنا ولبقائنا.

ثم إن هناك عوامل انقسام عديدة لا يمكن التهوين من شأنها تهدد وحدتنا الضرورية والمقدسة، واعترافنا بها اعتراف بالواقع:

١. نتيجة لبقاء الخدمات الدينية دون راع أو صاحب، ثم قيام مختلف الأفراد ومختلف الجماعات بهذه الوظيفة، وعدم وجود زعيم ومرشد مقبول لدى جميع هذه الجماعات والأفراد أدى إلى قيام كل جماعة باتباع طريق مختلف. فبعضهم فتح مدرسة تحفيظ للقرآن في كل قرية، واهتم بعضهم بنشر الكتب الإسلامية وقراءتها، وفضل آخرون تربية الأفراد وتثقيفهم ثقافة جيدة، ودخل آخرون إلى معترك السياسة... ولا شك أن كل جماعة قدمت جهودها هذه لخدمة الأمة. أي أنهم كانوا في خدمة الدين والأمة ولكن بأساليب وطرق مختلفة.

٢. إن قيام كل جماعة من هذه الجماعات بِعدّ زعمائها ومرشديها "مجَدِّداً" أدى -ولو كان بنية صافية- إلى الاختلاف. لأن مفهوم "المجدد" -

ما دام موجودا في ضمائر المسلمين وسيبقى إلى يوم القيامة- هو الشخص الذي يشتهر بعلمه وعمله في عصر يموج بالفتن والعداء للدين فيتبعه من يتبعه، ومثل هؤلاء سيوجدون في كل زمن وعصر. ويمكن إطلاق اسم المجدد على من يوجه ويربي فكر وروح الجماهير وينفخ الحيوية في حياتهم الاجتماعية. ومع أن هذا الأمر قد لا يكون ضاراً بالنسبة لأتباع المجدد، إلاّ أنه يكون وسيلة خلاف وفرقة لدى بعض الجهلاء والسذج.

٣. يمكن قول الشيء نفسه بالنسبة لمسألة "المهدي". فعقيدة المهدوية قد تكون وسيلة أمل للفرد وللجماعة في عصر الفتن الكبرى الدالة على اقتراب الساعة. أجل! ففي ذلك الزمن العصيب الذي تتزلزل فيه العقيدة، ويُترك فيه العمل، وتُهمل فيه الشريعة نحتاج إلى شخص فذ يستطيع إنجاز ما نعجز نحن عن إنجازه ويصلح الفساد. وهذا المفهوم -إن وضعنا جانبا جانبه الطوبائي المثالي- ليس أمراً غريبا عن الفكر النقي، إلاّ أن العظمة المسندة لفرد، وكذلك التعصب الموجود لدى الجماعة يكون في الأرجح سبباً في الفرقة.

٤. وعلاوة على هذا يجب علينا أن نأخذ في الحسبان القوى الخارجية التي تبذل جهودها في سبيل إذكاء نار الفرقة بيننا. وهناك أمر واقعي لا يمكن تجاهله، وهو أن الكثير من جيراننا وكذلك من الأمم المعاصرة الأخرى لا تغفر لنا نحن الذين أنشأنا الإمبراطوريات وكان لنا تأثير كبير في توجيه الإنسانية هذا الأمر. وحروب ومعارك الهلال والصليب المستمرة منذ ألف عام والموجهة ضدنا ليست إلا تعبيراً عن العداء لأمتنا. إن مقاطعة أمريكا لبيع السلاح(١) لنا ومقاطعتها التجارية لنا وعدم اكتراث حلفائنا بكثير من مسائلنا الدولية، ونظرة الدول الغربية إلينا، حتى الدول التي نشترك معها في أحلاف نظرتهم إلى دولة من الدرجة الثالثة تبرهن على أنها لا تتصرف معنا تصرف الأصدقاء. لذا فما لم نكن عميانا لا يمكننا عدم رؤية أن

(١) دامت هذه المقاطعة الأمريكية أكثر من عشر سنوات، وذلك بعد التدخل العسكري التركي في جزيرة قبرص لإنقاذ سكان الجزيرة من الأتراك من مذابح اليونانيين القبارصة. (المترجم)

كل هـــذه التصرفات الســـلبية تخفي وراءها نيات ســـلبية تجاهنا.

إن هذه التصرفات السلبية وإن بدت اعتيادية من زاوية العلاقات الدولية، إلا أنها حقيقة تاريخية. وهذه الحقيقة التاريخية التي تخفي دون شك وراءهـــا ذهنية وتفكيرا آخر، أصبحت مجال عمل العديد من المخابرات الأجنبية.

لقد تبدل شكل الخطر حالياً عما كان في الماضي، ذلك لأن الخطـــر في السابق كان آتياً من الخارج، أما الآن فهو يأتي من الـــداخل أيـــضاً. لـــذا فمقاومته أصبحت أصعب، كما أن السقوط الأخلاقي الذي سرى كوبـــاء إلى جميع مفاصل المجتمع هدم الركائز التي تحفظ المجتمع وسوى بها الأرض. أما جيلنا الذي انتزع منه التوقير والاحترام لقيمنا المقدسة بوساطة النمـــاذج المجنونة لما سموه بالخلق اللاديني والخلق الفوضوي والخلق الـــشيوعي، هـــذا الجيل أصبح ضحية للفكر وللروح المشوه، وغافلاً عن تخبطه في فوضى مخيفة من المصطلحات والمناهج.

لا يمكن لأحد أن يدعى أن هذه الفوضى واختلاط الحابل بالنابـــل لم يؤثر على أهل الإيمان، وهو موضوع يحتاج إلى الانتباه والبحث. إن القوى الخارجية كثيرا ما تمد يدها إلى المفاهيم المذهبية أو إلى المدارس التصوفية أو إلى نبش المسائل العنصرية والعرقية، لذا يجب الانتباه والحذر. صحيح أنه لا يوجد دليل جدي على انخداع الجماعات الدينية بمثل هذه الإيحاءات أو أنها تمول وتدار من قبل القوى الخارجية (رغم ورود مثل هـــذه الادعـــاءات والشائعات في حق بعض الجماعات)، إلاّ أن الشواهد على أن الجماعـــات القرآنية والإيمانية لا يمكنها تلقي الأوامر من الخارج أرجح وأقوى. غير أننا لا ننسى أن ظهور التعصب في بعض الجماعات التي لم تصل إلى النـــضج الفكري والروحي المطلوب شي واقعي وموجود، مما يؤدي إلى احتكاكات داخلية، وهذا يخدم الآمال الشريرة للأعداء دون قصد منها.

إن الجماعات الإسلامية في تركيا وفي العالم الإسلامي معرضة في كـــل

لحظة للأخطار الآتية بكل تأكيد:

١. استغلال حب الجاه والشهرة لدى بعض زعماء هــذه الجماعــات ودفعهم إلى التنافس مع الجماعات الأخرى.

٢. ظهور محاولات هدم الجماعات الأخرى تحت دعوى العمل باســم الإسلام.

٣. ترقب ثمرة آنية في الدنيا من كل عمل صغير أو سعي قليل، مــع أن استحصال ثمرة العمل يكون في المستقبل البعيد عادة، وربما في الآخرة.

٤. من أجل كسر المساعي والجهود الإيجابية المثمرة والمستمرة لجماعة ما يتم تشكيل وتكوين جماعة أخرى لكي تكون بديلــة عنــها، ثم إحــداث احتكاك بينهما وإنتاج الشقاق والفرقة واستهلاك جهود تلك الجماعة.

٥. بدلاً من قيام الجماعات الناذرة نفسها لخدمة الأمة بالعيش في ظــل المحبة التي من المفروض أنها شعار طريقهم ومشربهم... بدلاً من هذا انشغالها بالعداوة مع الآخرين، وإضاعتها بهذا وسيلة مهمة للتوفيق الإلهي.

وعلاوة على هذا نستطيع ذكر عدم إشباع روح إنساننا الحالي مما جعله سهل الانقياد إلى بعض النظم الفكرية التي تــشكو مــن الفــراغ القلــبي والروحي، مما جعله يبتعد عن قلبه وضميره.

وهكذا بينما ابتعد إنساننا عن كل ركيزة داخلية ووجدانية من جهة تم توجيه انتباهه -من قبل شرذمة قليلة أو أقلية مرفهة تعــيش حيــاة ســائبة ومخمورة- من جهة أخرى إلى جو من الانطلاق البــهيمي، والى دغدغــة شهواته، وإبعاده عن خطه الإسلامي. وهذا موضوع وأمر يجب الوقــوف عنده بعناية.

إن علماء الاجتماع والإنتروبولوجيا[١] متفقون على أنه ما من جماعــة

(١) الانثروبولوجيا: أو علم الإنسان، وهو علم يبحث في أصل الجنس البشري وتطوره وعقائده وتقاليده وعاداته. (المترجم)

بشرية عاشت دون دين. إذ لم يتم العثور في أي دور من أدوار التاريخ وفي أي بلد من البلدان على مجتمع لا ديني. لأن الإحساس الديني إحساس فطري وطبيعي. وحرمان الإنسان من هذا الإحساس يؤدي إلى قلق وكآبة في الفرد وفي المجتمع. فالإنسانية ستبحث عن طرق أخرى لإشباع نفسها وإرواء ظمئها الطبيعي بطريقة مدروسة أو غير مدروسة. وعندما يقوم كل إنسان بالبحث عَمَّا يطفئ غليله وذلك حسب مشربه وذوقه، فليس من العسير -حسب ظني- تصور الفوضى الناتجة من هذا. والنتيجة الحتمية لهذا هو فوضى القيم ثم النزاع الدموي كنتيجة طبيعية. هذه هي الحال البائسة للوطن الآن الغارق في الفوضى نتيجة هذه الفلسفة والنظرة إلى الحياة دون أخذ الفطرة والطبيعة الإنسانية في نظر الاعتبار.

في فوضى المفاهيم هذه من المفيد الوقوف على موقف المتفرنجين ومقلدي الغرب. فالدين عند هؤلاء يعني الرجعية، والوطن يعني الطورانية، والأمة تعني الفاشية. ومن الصعب أن تفهم ما يكتبه هؤلاء الراكضون وراء السراب منذ أكثر من قرن ونصف قرن، إذ بينما نراهم يربطون كل الطرق مع الغرب ويسيحون في تلاله وسهوله، ويصبح الغرب قبلتهم الوحيدة لسنوات وسنوات فأنت لا تجد لدى هذه الفئة الغربية أي فكر جدي. ثم إذا بهم يمطرون الغرب بكل قواهم بوابل من الرصاص ويدمغونه بالاستعمار والإمبريالية. وهذا يعني أن "التغرب" وهذا يعني أن التغرُّب أو عدمه لم يكن نتيجة فكر وتحليل وتأمل بل نتيجة إعجاب أجوف وحب مغامرة.

وخلاصة القول إن القيام بتخريب المعاني الدينية والملية في هذه المرحلة بينما أدى إلى تنشئة فريق من الملحدين من جانب، أدى من الجانب الآخر إلى نشوء وظهور جماعات متعددة لا يعرف بعضها البعض الآخر حاولت القيام بتقديم خدمات دينية واجتماعية لسد هذه الحاجات المشروعة. ولكنها لا تملك مناهج محددة ولا أساليب مدروسة. وحاولت كل منها -بمعزل عن الجماعات الأخرى- أن تشغل ساحة من ساحات الخدمة في هذا المجال.

وحدثت فيما بينها نزاعات مريرة مؤسفة ونقاشات حادة بين فينة وأخرى، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها. وعندما يغيب الإخلاص من أي عمل، ويتدخل حب النفس وضيق الأفق في الأمر فإن فوضى هذه النزاعات والاختلافات تأخذ أبعاداً كبيرة يصعب علاجها. في وسط كل هذه الغوائل والمصاعب أصبح قيامنا حتى بحفظ كياننا ووجودنا بدرجة كبيرة من الصعوبة. لذا فإن دوام توسعنا ووصولنا إلى مراحل نمو كبير بفضل ربنا الكريم يستدعي منا الحمد والشكر.

الرغبة في التجمع داخل مجموعات إحساس موجود في فطرة الانسان، ولا بد من ظهوره. والمهم هنا جعل هذا الإحساس مفيداً دون ضرر في الأقل. فإن لم يوجه هذا الإحساس توجيهاً حسناً تطور ونما بشكل يضر بالإنسان وبطبيعته. فإن غُذي هذا الإحساس والشعور بأمور سلبية في الإنسان كالجهل والتعصب وضيق الأفق فانتظر عند ذلك النزاعات الدموية. وعلى العكس من ذلك إن كان العلم وسعة الأفق والتسامح والمرونة موجودة في المجتمع، ظهر التفاهم والتعاون بين الجماعات، ووصلت إلى رسم خط السلام فيما بينها، وسكنت ردود أفعالنا الغاضبة الموجودة في فطرتنا وسيطرنا على مشاعرنا.

لما كانت الدعوة واحدة والحق بجانبها والأهداف والمبادئ الأساسية واحدة فإن الاختلاف في الوسائل والطرق يجب ألاّ يكون سبباً للخلاف والفرقة. ويجب أن يكون الوعي من الرسوخ والثبات بحيث لا يعطي مجالاً لهذا الخلاف. وإلاّ فإن ظهور بوادر الخلاف والفرقة بمعاذير واهية يعد مزاجاً صبيانياً ودليلاً على عدم وجود المروءة أو الإحساس بالحق والسعي من أجله. والحقيقة أن الطرق المؤدية إلى الله تعالى متعددة بتعدد الأنفس والأمزجة بشرط بقائها ضمن دائرة أهل السنة والجماعة. ويجب أن يحترم كل طريق من هذه الطرق وتؤيد كل خدمة مقدمة.

إن النظر إلى الآخرين وكأنهم كفار أو ضالون أو آثمون أمر خطير ولا

فائدة ترتجى منه حيث يستطيع كل واحد أن يدعو إلى طريقه ويعلن عنه ويعيش بحبه. فهذا هو طريق المنطق والعقل ومنطق الإيمان والقرآن كذلك. هنا ينشغل كل واحد بطريقه وبمسلكه بكل حب، ولا يحمل في قلبه حقداً وضغينة للجماعات الأخرى، ولا يكون نقده لها نقداً عدائياً وهداماً ولاذعاً، ولا يرى صعود جماعته وتقدمها مرتبطاً بإنكار وتضليل الجماعات الأخرى، بل يشعر بأن شعور الأخوة يربطه معها، فلا يبحث عن هفواها وأخطائها. وعندما يرى فضائلها وخدماها يفرح ولا يتأخر عن تهنئتها. والخلاصة، يرى نفسه في سباق خير مع الآخرين، ولا ينسى لحظة واحدة أنه مشترك مع الآخرين في حمل كنز ثمين وأمانة غالية. وعند ذلك يعد الآخرين الذين يسيرون معه في الاتجاه نفسه وللغاية نفسها أصدقاء ومعاونين له، فيعظم كل نجاح، ويصفق لكل سعي مشكور، ويقبل كل يد تمتد بالمعونة.

في العهد النبوي الكريم كان هذا هو الفهم السائد بين الناس، وكان الواقع العملي المعاش على هذا النمط. فالجو العام كان مشبعاً بروح الأخوة وروح التآلف، و لم يتعرض أصحاب القابليات المختلفة والمتعددة لأية ضغوط. ففي الأمور الفرعية لم يكن اختلاف وجهات نظر أبي ذر عن عبد الرحمن بن عوف، ولا بلال عن عثمان رضي الله عنهم جميعاً بالاختلاف البسيط أو الهين، ولكن لم يستغرب أحد مثل هذه الاختلافات.

ضمن مقياس معين لم يتعرض أحد لنقد حب العشيرة أو القبيلة إن لم يؤد هذا الحب إلى إلحاق ضرر بالوحدة الاجتماعية. فكما لم يتعرض أحد إلى العنوانين المشرفين مثل عنوان المهاجرين وعنوان الأنصار، كذلك بقي اسما الأوس والخزرج. وعندما قال الرسول ﷺ لقبيلة سعد بن معاذ: "قوموا لسيدكم" كان متلائماً مع الطبيعة البشرية. كما كانت كل قبيلة تذهب إلى الجهاد تحت قيادات مختلفة. ولكن الجهاد في سبيل الله وحده كان هو الغاية الوحيدة لهم. وكما كان يسمح للمفاخرة فيما بين هذه القيادات ويغض عنها النظر بشرط ألاّ تنقلب إلى جدال أو خصام.

"الحُفّاظ من عندنا، وفلان من عندنا...الخ" مثل هذه المفاخرات لم يكن منها بأس، وتقابل بالمسامحة. فقد كانت من العوامل المساعدة في السمو السريع لهؤلاء.

أجل! كل هذا كان موجوداً ولكن الاتفاق والتناغم كان موجوداً أيضاً. ففي سبيل الحصول على مرضاة الله تعالى كان هناك انسجام وتناغم بين الأفراد كالانسجام الموجود بين الأصوات في السمفونية، أي كان صوت كل فرد متناغماً ومتلائماً مع الجو العام. كان ذلك موجوداً لأن كل فرد كان فرداً ناضجاً ويتبع الحق ويطير بجناح الشوق في أفق ما يراه مقدساً، ويطمح في رؤية شعائره وهي تعظّم وتبجل، ولم يكن مهما عندهم من سيقوم بهذا الأمر. وما دام الليل قد انقضى وأشرق الصباح فلم يكن مهما لدى أحدهم أأعطي له منصب سلطان أم درجة متسول.

إن الحواريين الجدد والأنصار هم المضحون الذين ينسون سعادتهم الشخصية في سبيل إسعاد الآخرين، ويفرحون بسعادة الآخرين فرحهم بدخول الجنة. ولعل من أخطر أنواع الفرقة حالياً فرقة الجماعات المستندة إلى أساس عرقي وعنصري. وكون الغرب هو منبع ومصدر هذه الفرقة أمر أكيد وقطعي بحيث لا يمكن أن يشك به أي مثقف.

أصبح الصراع في عهدنا الحالي صراعا بين المعسكرات وبين الأيدولوجيات التي تشمل الإنسانية جمعاء. وتحولت الدنيا كلها إلى قرية كبيرة، وتكونت اتحادات وتجمعات معينة تضم أمما شتى... في مثل هذا العصر فإن مثل هذا الفهم غريب، ولا سيما في منطقة وبلد يملك أفراده نفس البنية الاجتماعية. لذا فالنظر إليهم وكأنهم مجموعات عرقية مختلفة ومتميزة نظرة سطحية ومضحكة وخطرة كذلك لما تنطوي عليه من بذور فتنة وشقاق وفوضى. وهي نظرة مضحكة لأن وطننا تمازجت فيه الأقوام المختلفة نتيجة عيشها معا عصورا عدة، ولم يعد ثمة ما يدعى بـ"الدم الصافي النقي". والبحث عن مثل هذا الدم الصافي مستحيل كاستحالة الاطلاع على اللوح المحفوظ.

هذا مع العلم أنه توجد تجمعات مختلفة سكنت شمالي وجنوبي وشرقي وغربي الأناضول، وهناك وسط هذه التجمعات مجموعات تدعي انتسابها إلى عرق معين. ولا شك أن كل مجموعة من هذه المجموعات أصبحت ضحية لهذه النظرة الغريبة عن علم أم دون علم. إذن فلم يبق أمام هذه المجموعات سواءً أكانت سياسية أم غير سياسية سوى الإصغاء إلى صوت النبوة والاستجابة إلى ندائها الإنساني العام ﴿واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَميعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ وكما تأسست أخوة صادقة في الماضي، يمكن تأسيسها أيضاً الآن. ولكن بشرط أن يتم تناول هذه المسألة المهمة بالعقل والمنطق، وتوضع تحت المجهر الإلهي.

إذن فمن الآن فصاعداً يجب ألاّ يتم تناول مسائلنا المهمة بشكل عاطفي وحماسي، بل ضمن مبادئنا المقدسة وبشعور جماعي يقظ وفي إطار من عقد اجتماعي. ذلك لأن قيام القوى الخارجية بتقديم بدائل مختلفة، وظهور جماعات من بيننا تركض وراء منافعها فقط، وضعف واهتزاز التوقير والاحترام للغايات والمثل العليا، وحلول المنافع الشخصية محل دعوتنا السامية جعل من الضروري قيامنا بتقوية الرابطة الموجودة فيما بيننا. ولا يتم هذا إلاّ بإظهار النقاط المشتركة فيما بيننا لكي تترجح على العوامل المفرقة، وذلك مثل وحدة أسس الإيمان وأسس العبادة والعمل ووحدة الوطن والثقافة، ووحدة الماضي والتاريخ والأيام التي تقاسمنا معاً حلوها ومرها، ووحدة المصير المشترك ووحدة الأعداء في الخارج... أجل فهذه النقاط المقدسة المشتركة فيما بيننا أقوى بكثير من العوامل الثانوية والجانبية للخلاف وأكثر ثقلاً ووزناً في الواقع حيث لا تملك عوامل التفرقة أي عناصر ذات بال.

والحقيقة أن هذا الموضوع تم تناوله من قبل صاحب الشرع من هذه الزاوية، إذ أصبحت كلمة الشهادة -التي هي أهم ركن- رمزاً لصيانة أي فرد ينطق بها. وهناك حوادث كثيرة تؤيد هذا، منها تعرض أسامة بن زيد

إلى عتاب وزجر قوي من قبل النبي ﷺ،[1] كذلك إبعاد "مُحَلَّم" عن مجلس النبي ﷺ وعدم مسامحة النبي عليه الصلاة والسلام له. وهذه الحوادث تبين أي رابطة هي الرابطة الوثقى والقوية في نظر صاحب الشرع.

فإذا كان الموضوع بمثل هذا الوضوح فلا يبقى هناك مجال لعدم التفاهم مع أهل الإيمان ومع أهل السجدة ومع أصحاب القبلة وعدم التكاتف معهم. هذا فضلاً عن القيام بتكفيرهم وتضليلهم وتجريمهم. فهذا الأمر لا يسوغ ولا يليق بأصحاب الإيمان وبأولي الألباب. وعندما يكون هؤلاء المُكَفَّرِين من الأشخاص المؤثرين على الجماهير، فتصوَّرْ عند ذلك كيف تتعاظم وتتضاعف الجرائم وعمليات الهدم التي يقومون بها. وأكثر الناس بؤساً في هذا الموضوع هم الزعماء والأئمة والمرشدون الذين تتضاعف نتائج جرائمهم آلاف الأضعاف نتيجه أوضاعهم وقيادتهم للجماعات.

لذا فإننا نتوجه إلى جميع الزعماء المرشدين والقادة بالتذكير الآتي لكي يبادروا بتأليف القلوب ورأب الصدع: ليكن حبكم لله وبغضكم لله، وابتعدوا عن عبادة النفس، لأن من يتبع أهواء نفسه لا يمكن أن يُرضي الحق تعالى ولا يمكن أن يُرضي الناس. أحبوا أصدقاءكم ضمن مقاييس "الحق"، ولا تبتعدوا عن المروءة. وانتبهوا لمؤامرات أعدائكم، ولا تسقطوا في حبائلهم ومصايدهم، ولا تجعلوا الخلاف في الفكر والخلاف في الفهم وسائل للفرقة وللعداء، بل عدوا هذا الخلاف مصدر غنى فكري.

ولنذكركم مرة أخرى بأن البغضاء والحقد لم ولن يحل أي مشكلة، واعلموا أن النصر عند المدنيين والمتحضرين لا يكون إلاّ عن طريق الإقناع. إذن تعالوا نعاهد الله للمرة الأخيرة على الوحدة وعلى التساند .

لا تتصرف أبداً كحواري الوحدة، ولا تقل لكل من تقابله "تعال لنتحد"، لأنها دعوة ليست في محلها. أما عندما تقول هذا بأسلوب من يدعو

---

(١) في إحدى السرايا تقابل أسامه مع أحد المشركين الذي بادر فنطق بالشهادة ولكن أسامه عد هذا وسيلة خلاص من الموت وأنها لم تصدر عن إيمان فقتله فعاتبه النبي ﷺ عتاباً مراً. (المترجم)

الآخرين للانضمام إلى مجموعته فهو خطأ أكبر وعدم توقير، ذلك لأن مثل هذا الأسلوب لا ينتج عنه -حتى عند أكثر الناس جنوحاً للخيال- سوى زيادة التعصب لجماعته. بل قم بالثناء على خدماتهم واحترم ووقر مرشديهم، وبهذا يلين حتى أكثرهم خشونة.

لكونك مؤمناً، عليك أن تنظر إلى الدنيا كمهد للأخوة، وابحث في تأسيس علاقة مع كل كائن. أما تجاه المؤمنين فلا بد أن تكون لينا رقيق الحاشية معهم. وإيّاك إياك أن تنتقد القدر الذي هيأنا وأوصلنا بيد عنايته وحكمته إلى موضعنا الحالي. فمن يدري فلعل المجتمع لم يصل بعد إلى النضج المطلوب، ولعل من الأصوب له أن يبقى مدة في وضعه الحالي.

علينا بأجمعنا أن نطرح النقد جانباً، ونقترب -على الأقل بعض الشيء- من تفويض الأمور إلى تجلي الأقدار، وليكن المولى نصيرنا ومعيننا.

الأمة

الأفراد الذين عزموا أن يكونوا عناصر صالحة في حياة أمتهم قد ينسون منافعهم الخاصة، ولكنهم لا ينسون أبداً أي منفعة من منافع الأمة مهما كانت تلك المنفعة ضئيلة.

* * *

أعلى الأمم قدراً هي الأمة التي تسير أمورها في ظل الوحدة والتآلف، والتي تعطي أهمية لرأي شعبها. وهذا يتعلق بقيام أفراد هذه الأمة بتلقي التربية نفسها في الدين واللغة والتاريخ.

* * *

يجب أن يكون النقد الصادر من الذين نحبهم ونثق في حبهم لنا أحب شيء عندنا، وإلاّ فإن الإنسان علاوة على فقده العديد من أصدقائه

يبقى جاهلاً بالكثير من نواقصه، ومحروما من إمكانية تعديلها.

* * *

من أهم الأمور التي أدت بأمتنا إلى الضعف هي سذاجتنا أمام الخادعين الذين ظهروا في مسوح الأصدقاء أمامنا. والحال أن على الإنسان ألاّ ينخدع بكل وعد، وألاّ يثق بكل دليل طريق.

* * *

إن أصبحت الحيلة والخداع في نظر أمة ما دليل عقل وذكاء فاعلم أن السرطان قد سرى في جسد تلك الأمة سرياناً لا يرجى معه شفاء. أما ما يبدو من أمارات التحسن في جسد الأمة فليست سوى سمنة سببتها الأورام الخبيثة وليست من مظاهر الصحة والقوة.

* * *

الأمة التي تكون فيها العلاقات الموجودة بين أفرادها علاقات قوية كقوة العلاقات العائلية تكون مرشحة للسير نحو الأمام بثبات. أما إن كان الود مفقوداً بين أفرادها والثقة معدومة فيما بينهم، والعداء سارياً، فمثل هذه الأمة لن تكون أمة بالمعنى الصحيح، ولا تملك أملاً للمستقبل.

الإنسان

الإنسان كائن مجهز بالأحاسيس العلوية ذو استعداد للفضيلة، وعاشق للأبدية وللخلود. فأكثرهم بؤساً من ناحية المظهر يحمل في جوانحه حباً للخلود وعشقاً للجمال وإحساساً بالفضيلة. وطريق السمو بالإنسان والارتفاع به نحو الخلود يكون بتنمية هذه الاستعدادات والقابليات عنده.

* * *

إنسانية الإنسان لا ترتبط بجسده المادي الفاني، بل هي في روحه المشتاق إلى الخلود. وهذا هو السبب الكامن وراء عدم وصوله إلى

الإشـــباع والرضا أبـــداً عنـــدما يعامل وكأنه جسد فقط.

* * *

أسعد الناس وأكثرهم حظاً هو الإنسان المتعلق أبداً بعشق ما وراء هـــذا العالم... بعشق العالم الآخر. أما الذين يقضون أعمارهم في السجن الـــضيق لأجسادهم فهم بؤساء وتعيسو الحظ وسجناء وإن عاشوا في القصور.

* * *

الوظيفة الأولى للإنسان هي اكتشاف نفسه ومعرفتها، ثم التوجه إلى ربه بعد وضوح ماهية نفسه أمام عينيه. أما الذين لا يتعرفون على ماهية أنفسهم ولا يدركونها ولا يستطيعون تأسيس علاقة مع خالقهم الجليل... هؤلاء من ذوي الحظوظ النكدة، يمرون بهذه الدنيا ويفارقونها وهم لا يعرفـــون قيمـــة الكنـــز الذي يحملونه بين جوانحهم مثل مرور الحمالين الذين لا يعرفـــون قيمة الكنوز التي يحملونها.

* * *

الإنسان كائن عاجز بحد ذاته، ولكن لا تخفى عن النظر حقيقة واضحة وهي أنه يبدي مقدرة كبيرة عندما يستند إلى صاحب القـــدرة اللانهائيـــة. أجل! عندما يستند إلى صاحب القدرة اللانهائية ينقلب من قطرة إلى ســـيل، ومن ذرة إلى شمس ومن متسول إلى سلطان.

* * *

بقدر تعامل الإنسان مع الوجود والحوادث والتفاعل معها أخذاً وعطـــاءً تظهر شرارات الحكمة في قلبه. وهكذا يتعرف إلى ذاته ويصل إلى معرفة الله ثم يسلك طريق الوصول إليه تعالى، بشرط ألاّ يكون قد ضـــلَّ في ســـياحته الفكرية الى حد الوقوع في الإلحاد, أو تعرض مسبقاً لعملية غسل دماغه.

* * *

الإنسان الحقيقي هو الإنسان الذي يعرف النقاط المشتركة بينـــه وبـــين الأحياء الأخرى. ويؤدي وظيفته في إدامة النسل بـــشعور مـــن المـــسؤولية

وبالبقاء ضمن الحدود الضرورية لأداء هذه المهمة. أما الإنسان الذي يركض وراء رغباته الجسدية وشهواتها فإنه يكون قد قلص المسافة بينه وبين الأحياء الأخرى.

التربية

مستقبل كل إنسان متعلق بما تأثر به وانطبع عليه في طفولته وشبابه من دروس التربية والسلوك. فإن كان قد قضى طفولته وشبابه في جو إيجابي يربي المشاعر العلوية توقعنا كونه إنساناً يحتذى به من الناحية الفكرية والخلقية.

* * *

الإنسان إنسان بقدر بعده عن الأشياء القذرة. أما من كان قلبه تحت سيطرة المشاعر الخسيسة، وروحه تحت قبضة شهواته فهو وإن بدا إنساناً في مظهره فهناك شكوك حول حقيقته الإنسانية.

يعرف الجميع تقريباً ما يتعلق بالتربية البدنية. ولكن من يعرف قيمة التربية الفكرية والعاطفية التي هي الأصل قليل جداً، بينما ينشأ في التربية الأولى إنسان الجسد والعضلات، وينشأ في الثانية إنسان الروح والمعنى.

* * *

إن إصلاح أي أمة لا يكون بالقضاء على الشرور، بل بتربية الأجيال تربية صحيحة وبتثقيفها ثقافة صحيحة، ورفعها إلى مستوى الإنسانية الحق. وعندما تبذر البذور المقدسة التي هي عبارة عن خليط من الشعور الديني والتاريخي والأعراف في أرجاء الوطن، فسترى نبتات وشتلات عدة وهي تنبت في موضع كل شر محته.

* * *

الكتب التي تدرسها للصغار –سواءً أكانت نثراً أم شعراً– يجب أن تكون كتباً تقوي الفكر والروح، وتعطي الأمل والعزم. وهكذا

تســـتطيع توقع نشوء أجيــــــال قوية الإرادة، متينة الأفكار.

* * *

ومع ضرورة تنشئة البنات تنشئة خاصة (وظائفهن المستقبلية في تربيـــة الأطفال) بحيث يكنّ مثال الرقة والحنان، يجب الاهتمام بهن من ناحية الفكر وتغذيتهن بالفكر الحق بحيث ينشأن قويات في هذا المجال قوة الفـــولاذ. وإلاّ جعلناهن بحجة تنشأهن على الأتيكيت والرقة- نساءً مسكينات وعاجزات. ويجب ألاّ ننسى أن اللبؤة أسد أيضاً.

* * *

التربية جميلة بحد ذاتها، ومن يملكها يحز على التقدير. أجل حتى الجاهـــل يكون محبوباً إن كان مؤدباً. والأمم المحرومة من التربية الدينية ومن الثقافـــة الدينية والملية تشبه الأشخاص المتسيبين الجاهلين الذين لا تتوقع منهم لا وفاء عند صداقتهم ولا جدية عند عداوتهم. والذين يثقون بأمثال هؤلاء يرجعون دائماً بالخسران وخيبة الأمل. والذين يعتمدون على هؤلاء يبقون دون سند ودون معونة.

* * *

المربيات والمربون الذين لم يتتلمذوا على يد خبيرة، ولم يتلقوا التربية من مصدر موثوق يشبهون العمي الذين يحملون المصابيح لإنارة الطريق أمـــام الآخرين. والوقاحة وعدم التربية المشاهدة عند الصغار تدل على عدم صفاء النبع الذي يتلقون منه التربية. وعدم التوازن الموجود في العائلة من ناحيـــة التصرف أو الفكر ينعكس في روح الطفل ويتضـــاعف هنـــــاك. ومنـــه يســـري طبعاً إلى المجتمع.

* * *

يجب أن تولى أهمية لدروس التربية والثقافة الدينية في المـــدارس بقـــدر الأهمية المعطاة للدروس الأخرى في الأقل، حتى تتربى أجيال قوية في خلقهـــا

وسلوكها وروحها فيحولوا ربوع هذا الوطن إلى جنة والتعليم شيء والتربية شيء آخر. فمن الممكن أن يكون أكثر الناس معلمين، ولكن القلـــة فقـــط منهم يستطيع أن يكون مربياً.

* * *

مع كون دروس التربية الدينية والثقافة الدينية مهمة وضرورية جداً، إلاّ أن الأهمية المعطاة لها في المدارس قليلة. فإذا استطعنا يوماً أن نتلافى هذا الامر ونسد هذا النقص نكون قد خطونا خطوة هامة جداً في مضمار تقدم هـــذه الأمة وإتخذنا أصوب قرار.

* * *

إن أرواح الأطفال أصفى مرآة، وأسرع آلة تصوير. والمدرسة الأولى لهم هي بيوتهم، وأول المربين لهم هم أمهاتهم. لذا فإن إعداد الأمهات كمربيات صالحات أساس مهم من أسس بقاء الأمة.

* * *

لما كانت مرحلة عمر الطفل منذ الولادة وحتى السنة الخامـــسة أكثـــر المراحل التي يكون فيها اللاشعور عنده منفتحا، كان كل ما يقدم له في هذه المرحلة من أمثلة حسنة وقدوة جيدة ضرورية له وفي محلها.

الثقافة

الثقافة بمثابة نبع هام ترده الأمة على الدوام في مراحل تطورها الخـــاص بها. وقد كانت هناك دائماً علاقة وثيقة بين تلائم وتناغم حياة الأمة واتجاه واستقامة سيرها، وبين صفاء نبع ثقافتها.

* * *

الثقافة هي طراز وسمة الحياة المعاشة في مجتمع والناتجة من عادات وتقاليد وتربية ولغة وفن ومشاعر ذلك المجتمع. وكل جزء منها قطعة مهمـــة مـــن

الأسس الكلية للمجتمع. وعدم رؤية هذه الأسس والقواعد يعد عماية. وكل محاولة لإبعاد المجتمع عنها يعني وضع المجتمع في حيرة من أمره ودون سبيل يسلكه أو إدارة توجهه.

* * *

والثقافة قد تنتقل من مجتمع إلى آخر نتيجة احتكاك الامم بعضها مع البعض الآخر، مثلها في ذلك -بمقياس ما- مثل المدنية. ولكن إن لم يتم مرور هذه الثقافة من خلال عملية تصفية ضرورية يقوم بها روح الأمة، وإن لم تتم عملية فرز واصطفاء فلا مهرب آنذاك من حدوث أزمة ثقافية وأزمة مدنية.

* * *

تتشكل الثقافة الحقيقية من خلال التمازج والتفاعل بين الدين الحقيقي وبين الخلق السامي والفضيلة في بوتقة العلوم المهضومة جيداً، ووصول هذا المزيج إلى المستوى المطلوب من النضج.

لذا لا يمكن الحديث عن الثقافة الحقيقية في أي جو من اللادينية والهبوط الأخلاقي والجهل، ولا يمكن لأي إنسان يعيش في مثل هذا الجو الاستفادة من هذا المنبع.

* * *

الأمم التي تسعى لإدامة ذاتها وبقائها ولكنها تسلم نفسها إلى حضارة ومدنية الأمم الأخرى تشبه شجرة علقت عليها أثمار شجرة أخرى... أي تكون محل سخرية وذات مظهر خادع.

* * *

تظهر الثقافة وتولد وتنمو من طبيعة الأمة والمجتمع. والثقافة بالنسبة للمجتمع بمثابة الزهور والثمار بالنسبة للشجرة. والأمم التي لم تنجح في إنضاج ثقافتها أو الأمم التي فقدت ثقافتها تشبه الأشجار العقيمة التي لا تعطي أثماراً، أو الأشجار التي تساقطت أثمارها وفقدتها. والمصير المحتم الذي

ينتظر مثل هـــذه الأشـــجار هو قطعها واســـتعمالها حطباً.

* * *

تحتل الثقافة محلاً متميزاً في حياة كل أمة. وكل ثقافة امتزجت مع ماضي الأمة وارتبطت بجذور روحها تستطيع إنارة طريق الحياة والتقدم أمامهـــا. وعلى النقيض من هذا فإن قيام الأمة بتسليم نفسها إلى أحضان فكر وثقافة أجنبية والسير متذبذبة ذات اليمين وذات اليسار سيؤدي إلى اضمحلال تلك الأمة وتفسخها.

الشاب

الرجل الشاب مصدر أمل للقوة والقدرة والذكاء. فـــإن تم الاهتمـــام بتربيته وتنشئته أصبح "هرقلاً" يتغلب على المصاعب ورجل فكر ينير القلوب ويعيد ترتيب الأمور وتنظيمها.

* * *

المجتمع يشبه وعاءً بلورياً، والشباب هم السائل الذي يملأ هذا الوعـــاء ويعطيه شكله ولونه. ولا أدري أيستطيع حواريو النظام في المجتمـــع الـــذين يدعون الشباب دوماً إلى الانقياد والطاعة أن يتريثوا لحظة ويلقوا نظـــرة إلى أنفسهم؟

* * *

الأهواء تشبه الحلويات، أما الفضائل فتشبه أطعمة فيها بعض الملوحـــة. لذا أهناك حاجة لتخمين الصنف الذي سيختاره الشباب والصنف الـــذي سيتركه إن أعطيت له حرية الاختيار كاملة؟ هذا مع العلم بأننا مـــضطرون لتنشئتهم بحيث يكونون مع الفضائل وضد الرذائل وضد السقوط الأخلاقي.

* * *

حتى اللحظة التي نصل فيها بالتربية إلى نجدة الشاب نراه في المحيط الذي نشأ فيه يحوم بجنون حول الأهواء والشهوات بعيداً عن البصيرة وعن العلم والمنطق. ولكن إن أعطيت له تربية تربطه بجذوره وتهيئه للمستقبل، انقلب إلى شاب يعكس شعور الأمة وفكرها ويمثلها.

* * *

إن تقدم الأمة إلى الأمام أو تراجعها إلى الوراء وانحطاطها مرتبط بالتربية والروح والشعور الذي تتشربه أجيالها الشابة. فطريق التقدم مفتوح دوماً أمام الأمم التي تعد شبابها إعداداً جيداً. أما الأمم التي تهمل شبابها فلا تستطيع أن تخطو خطوة واحدة إلى الأمام.

* * *

على الذين يرغبون في معرفة مستقبل أي أمة والتنبؤ به القيام بالنظر إلى التربية المعطاة إلى شباب تلك الأمة. عند ذلك يستطيعون التأكد بأنهم يستطيعون هذا وأن أحكامهم ستكون صحيحة مئة بالمئة.

الطفل

يمثل الطفل بالنسبة لنسل الإنسان ما تمثله البذرة بالنسبة لاستمرار نوع ونسل الشجرة. والأمم التي تهمل أطفالها محكوم عليها بالانقراض. والأمم التي تدع أطفالها في أيدي الأجانب وتحت تأثير الثقافات الأجنبية سرعان ما تفقد هويتها.

* * *

أطفالنا الحاليون سيكونون بعد (٣٠–٤٠) سنة أكثر شرائح المجتمع تأثيراً وإنتاجاً وفعالية. وعلى الذين ينظرون إلى الأطفال نظرة استصغار واستهانة أن يدركوا مدى استهانتهم بعنصر هام من عناصر الأمة وأن يخجلوا لذلك.

* * *

ما نراه اليوم من سوء في أجيالنا الحالية، ومن عـــدم قابليـــة في بعـــض الإداريين عندنا وما تعيشه أمتنا من مصاعب... المسؤولون عن هذه المشاكل هم الإداريون عندنا قبل ثلاثين سنة. أما المسؤولون الحاليون عن التربية وعن التعليم فسيكونون هم المسؤولين عن كل مشكلة أو فاجعة وكذلك عن كل فضيلة وكل خير.

* * *

على كل أمة تريد ضمان مستقبلها توجيه بعض عنايتها إلى تربية وتنشئة أطفالها الذين سيكونون رجالها في المستقبل بدل تبذير طاقتها وسنواتها هنـــا وهناك. ومع أن الكثير من الجهود المبذولة هنـــا وهنـــاك ســـتذهب أدراج الرياح، إلاّ أن أي جهد مبذول في سبيل تربية الأجيال يكـــون مـــصدراً لا ينضب من الخير.

* * *

الذين يعدون الآن وصمة عار في جبين المجتمع من الأشرار والـــسكيرين والفوضويين ومدمني المخدرات هم الذين تم إهمال تربيتهم عنـــدما كـــانوا أطفالاً. وأمام إهمالنا الحالي لا أدري هل فكرنا بنوعية الجيل القـــادم الـــذي سيملأ ساحاتنا وشوارعنا غداً؟

* * *

لن تكون الأمم المتقدمة في التقنية وفي التكنولوجيا هي الأمم المسيطرة في المستقبل، بل ستكون هذه السيطرة في يد الأمم التي تهتم بمؤسسة الـــزواج وبمؤسسة العائلة والتي تنجح في السمو بأجيالها إلى مستوى الإنسانية الحـــق أما الأمم التي لا تعير أهمية لمؤسسة الزواج والولادة ولا تهتم بتربية أجيالهـــا حسب فلسفتها في التربية والتوجيه محكوم عليها بالتحلل والذوبان بين فكي الزمان الذي لا يرحم.

التجارة

التجارة هي دق باب الرزاق الذي بيده كل شيء بلسان المال والأمتعة، والتوجه إلى بابه طلباً للرزق. يجب أن يتم هذا التوجه على ألاّ يتم نسيان أن إسعاف أو عدم إسعاف الطلب يعود إليه وحده. ومهما تقدم العلم والتكنولوجيا فإن دور التجارة سيبقى دوراً متميزاً وأكبر مما يتصوره الكثيرون. بل ستكون الحكومات والإداريون تحت وصاية التجارة. فلا تستطيع هذه الحكومات إدامة حياتها إلاّ بتأييد من قبل أرباب التجارة.

* * *

ومع الأهمية البالغة للعلم وللاختصاص في كل ميدان وفي ميدان التجارة والحرف أيضاً، إلاّ أنه يجب ألاّ ننسى أهمية التجربة والتعلم من المحترفين في هذين الميدانين، ميدان التجارة وميدان الحرف. فكم من مسألة موجودة في الكتب إن لم تمر من يد مجرب ومحترف ماهر لا يمكن تطبيقها في الواقع العلمي.

* * *

الوقت الذي يقضيه التاجر الذي يراعي الحلال والحرام في تجارته يعد عبادة.

* * *

يجب ألاّ يغيب عن البال أن نظافة أماكن التجارة ونظافة مكاتبها وانتظامها، أو وساختها وعدم انتظامها يعكس في الأكثر نفسية ذلك التاجر أو رجل الأعمال وحالته. وهذا يؤثر تأثيراً إيجابياً أو سلبياً على الزبائن.

* * *

رجل الأعمال المحتال أو التاجر المحتال يعصي ربه أولاً ويعصي ضميره ثانياً. وبعد أن ينفضح أمره بين الناس يفقد احترامه بين الناس وتبدأ أرباحه بالتناقص ثم بالخسارة.

* * *

الاستقامة والأمانة وإدراك روح العصر الحالي والتصرف بكـــل لباقـــة وأدب مع الزبائن هو روح التجارة. والتاجر الذي يقصر في أي أمر من هذه الأمور يكون قد خاصم روح التجارة وأضر بها وسد أبواب ربحه.

* * *

على التاجر والحرفي أن يكون عذب اللسان طلق الوجـــه ومتواضـــعاً، صادقاً في كلامه، لا يسأم ولا يضجر. ومع أن هذه الصفة ضرورية لأرباب كل وظيفة ومهنة، إلاّ أنها تكون أكثر ضرورة للتاجر وللحرفي لكونهما على اتصال دائم مع الناس وعلى علاقة قريبة بمنافعهم أو أضرارهم.

* * *

الذين يفتحون أماكن عملهم قبل ساعة من المعتاد، ويغلقونها بعد ساعة من المعتاد يجعلون أيام أشهرهم ٣٥ يوماً وأيام سنتهم ٤٢٠ يوماً.. بـــشرط قيامهم بأداء عملهم على الوجه المطلوب في ساعات العمل.

الأخلاق

هناك فرق بين أن تكون عالماً وبين أن تكون إنساناً. فبنسبة اســـتعمال العالم لعلمه في خدمة الإنسانية وبنسبة تمثيله لعلمه بخلقه وفضيلته يـــتخلص من كونه مجرد حمال علم ويرقى إلى مستوى الإنسان الفاضـــل، وإلاّ فهـــو شخص مسكين أضاع عمره فيما لا ينفع. فالأخلاق والفضيلة هـــي الـــتي تحول المعدن الصديء للجهل إلى معدن ثمين ومفيد كالذهب.

* * *

إياك أن تخدع أحداً حتى وإن تعرضت أنت للخداع. ومـــع أن الوفـــاء والاستقامة تجلبان في بعض الأحيان مصاعب وخسائر لصاحبهما، إلاّ أنهما خصلتان ساميتان إياك أن تبتعد عنهما.

* * *

لم يعد مفهوم الأخلاق في هذه الأيام كما كان القـــدماء يفهمونـــه في السابق كمجموعة فضائل. فإنسان اليوم يراها في الأغلب كمجموعة مـــن الذوق والتربية الاجتماعية واللباقة. ويا ليتنا كنا نشاهدها عند الجميع حـــتى ضمن هذا الإطار.

* * *

تحتوي الأخلاق التي لها علاقة بتصرفات الإنسان على بعض الدســـاتير العالية، وتنبع جميعها من سمو الروح. لذا نستطيع أن نقول بناءً على هذا إن الذين لم يمتزجوا مع أرواحهم و لم يقتربوا منها لا يستطيعون تطبيق القواعد الأخلاقية مدة طويلة.

* * *

قالوا في السابق: "لقد بقيت الأخلاق في طيـــات الكتـــب". أمـــا الآن فيقولون: "بقيت في طيات الكتب القديمة". وحتى لو كان هذا صحيحاً فكم من جديد يستحق أن نضحي به في سبيل هذا الشيء الغالي الذي يريـــدون إبقاءه في الماضي.

* * *

تضحية الإنسان بمصالحه ومنافعه من أجل مصلحة ومنفعة الآخرين سمو في الروح وشهامة خلق. والذين يفعلون الخير على الدوام دون انتظـــار أي أمر أو منفعة سيذهلون عندما يلتقون وجها لوجه مع كل فعل خير أو نيـــة صالحة في موقف لم يكونوا يتوقعونه أبداً. وعنده ينعقد لسانهم فلا يعرفـــون كيف يشكرون.

الفضيلة

ابحث دائماً عن مناصب ومناقب جديدة لروحك التي ستدوم وتبقى إلى

الأبد. ولا يغيبن عن بالك لحظة واحدة الاحتفاظ بهذه المناقب والفضائل وعدم فقدانها.

* * *

إذا كان هناك مجتمع يغمض عينيه عن جميع أنواع القبح والقبائح والرذائل، ويصرف همه في مطاردة كل شيء جميل وكل فضيلة وكل فاضل وكأنه شقي أو لص، وإذا كان أنصار الحق والحقيقة وعشاق الفضيلة يلاقون الإرهاب والعنت، وإذا كانت الرذيلة تدخل كل مكان، فإن بطن الأرض خير من ظهرها في ذلك المجتمع لأصحاب الفضائل.

* * *

قيل إن الفضيلة هي ما يحترمه الإنسان ويوقره من سلوك، والحيوانات لا تعرفها ولا تستسيغها. والرذيلة هي ما يتجنبه الإنسان ويفر منه من سلوك أو تصرف. وهذا ما يميز الإنسان، لأن الحيوانات لا تملك مثل هذا القسطاس الأخلاقي، وهو قول صحيح.

* * *

شعور المحبة نحو مفاهيم سامية كالدين والأمة والوطن والعرض من علامات الأرواح الشهمة. فهي لا تقبل المساس أبداً بهذه المفاهيم. وإذا استوجب الأمر تقوم بتضحية أرواحها في سبيلها عن طيب خاطر. والأشخاص المحرومون من مثل هذا الروح السامي قد يعدون هذا جنوناً.

* * *

الفضيلة تبقى فضيلة وإن أدت في ظروف معينة إلى أضرار. لذا فمن الظلم الاستهانة بها في هذه الحالات. لذا يجب محاولة إزالة مثل هذه الأضرار بالفضيلة أيضاً.

الفضيلة هي الحالة الروحية التي لا تهتم بجلب احترام الآخرين مع أنها

عملت عملاً يستحق الاحترام. أما الغرور فهي الحالة النفسية الـــتي تتوقـــع احترام الآخرين ومديحهم لعمل لا يستحق الاحترام.

عندما تتكلم الفضيلة يلوذ الغرور إلى حضن الأنانية ويستمع بكل ألم.

* * *

ذكر عظمائنا السابقين بكل خير حق لهم، وتعبير عن وفائنا. ذلك لأنهم بمثابة جذور هذه الأمة التي أكسبتها الحياة والأصالة. وكل محاولة للنيل منهم محاولة لإبعاد الأمة عن ماضيها المشرق المجيد.

* * *

الذين يذكرون العظماء الحقيقيين بالخير والاحترام، ســيذكرون يومـــاً بالخير أيضاً. أما الذين يحاولون الوصول إلى الشهرة بالنيل من هؤلاء العظماء فسيكتسبون سمعة وشهرة سيئة.

معرفة النفس بصيرة. أما الغرور فعمى. والذي يعرف نفسه يكون قريباً من الله ومن الناس. أما المغرور فيكون بعيداً عن الكل باستثناء نفسه.

* * *

تقييم الأخطاء الماضية والاستفادة منها والعفو عن الناس السابقين وعدم الانكباب على تذكر أخطائهم تصرف حميد وعاقل. أما الانشغال بالماضـــي دون أي داع والتهجم على الأشخاص السابقين فتصرف أحمق.

الرقي

إن رقي أي أمة وتقدمها مرتبط بمدى التربية التي تلقاها أفرادهـــا مـــن الناحية العاطفية والفكرية. فلا ينتظر تقدم أمة لم تتوســـع آفـــاق أفرادهـــا الفكرية والجوانية.

* * *

من شروط تقدم الأمة وصول أفزادها إلى وحدة الهدف والغاية. فلا يمكن توقع تقدم صحيح وسليم في مجتمع انقسم أفراده شيعاً وطوائف متناحرة.

* * *

الأجيال التي لم تتلق تربية موحدة، بل نشأت وغذيت بثقافات مختلفة لا بد أن تنقسم إلى معسكرات مختلفة ومتعادية. لذا فتوقع تقدم أمة هذه حالها إن لم يكن مستحيلاً تماماً فهو صعب صعوبة كبيرة.

* * *

يبدأ كل تقدم بفكرة معينة وتصور معين، ثم يتم قبول هذه الفكرة من قبل الجماهير، ثم تتحقق بجهود الأفراد المتكاتفين معاً في هذا السبيل. ولكن إن لم يكن للعلم نصيب في تخطيط هذه الفكرة، أو لم يسمح للعلم بذلك، فكل جهد وكل تعبئة عامة لإنجاحها محكوم عليها بالفشل.

* * *

كل ما يؤدي إلى تحسن وزيادة جمال وزيادة نظام وزيادة فضل يُعد رقياً لذلك الشيء. أي الاكتفاء بالموجود كسل وبلادة. أما تجاوز الموجود إلى الأحسن والى الأفضل فهو الرقي.

* * *

تحويل السهول الخضراء والبساتين اليانعة إلى سهول وأراضٍ جرداء والى مزابل يعد تدنياً وتراجعاً للوراء. أما تحويل الأراضي الجرداء والمزابل إلى سهول خضراء والى بساتين غناء فهو تقدم ورقي.

ممالك الأمم المتقدمة جنات، وجبالها غابات خضراء، ومعابدها كالقصور، بينما مدن الأمم المتأخرة خرائب وشوارعها مزابل ونفايات، ومعابدها تفوح منها روائح العفونة والوساخة.

* * *

مع أهمية انتشار القراءة والكتابة ودورهما الكبيران في رقي المجتمعات إلاّ

أنه إن لم يتم تربية الأجيال بثقافتها الملية وحسب اتجاه معلوم فمن الصعب نيل النتائج المرجوة.

* * *

كل محاولة وحملة للتقدم تمر من التقييم الجيد للوضع الحالي مع الاستفادة من تجارب الأجيال السابقة وإعطاء أهمية لتلك التجارب. وإلاّ فإن الأجيال القادمة إن اتبع كل واحد منها طريقاً دون الالتفات إلى تجارب السابقين، فإن هذا التصرف يكون تصرفاً صبيانياً، لأنه يؤدي إلى تأخر الأمة ويمنع تقدمها ويعرقلها.

احترام الفكر

الاعتراض على كل شيء ونقد كل شيء حركة تخريبية. والإنسان عندما لا يعجب بشيء، عليه أن يأتي وينجز الأحسن منه. فمن النقد والهدم نحصل على خرائب، ومن البناء نحصل على عمار.

* * *

علينا أن نخشى من الحقد الدفين الصامت أكثر من الحدة والغضب العلني الصاخب. فالأصدقاء وإن اشتدوا في النقد وجاهاً وعلناً إلاّ أنهم يتصرفون كملائكة حفظ وصيانة في غيابنا. أما الأعداء فينصبون الشراك بتصرفاتهم اللينة، ثم يهجمون هجوم العناكب على فريستها الواقعة في شباكها.

* * *

يقولون: "فلان حساس إلى درجة يتأثر حتى من رطوبة الجو" أفدي مثل هذا الشخص بنفسي... إذ ماذا نقول لمن لا يبتل حتى وهو تحت المطر؟!

* * *

اهتم بكل ما يقال في مجلسك من الأفكار المخالفة لفكرك. ولا تعجل

بردّ من يخالفك في الفكر، بل اصبر حتى النهاية وأنصت واستمع. فقد يكون ذلك الفكر محصول ظروف وشروط أخرى.

* * *

التجربة أستاذ العقل، ومرشد الفكر.

الرؤيـــا

الرؤيا نافذة من النوافذ المفتوحة على عالم الحقيقة. وتعني رؤية جزء ممـــا حدث أو مما سيحدث من الحوادث رمزاً أو صراحة. فكل رؤيـــا إشـــارة وحزمة ضوء من العالم البعيد تنير الظلمة أمام الإنسان بنسبة بُعد ذهن ذلك الإنسان عن الوقوع تحت ضغوط معينة وتحت أسر إيحاءات معينة.

* * *

ولأن الرؤيا لا تحتاج إلى عين أو مادة أو ضوء، بل تتم بواسطة الـــروح والبصيرة، فإن الأشياء المرئية فيها تكون في الأغلب جميلة وواسعة بشكل لم يعتده الإنسان و لم يتصوره. والرؤية الواحدة قد تحوي إشارات ومعلومـــات كثيرة عن الأمس واليوم والغد بحيث تملأ كتباً. مثل هذه الـــرؤى ليـــست نادرة.

* * *

يكاد لا يوجد هناك شخص لم يحلم و لم يشاهد رُؤى في منامـــه. لـــذا نستطيع القول بإن الرؤية مشاهدة طبيعية للروح. ويستطيع الإنسان بهـــذه المشاهدة اجتياز سور الجسد والعيش في بُعد آخر. ومن يدري فقد يستطيع حدس أسرار كثيرة حول القدر في نطاق الجيل الذي يعيشه.

* * *

الرؤى التي تحققت كما هي من الكثرة بحيث لو قام كل إنسان بـــسرد

الرؤى التي شـــاهدها وتحققت تعابيرها لاحتاج الأمر إلى مجلدات عدة.

* * *

الرؤى تتدلى إلى أفق مشاهدة الإنسان من العالم الآخر حـــسب صـــفاء قلب ذلك الإنسان. فكم من رؤيا تسيح فيها روح هذا الإنـــسان وتـــسعد بالتجول في عالم من الجمال وفي حدائق من البهجة وترتوي مـــن عيـــون الكوثر، وتطل من تلك النوافذ الخفية إلى عالم فيه ما لا عـــين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر... ترتوي وتثمل وتنتشي.

* * *

نستطيع بفضل الرؤيا إدراك وجود خاصيتين متميزتين عندنا هما القلـــب والبصيرة. وبذلك نستطيع التحرر من أجسادنا المحصورة في أبعادها الثلاثة. والحقيقة أن الأرواح السامية التي ارتفعت وعرفت الحق وامتزجـــت بـــه لا تحتاج لمشاهدة العالم الآخر إلى الرؤى بل تستطيع رؤية ذلك العالم وهـــذا العالم معاً وتعيش الجمال النابع من اللانهاية فتثمـــل وتنتـــشي بـــسعادة لا توصف. ولكن هذا الباب غير مفتوح للجميع، إذ لا ينفتح إلاّ بعد مجاهـــدة كبيرة وبعد تجارب روحية عميقة.

* * *

الذين يرون ذهن الإنسان مزبلة تحتوي على كل وساخة، أو الذين يبحثون عن هذا الأمر في العالم العكر للأحاسيس الحيوانية يرون في الرؤى التي تهـــب فيها نسائم الإلهام هبوباً أثراً من آثار كرنفال اللاشعور. مع أن الآلاف مـــن المكتشفين وأصدقاء الحق وجدوا فيها إلهامهم الأول. وسيبقى هؤلاء يحملون شعور الاعتراف بالجميل لهذا المنبع الفياض والمبارك لعالم المثال.

* * *

أما صاحب أعظم روح وأسماها والذي أغرق الدنيا بالنور،[1] فقد بـــدأ

(١) المقصود هو النبي ﷺ. (المترجم)

سيره في بحار الحقيقة والمعرفة بالرؤى. وكان يرجع أحياناً إلى هذا السلم الأول المبارك، وجذب انتباهنا إلى هذا البستان المبارك الذي عده شعبة من بضع وأربعين شعبة من النبوة.

الدين

لم يصل الإنسان منذ وجوده على الأرض وحتى يومنا الحالي إلى الطمأنينة الحقيقية والى السعادة إلاّ في الجو الدافئ للدين. فكما لا يمكن الحديث عن الأخلاق الرفيعة وعن الفضيلة في غياب الدين كذلك لا يمكن الحديث عن السعادة في غياب الدين. ذلك لأن منبع الأخلاق والفضيلة هو الضمير والعنصر الوحيد الذي يحكم الضمير هو الدين الذي هو عبارة عن الارتباط بالله تعالى.

* * *

الدين مدرسة مباركة لجميع الطبائع الجميلة. وطلاب هذه المدرسة هم الناس جميعاً أطفالاً كانوا أم شباباً أم شيوخاً. والذين ينتسبون لهذه المدرسة سيجدون في رحابها الطمأنينة والأمن والهدوء عاجلا أم آجلا. أما الباقون خارج هذه المدرسة فسيخسرون كل شيء، وأول ما يخسرونه هو أنفسهم.

* * *

الدين هو مجموعة المبادئ الإلهية التي تسوق الناس بإرادتهم الحرة إلى وجوه الخير. ومن الممكن أن تجد جميع الأسس التي تساعد على رقي الإنسان مادياً ومعنوياً، أي جميع أسس سعادته في الدنيا وفي الآخرة في الدين.

* * *

الدين هو عنوان معرفة الله وتوحيده والوصول عن طريقه إلى صفاء الروح، والى تنظيم علاقاته مع الناس باسمه تعالى وفي ضوء أوامره، بل حتى الوصول إلى شعور عميق بالعلاقة مع جميع الوجود والكائنات وحبها.

* * *

الذين يردون الدين ولا يتقبلونه يبدأون عاجلاً أم آجلاً بعدم توقير المفاهيم السامية كالعرض والأمة والوطن.

* * *

اللاأخلاقية أي البعد عن الأخلاق دنس منبعه البعد عن الدين أي اللادينية وهجره. وكل أنواع الفوضى والفوضوية ليست إلاّ ثمار الزقوم لهذا البُعد والهجر.

* * *

وهَلاّ يجدر بالملحدين الذين نذروا حياهم لمعاداة الدين أن يدلونا على فوائد اللادينية ويرشدونا إلى بعض ثمارها؟

* * *

الدين والعلم الحقيقي وجهان لعملة واحدة. فالدين يدل الإنسان على الطريق المستقيم الذي يوصله إلى السعادة. أما العلم الذي له هدف وغاية معلومة فهو مشعلة ومشكاة تضيء في ساحتها هذا الطريق.

* * *

كل الورود والزهور الجميلة تفتحت في بساتين وحدائق الدين. ها هي مبادؤه وها هي ثمراته اليانعة من الأنبياء والأولياء والأصفياء. وحتى لو حاول الملاحدة عدم رؤية هذه الثمرات عن عمد فإنهم لا يستطيعون مسحها وإزالتها لا من صفحات الكتب ولا من قلوب الناس.

* * *

يستند الدين إلى التفكير الرصين والعقل السليم والعلم. لذا فلا يمكن

انتقاد أي موضوع من مواضيعه من هذه الزوايا. والذين يردونه هم إما من أصحاب التفكير السقيم، أو من المخطئين في نظراتهم للعلم وتقييمهم له، أو ينقصهم المنطق الصحيح.

* * *

الدين نبع مبارك لأسس المدنية الحق. وهو الذي يسمو بقلب الإنسان وبأحاسيسه، وبه يستطيع تجاوز عالمه المادي هذا ويصل إلى عوالم أخرى، فينهل حتى الارتواء من منابع الجمال والخير والفضيلة.

* * *

من يبحث عن الفضيلة فعليه أن يبحثها في الدين. ففضيلة دون دين، أو دين دون فضيلة من أندر الأمور. فبالدين يستطيع الإنسان أن يدرك معنى الإنسانية فيتميز عن سائر الأحياء. أما الملحد أو اللاديني فهو لا يتميز بشيء عن الحيوان.

* * *

الدين هو طريق الله. أما اللادينية فطريق الشيطان. لذا فالصراع بين الدين وخصومه بدأ منذ عهد آدم عليه السلام واستمر إلى أيامنا الحالية، وسيستمر حتى يوم القيامة.

* * *

الأنبياء كالجبال بين الناس. فكما أن الجبال عامل أمن واستقرار وعامل مساعد لثبات الأرض ولتنقية الجو، كذلك الأنبياء بالنسبة للناس. لذا ذُكر الاثنان (الأنبياء والجبال) معا أحيانا واقترنا معا. أجل! فقد ذكر جبل الجودي مع النبي نوح عليه السلام، وجبل الطور مع النبي موسى عليه السلام وجبل غار حراء مع محمد ﷺ. وهذا الاقتران إيماءة وسحب قليل لستار الأستار عن هذا اللغز.

الحرية

الحرية هي عدم قبول الروح سوى المشاعر العلوية والأفكار السامية، ولا تعني الإسار لأي مبدأ سوى مبدأ الخير والفضيلة.

* * *

كم من إنسان مغلول بالقيود والسلاسل ولكنه يستطيع الطيران حراً في سماء قلبه وضميره ولا يحس لحظة واحدة بأنه في الحبس وفي السجن. وكم من إنسان يعيش في قصور فخمة ولكنه لم يعرف الحرية الحقيقية ولم يذق طعمها في أعماق نفسه.

* * *

الذين ينظرون إلى الحرية وكأنها تعني الانطلاق دون أي ضوابط لا يدرون بأنهم يخلطون بين الحرية الحيوانية وبين الحرية الإنسانية. وبينما شعار الحرية الذي يرفعه الذين يتهالكون لتحقيق الشهوات الجسدية ليس إلاّ شعاراً حيوانياً، نرى أن الحرية التي تسعى لإزالة العوائق أمام الروح لكي تسمو وتحلق في الأعالي... مثل هذه الحرية شعار إنساني وعلامة على الماهية الإنسانية.

* * *

الحرية هي تحرر الفكر الإنساني من كل قيد يمنعه من الرقي المادي والمعنوي بشرط عدم السقوط في وهدة اللامبالاة أو الأنفلات من الشعور بالمسؤولية.

* * *

الحرية بالنسبة للإنسان هي الارتباط بالفكر الحق، وعمل ما يرغب فيه بشرط عدم إيذاء الآخرين.

* * *

الحرية المعقولة هي الحرية المدنية، وهي الحرية المربوطة بالسلسلة الماسية للأخلاق والدين وبالطوق الذهبي للتفكير السليم.

* * *

الحرية التي لا تعطي أهمية للشعور الديني وتشجب الفكـــر الـــديني، ولا تعطي قيمة للأخلاق ولا تكون مشتلاً للفضيلة... مثل هذه الحرية داء وبيل تنفر منه الأمة وتهرب منه هربها من الطاعون. وكل أمة تبتلى بمثـــل هـــذه الحرية ستفقد أمنها عاجلاً أم آجلاً، وتفقد أصدقاءها ومحيطها ومن حواليها.

المدنيـــة

ليست المدنية غنى وارستقراطية ومظاهر فارغة مـــن الوقـــارأو إشـــباعاً للرغبات الجسدية أو إنغماساً في الشهوات. بل هي غنى في النفس ورقـــة في الروح، وعمق في النظرة إلى الأمور واعتراف بحق الحياة للآخـــرين وتقبـــل للآخرين وعدم الضيق بهم.

* * *

لم تتحقق المدنية الحق إلاّ في الظروف التي سار فيها العلم جنباً إلى جنب مع الأخلاق. لذا فإن المدنية الغربية التي حسبت كل شيء محصوراً في العلم بقيت مدنية مشلولة. أما المدنيات الشرقية فقد انعزلت عن العلم وتقوقعـــت على نفسها، وأصبحت الآن تمثل التأخر. أما مدنية المستقبل فستكون مزيجاً من العلم والصناعة للمدنية الغربية، مع فلسفة العقيـــدة الدينيـــة والخلقيـــة للشرق، وهي ستنمو وتترعرع بهذا المزيج.

* * *

المدنية التي لا تستند إلى الفضيلة، ولا تتغذى من العقل ومن الضمير، لا يمكن أن تكون وسيلة لسعادة الإنسانية. كل ما تستطيعه مثل هذه المدنيـــة المزخرفة هو خدمة بعض الأغنياء وبعض أرباب الأهواء. لذا فيا عـــار مـــن ينخدع بزخرفها وزينتها.

* * *

ولا يحسبن أحد أن المدنية هي التقدم في العلوم الطبيعية أو امتلاك الإمكانيات والوسائط الحديثة كالبواخر والقطارات والطائرات، أو العيش في المدن الكبيرة ذات الشوارع العريضة والبنايات العالية. بينما يعد أصحاب العقول المؤمنة هذه الأمور مجرد جزء من المدنية وليست المدنية ذاتها، أي من الخطأ اعتبار استعمال هذه الوسائط هي المدنية نفسها.

* * *

لكي يصبح الأفراد مدنيين علينا أن ننمي بذور الخير الموجودة في جوهر الإنسان تدريجياً لكي يكتسب فطرة ثانية... هذا هو الطريق. أما الذين يعدون ملابس الإنسان وقيافته وقيامه بإشباع أذواقه الجسدية مدنية، فهم بعض منكودي الحظ من الذين انسحقوا تحت المطالب الجسدية، أو من الذين فقدوا قابلية التقييم الصحيح والمنطق الصحيح.

* * *

لا شك أن الأمم البدوية الوحشية تكون ظالمة وتقوم بالنهب والسلب والقتل. وبما أن الجميع يعرفون هذه الحقيقة معرفة جيدة، فإن ضرر هذه الأمم يبقى محصوراً في نطاق ضيق. ولكن ما بالك بالبدويين الذين يصنعون ويملكون أحدث الأسلحة ويترقبون على الدوام الفرصة لسفك الدماء ولعقها؟

* * *

إذا كانت المدنية هي قيام أمة بشرح نفسها وإيضاح ماهيتها وكيانها، فإن عناصر هذا الشرح والإيضاح هي علمها وأخلاقها وآثارها الصناعية. ذلك لأن التربية الاجتماعية والمعارف والصناعات المختلفة تعطي شكل المدنية. أما الأخلاق فهي اللسان البليغ الذي يقوم بالإعلان عنها.

حول العلم

الابتعاد عن العلوم الوضعية بحجة أنها تؤدي إلى الإلحاد تصرف صبياني. أما النظر إليها وكأنها تعادي الدين وأنها وسيلة للإلحاد وطريق إليـــه فهـــو حكم مسبق وجهل مطبق.

* * *

العلوم مفيدة لنا بدرجة قيامها بتأمين سعادتنا والارتفاع بنا إلى المستوى الإنساني اللائق. أما إن أصبحت العلوم والتكنولوجيا الكابوس المرعب لبني الإنسان فليست إلاّ شيطاناً رجيماً تقطع علينا أمامنا الطريق.

* * *

لقد قال عالم العصر(١) للماديين القصيري النظر الذين حاولوا تأليه العلم في بداية عصرنا الحالي: "العلم دون دين أعمى، والدين دون علم أعـــرج". وهكذا انتقد هذا العالم الهذيان المرعب الذي ساد عصراً كاملاً انتقاداً لطيفاً. ولا أدري ماذا كان سيقول لو شاهد من هو أعمى وأعرج في الوقت نفسه من بعض معاصرينا الحاليين.

* * *

ردّ جميع العلوم الوضعية والادعـــاء بأنها بأجمعها لا تـــســـاوي شـــيئاً أنموذج للجهل وللتعصب. أمـــا رد كل شـــيء خـــارج هـــذه العلـــوم فسذاجة وتعصب أحمق. أما الإدراك بأن كل معرفة جديدة تأتي بأكوام من المجاهيل والأســـئلة فهو الإدراك اللائق بالتفكير العلمي الصحيح.

* * *

العلم والتكنولوجيا في خدمة الإنسان وليس هناك من مبرر جدي للخـــوف منهما، لأن الخطر لا يكمن في العلم ولا في تنظيم الدنيا حسب مقتضى العلم، بل يكمن الخطر في الجهل وعدم الإحساس والتهرب من تحمل المسؤولية.

---

(١) المقصود هو العالم ألبرت أنشتاين صاحب النظرية النسبية العامة والخاصة. (المترجم)

العلم المفيد

للعلم وللعلوم الوضعية والتجريبية فروع مختلفة، ولكل فرع فوائده. ومع أن جميع هذه الفروع مفيدة، إلاّ أن عمر الإنسان قصير وقابلياته محدودة، لذا يستحيل عليه الإحاطة بجميع فروع هذه العلوم. لذا كان على كل فرد تعلم ما يفيده ويفيد أمته، ولا يضيع عمره في ساحات أخرى غير ساحته.

الشباب

الاهتمام بالأجيال الشابة ورعايتها بكل حنان خطوة إيجابية وذات مغزى في صالح الأمة. غير أن هذا الحنان والاهتمام يكون مثمراً ومفيداً بنسبة توجهه لرعاية حياتهم الروحية والقلبية. أما إن توجه الاهتمام لإشباع غرائزهم الجسدية فإنه يقلبهم إلى أبدان دون ارواح... إلى مخلوقات لا تملك إلا أبدانا ضخاما.

* * *

كل أمة اهتمت بأجيالها الشابة ارتقت. وكل أمة تركت شبابها لتيار الشهوات عانت نتيجة إهمالها هذا معاناة كبيرة ودفعت ثمنه غالياً. وما نعانيه اليوم من فساد مستشرٍ وتفسخ مستمر في أجيالنا فهو نتيجة طبيعية لإهمالنا. أجل! فبينما كانت رؤوسنا تتجول فوق السحب، لم نشعر بالثعابين السامة التي تسللت من بين أرجلنا إلى مخادعنا. وهكذا هيأنا وضعنا الحالي بأيدينا.

الانحراف

كم من مرة أبحرنا إلى مجاهيل مخيفة بسبب أساطير وأوهام خيالية. ولكن لم نحصل على شيء... لم نحصل لا على "ليلى" التي همنا على وجوهنا في

الصحارى بحبها، ولا اســـتطعنا الرجوع إلى الشاطئ الذي أبحرنا منه.

* * *

عندما يبدأ أي مجتمع بالابتعاد عن جذوره، تتغير زاوية نظره وتنقلـــب قيمه ومعاييره رأساً على عقب. في مثل هذا المجتمع يدعى الجهـــاد "بغيـــاً" والظلم "عدالة" وتُستمطر اللعنات على التاريخ... تكتب قـــصائد المـــديح للأمور الشنيعة وللقاذورات، ويُذم الأدب والطهر، ويهتف بحيـــاة الرذيلـــة وعدم الحياء... تُنبذ العفة وتكون الوقاحة أمراً طبيعياً. يتم الهجوم بكل دناءة لمن يرتبط بالأمة وبالماضي. ويعلو قدر الـــذين انقطعـــوا عـــن جـــذورهم وأصالتهم.

* * *

التهافت على الاختلاط بالجنس الآخر والثرثرة معه والرغبة في صـــحبته على الدوام هو إما نتيجة ضعف أو فساد في الطبع أو أمـــارة علـــى حمـــل صفات ذلك الجنس.

نيـــة الخدمة

لا أدري ما الفرق بين حياة من لا يهدف إلى خدمة الإنسان وبين حياة المتوحشين البدائيين المملوءة بكل الرغبات الجامحة؟

* * *

تأييد وتشجيع كل خدمة في سبيل الحق والصدق والاستقامة إشارة إلى احترام وتوقير الحق. وأنا أقول للذين يرون الحق منحـــصراً في مـــسلكهم ومشربهم فقط: صدقوني! ستبقون وحدكم عاجلاً أم آجلاً. وستغيرون على الدوام نظراتكم إلى الحق ولن تستقروا على شيء أبداً.

النظرة الميكافيلية

كان من المعلوم في السابق أن طريقة الدعاية للنفس والتعريف بها بواسطة الهجوم على الآخرين وإدانتهم. والتشنيع عليهم طريقة خاصة لجماعة نفاق في الشرق.[1] ولكن هذه العادة انتشرت الآن انتشاراً كبيراً بحيث أن العديد من الذين نذروا أنفسهم للنضال في سبيل الحق بدأوا يشاركون في مثل هذه الأراجيف. فيا ويح من يبحث عن الحق بطرق باطلة... ويا ويـــح لجميـــع الميكافيليين...

بعض الذين في قلوبهم مرض

المتدين الحق هو الإنسان الخلوق خلقاً رفيعاً في الوقت نفسه. فلا تجد في عبادته تصنعاً ولا في معاملته خداعاً، ولا في قلبه حقداً أو نفاقاً. التصنع يبعد الإنسان عن الحق تعالى والخداع يُبعد عن الحق تعالى وعن الخلق. أما الحقد والكره والنفاق فسبب لذكره باللعنات.

فساد الميزان

لقد أكرهت الأمة منذ السابق وحتى اليوم بقبول جميع الفاســدين وجميــع السيئات بتخويفها من سيئات أكبر وأفظع. حتى اضطروا الأمة على الرضى بها باعتبارها "أهون الشرين". وذلك على غرار: "من رأى الموت رضى بالحمى..."

هذه الفكرة خاطئة أياً كان مصدرها الملعون والنكد، فإن قبــول هــذه النسبة باسم عقائدنا ونظرتنا التاريخية وعقائدنا وأعرافنا لا يعني سوى قبول جميع أنواع التفسخ والانحلال والانحطاط الذي لا نهاية له.

(١) المقصود هنا جماعة الشيوعيين لأنها ظهرت في روسيا، وهي تقع في شرق تركيا. (المترجم)

الخطة

إن وضع خطة مدروسة بشكل جيد لإنشاء ورشة أو مصنع يعطي الأمل بدوام هذه الورشة وهذا المصنع وبمستقبل جيد لهما. أما إن لم يتم وضع مثل هذه الخطة المدروسة والحساب الدقيق فالمصير المحتوم هو الخسران المبين. إذن فما ظنك بالتخطيط الذي يتناول أمور أمة كاملة، ويتنــــاول إدارة دولـــة، وإدارة الإنسان، وهي أمور حافلة بالمعضلات وبالأحاجي والألغاز لكونهـــا متعلقة بهذا الإنسان اللغز.

حول الزمن

عندما نتناول الطعام والشراب ونودعهما في أجسامنا نلتذ ونستفيد منهما. كذلك الأمر بالنسبة للزمن, فبنسبة تملكنا للثواني والدقائق والأيام والأســـابيع نحس بلذة العيش ونتمنى ألاّ تمر هذه الأيام بسرعة.. أي أن الحيـــاة نعمـــة لا يمكن الشبع منها إن كانت تحمل في طياتها وعوداً وبشارات لنا لأيامنا الحالية ولمستقبلنا. ولكنها تكون عبئاً ثقيلاً إن كانت دون هدف أو غايـــة.عنـــدما نتناول طعاماً أو نشرب شراباً ونودعهما في أجسامنا فإننا نحس بلذة.

الغرباء

ليس الغريب من ابتعد عن وطنه وبيته وعن أصدقائه وأحبائه، بل هـــو الإنسان الذي لا يفهم المجتمع حاله ولا طريقه وسلوكه، ولا يفهم مبادئـــه العالية ولا أحلامه المستقبلية ولا تضحياته بـــسعادته الشخـــصية في ســـبيل الآخرين. وهو الإنسان الذي كثيراً ما يقع في تناقض مع قـــوانين مجتمعـــه بسبب همته العالية فيتعرض للأذى وللوم وللاستنكار.

الدعاء على...

كما توجد أماكن ونقاط حساسة ومهمة وحيوية في جسد الإنسان، كذلك توجد نقاط مهمة وحساسة في بنية الأمة كالعقيدة والحاسة التاريخية وثقافة وفكر الأمة. وكما يتهاوى الإنسان ويسقط أرضاً ان تعرض موضع حيوي وحساس في جسده إلى ضربة، كذلك تسقط الأمة إن تعرضت إحدى هذه النقاط الحساسة لجرح بليغ. لذا فألف لعنة على من يتلاعب بعقيدة وتاريخ هذه الأمة! وألف لعنة على أعداءِ ماضي هذه الأمة! وألف لعنة على من خرب فكر وثقافة هذه الأمة! وألف لعنة على المتشائمين الذين يرون مستقبلنا مظلماً ويوهموننا بذلك!..

الخوف والأمل

الخوف من الناس يشل حركة الإنسان. أما الرجاء فيما أيدي الناس فيسوق في كثير من الأحيان إلى خيبة الأمل واليأس. والحل الوحيد لعدم الخوف من أي أحد هو الخوف من صاحب الأمر تعالى اسمه. أما الحل الوحيد لعدم الوقوع في اليأس فهو الاتكال والاعتماد على ذي القدرة الذي ينجز ما وعده على الدوام.

دستور رجل الدعوة

إن قيامنا –بنية متوجهة إلى الله تعالى– بخدمة الإنسانية، والاحتفاظ بدعوتنا فوق كل رغبة وهوى، وفوق كل الشهوات والرغبات الدنيوية ومنافعها، وبعد معرفة الحقيقة والوصول إليها والاستعداد للتضحية بكل ما نحب وبكل ما تعلقت قلوبنا به، والعزم على هذا بكل ثبات وقرار، وتحمل

جميع المشقات والمصاعب التي تتجاوز تحمل الإنسان في هذا السبيل، وفتح الطرق المؤدية إلى سعادة الأجيال القادمة، والتهيؤ للانسلاخ من كل المنافع المادية والمعنوية، والعيش لسعادة الآخرين، والرضا بإشغال الصفوف الأولى عند أداء الخدمة والصفوف الأخيرة عند المغانم، أي الابتعاد عن كل منافسة من أجل المنصب أو الجاه... هذه هي غايتنا التي لا يمكننا التفريط بها.

* * *

كما أن الخصال الحميدة الموجودة لدى الدعاة الذين يشغلون الخطوط الأمامية في أداء فعاليات الخدمة ستنتقل إلى الصفوف الخلفية بجميع أوجه الخير والجمال الموجودة لدى الدعاة، كذلك فإن جميع الخصال القبيحة ستنتقل أيضا إلى الصفوف الخلفية وتؤدي إلى ابتعاد أفرادها عن ذواتهم وجذورهم ويصبحون مقلدين مساكين للغرب.

فدائيو المحبة

أبطال المحبة فقط هم الذين يستطيعون إنشاء عالم المحبة والنور والسعادة في المستقبل... أبطال المحبة على شفاههم بسمة المحبة، قلوبهم عامرة بالمحبة، نظراتهم تشع بالمشاعر الإنسانية، يغمزون للكل غمزة محبة.. ويرون في شروق الشمس وغروبها وفي بريق النجوم وخفوتها رسائل محبة.

* * *

إن فدائيي المحبة ينظمون أنفسهم بشعور المحبة تجاه بيئتهم. وحتى حدتهم وغضبهم له طابع المهابة والجدية، لأنه يسعى للتنظيم وللتقويم، أي يكون على الدوام مفيداً وبناءً.

ممثل على جميع المستويات

يجب أن يكون هناك في كل سلم من سلالم خدمة الدعوة ممثل متصف بالصدق والاستقامة والأمانة وبشعور وإحساس بالواجب، وبإدراك يفوق إدراك أمثاله وله، حدس يستطيع به رؤية المستقبل والحاضر مع خلق وعفة. ويعني هذا أن الإداري الذي يفقد صفة من هذه الصفات يعاني من ناحية سلبية بشكل جدي، وهذا سوء حظ كبير بالنسبة للذين يعملون معه.

وحدة المظهر والمخبر

على الذين يحاولون أن يصلحوا العالم إصلاح أنفسهم أولاً. أجل! عليهم أن يطهروا أولاً قلوبهم من الغل والحقد والحسد إلى جانب استقامتهم في السلوك وفي التصرف وبعدهم عما لا يليق بهم. وبهذا فقط يستطيعون أن يكونوا قدوة لمن حولهم.

أما من لم يسيطر بعد على عالم قلبه و لم يعلن الحرب على نفسه الأمارة. و لم يفتح عالم أحاسيسه الجوانية... مثل هؤلاء وإن تكلموا بمعسول الكلام، وإن كانوا في قمة البلاغة فإنهم لن يستطيعوا إثارة القلوب والأرواح ولو استطاعوا ذلك فلن يستطيعوا هذا طويلاً.

الروح المثالي

الذين يبتغون إرشاد الناس وتنويرهم، والذين يبذلون جهودهم في سبيل سعادتهم، ويمدون أيديهم إليهم لانقاذهم من الورطات الكثيرة للحياة، هم أصحاب القلوب الكبيرة الذين فهموا أنفسهم. وهم مثل ملائكة الرحمة وملائكة الحفظ والصيانة في المجتمع الذي يعيشون فيه، يتصارعون مع

مصاعب المجتمع ومصائبه، ويتصدون للرياح وللعواصف ولإطفاء الحرائق، وهم على أهبة الاستعداد لكل طارئ.

* * *

اختيارنا للمهن بنسبة استعداد وقرب هذه المهن لأداء الخدمة الإيمانية دليل على احترام الحق ومعرفة قدره. والذين يمشون في هذا السبيل على الرغم من كل الإغراءات التي يحفل بها المجتمع هم الذين سيبنون المستقبل ويكونون مهندسيه ومعماريه.

انتصار الخير والجمال

الخير والجمال والصدق هو خميرة الفضيلة في الدنيا. ومهما يكن من أمر فإن الدنيا متجهة لا محالة إن عاجلاً أو آجلاً نحو هذا الخط، ولن يكون باستطاعة أحد منع أو إعاقة هذا الأمر.

يومان لكل إنسان

نحن نؤمن بأن لكل إنسان يومين... يوم اعتيادي يعود إليه، ويوم آخر يعود إلى الأجيال القادمة. وإذا كنا نبكي وننتحب من مصاعب اليوم الأول، فإن قلوبنا مفعمة بالأمل والسرور لليوم الثاني ثقة منا بالرحمة اللانهائية للرحمن الرحيم وبعنايته الواسعة.

الإفراط والتفريط

قد يكون هناك إفراط أو تفريط في كل فكر... وكل منهما في حكم

السم القاتل. أجل! فعندما ندعو إلى البساطة في العيش فلا نعني أن نلبس خرقة بالية أو نأكل في صحن مكسور أو نسكن بيتاً تعشعش فيه العناكب... من يعتقد هذا مخطئ. كذلك يخطئ من يظن العيش عبارة عن لبس ملابس فرنجية أو ثوب سهرة فاضح.

الوسيلة الباطلة

النظم القائمة على الكذب وعلى المبالغة مصيرها الانهدام على رؤوس مؤسسيها والزوال ولو بعد حين. ثم لا يبقى منها سوى ذكريات أليمة وسوى حسرات.

الأرواح المجرمة

كثيراً ما يحسب الإنسان الآخرين مثله وينظر إليهم من خلال نافذة قلبه. ومن خلال الضباب الكثيف والدخان الموجود هناك يرى الجميع رؤية عكرة. لذا فجميع القرارات التي يصدرها في هذه الحالة تكون قرارات ظالمة ومظلمة. لذا فالشخص الأناني الذي يعيش هذه الحالة يرى أن كل شيء حوله قد انتهى أمره وفسد. ولكنه لا يدري أنه هو الذي انتهى أمره في الحقيقة.

جيل البكاء والضحك

ما أسوأ حظ من تقدم به العمر و لم يصل بعد إلى فهم وشعور العبودية لله تعالى! وما أكثر خسرانه مع تيسر الربح له. ولو أدرك هذا لكان الأجدر به أن يبكي بحرقة وينتحب ندماً وأسى بدل الضحك والقهقهة.

العمر المبارك

أطول الناس عمراً ليس أكثرهم عيشاً، بل هم الذين استفادوا من عمرهم واستثمروه. لذا يمكن أن يكون هناك شخص قصير العمر عاش مئة سنة. ويمكن أن يكون هناك شخص عمره خمس عشرة سنة ولكن قامته تطاول السماء بأعماله المملوءة بركة وفيضاً.

وحدة المشاعر السامية

الأعداء الظاهريون للعرض والشرف قوم ساقطو الأخلاق. أما الذين يعادونهما خفية فهم عديمو التربية من الذين لا يخافون الله ولا يخشونه. والحقيقة أن الذين لا يحملون المعايير الخلقية ولا يهتمون بمفاهيم العرض والشرف لا يمكن أن يحملوا المشاعر الوطنية ولا مشاعر الارتباط بالأمة.

طريق الأمة

طريقنا هو طريق تأييد كل من يقدم خدمة للأمة ويسعى لخيرها ومساندته ومساعدته. لن نرد على من يكفرنا أو يضللنا ولن نشترك في لعن هؤلاء او الدعاء عليهم.

احترام الإنسان

عندما يموت الحيوان يُنسى، ويضيع قبره، ولكن الوضع يختلف عند الإنسان. وأنا لا أدري إن كانت الأمم التي لا تحافظ على ذكريات الأجداد وقبورهم تدرك أنها قد نزلت بهم إلى مستوى الحيوانات؟ والحقيقة أن احترام الأموات نوع من الأمن المُهدَى إلى أحياء المستقبل ورجاله.

أكبر رأسمال

الضمير ومفاهيم الأخلاق والتربية والخلق الدمث والكياسة والرقة رأسمال كبير في كل مملكة... رأسمال لا يتأثر بصعود أو هبوط الأسهم في الأسواق المالية. والذين يملكونه يشبهون التجار من ذوي السمعة الجيدة والمكانة المرموقة الذين يستطيعون التعامل مع الجميع حتى وإن لم يملكوا رأسمالاً آخر.

الجهل

الجهل قناع على وجوه الأشياء، والشخص الذي لا يمزق هذا القناع عن وجهه شخص نكد الحظ لا يستطيع النفوذ أبداً إلى الحقائق الكونية السامية. وأكبر جهل وأعظمه هو الجهل بالله تعالى. وعندما يترافق هذا الجهل مع الأنانية فإنه يتحول إلى جنون لا يمكن الشفاء منه.

الصبيانيون

ثناء الكبار علينا حاجة نفسية لنا، وأمارة من أمارات عظمتهم. لذا يجب الاحتفاظ بالأدب والاحترام وعدم اقتراف أي تصرف متصف باللامبالاة تجاههم، وعدم الوقوع في شطحات "البكتاشيين" والويل لمن يسيء استخدام الثناء الموجه اليه من الطائشين والمستهترين من أصحاب التصرفات الصبيانية.

احترام الأفكار

الإنسان العاقل ليس هو الإنسان الذي يدعي عدم وقوعه في الخطأ أو يدعي عدم حاجته إلى أفكار الآخرين. بل العاقل من يعرف أن الخطأ خصلة بشرية، لذا يتوجه إلى تعديل أخطائه وتقييم الأفكار المختلفة ويستفيد منها.

نية الخير

من أهم الطرق المؤدية إلى كسب قلوب الآخرين هو البحث على الدوام عن أي فرصة لتقديم الخير والخدمة إليهم دون إضاعة أي وقت. وكم نتمنى لو روضنا قلوبنا على عمل الخير على الدوام.

عمق الأحاسيس

يتوسع وينمو عالم الحس والشعور لدى الإنسان بنسبة طردية مع طبيعة الحياة التي عاشها والآلام والمصاعب التي عاناها. والإنسان الذي عاش على هامش الحياة دون فكر ولا معاناة لا يمكن أن تنمو أحاسيسه حتى ولا ملكاته الأخرى، ولا تكون لمثل هؤلاء في أي وقت علاقة قوية مع الوجود.

الإرادات العالية

الإرادة العالية ومتانة الخلق لو غُليتا في قِدر خمسين مرة وصُبّتا في قوالب مختلفة لما فقدت من ذاتيتها وماهيتها وشخصيتها شيئاً، بل تبقى محافظة عليها. ولكن ماذا نقول لمن يغير اتجاهه وفكره كل يوم مرات عديدة من أصحاب الإرادة الضعيفة.

الحياة الحقيقية

الحياة اسم للبقاء حياً في عهد التفتح والبهجة في الطفولة، وفي عهد التوتر الصوفي وروح الجهاد في الشباب، ورغبة الالتقاء بالأحباء السابقين في عهد الشيخوخة. لذا فما أمر وجهة النظر الإلحادية التي ترى الحياة كوميديا

مرة وتراجيديا مرة أخرى. فقتلت بذلك شوق الإنسان ورغبته في الحمد والشكر.

التصور البدوي

إن تحلقت التصورات حول محور مبدأ سامٍ، ووجد الخيال معونة من العقل ومساعدة، وصل الإنسان بكل نجاح إلى أفكار نيرة والى نجاحات متتابعة. وعلى العكس من ذلك فإن الخيالات الساذجة لا يكون لها أي عون، لأي تقدم علمي ولا للوصول إلى أي حقيقة.

الخطة أولاً

يجب عند القيام بالتخطيط من أجل تحقيق خدمة أو إنجاز عمل دراسة العوائق المحتملة بجانب العوامل المساعدة والإيجابية. بذلك فقط يتم تلافي نقد القدر عند ظهور المشاكل والمعوقات، ولكي لا تهتز ثقة الآخرين بنا.

حول اللغة

اللغة نعمة كبيرة من النعم التي أسبغها الرحمن الرحيم على الإنسان. فبها يتغنى الإنسان بإنسانيته، وبها يتوجه نحو العلم، وبها يعيش في الأجيال القادمة. لذا فهل يدرك من أفسد هذه اللغة مدى الجريمة التي ارتكبها.(١)

(١) يذكر المؤلف هذا الأمر بالنسبة للغة التركية التي تم إفسادها بإدخال الكلمات الأجنبية (كالفرنسية والإنجليزية...) وباختراع كلمات جديدة مقابل الكلمات العربية التي تم حذف أكثرها. (المترجم)

الوحدة

الإحساس بالوحدة هو الإحساس الذي ينتاب أصحاب القلوب البائسة ممن لم يعيروا قلوبهم للأبدية، ولم يملأوا أرواحهم بفكرة الخلود. وهي مشكلة لا يرجى لها شفاء. والظاهر أن هؤلاء لا يمكن أن يتخلصوا من ضباب التشاؤم ولا يستطيعون تأسيس علاقة محبة وصداقة مع الوجود كله إلا عندما تثب الأحاسيس وتنشط بالعقيدة فترى أرواحهم الوجه الحقيقي للوجود.

التوتر المفقود

كل نجاح هو نتيجة لمعاناة وتوتر وتعبئة سابقة. وهو بداية وسبب لنجاح تال، ولكن بشرط ألاّ يرتخي الواصلون إلى الفوز وألاّ يسكرهم النجاح فيرتخوا ويكسلوا.

الثمينون

كما يوجد بين الناس من يمكن شراؤه بأبخس ثمن وأرخص سعر، كذلك هناك من لا يمكن شراؤه بملء الأرض ذهباً وجواهراً. والفئة الثانية هم الذين يُعلون الأمة ويرقونها. والناس الغالون كأمثال الغيوم المحملة بالأمطار محملون على الدوام بالمبادئ العالية وبالفضائل السامية. وسواء أعرفوا ذلك أم لم يعرفوا فكل أرض يطؤونها تخضر من بعدهم.

قال عمر المختار للإيطاليين: "إنني أموت، ولكني سأخلد. ولكن مصيركم أنتم إلى الموت". إن المسلم يبيع حياته بثمن غال جدا... يعطي حياة فانية ليكسب مقابلها حياة خالدة. أما الصحة التي تربطنا بالحياة فتشبه

زهرة لا يدوم جمالها سوى بضعة أيام، أي تشبه أوراق الأزهار. وهذه الأوراق عندما تكون نضرة تجلب إليها الأنظار. أما إن ذبلت فلا يهتم بها أحد ولا تبقى لها أي قيمة.

الأدب

الأدب هو اللغة البليغة للبنية الروحية والفكرية للأمة ولدرجة نضجها. والأفراد الذين لا يمتلكون البنية الروحية نفسها والنظام الفكري نفسه، ولا يشتركون في درجة النضج، يستحيل على مثل هؤلاء الأفراد التفاهم فيما بينهم حتى وإن كانوا منتسبين إلى الأمة نفسها.

* * *

والكلمة أهم واسطة لانتقال الأفكار من ذهن إلى آخر، ومن قلب إلى آخر. والذين يحسنون استعمال هذه الواسطة من أرباب الفكر يستطيعون جمع أنصار عديدين للأفكار التي يريدون إيداعها في القلوب وفي الأرواح، فيصلون بأفكارهم إلى الخلود. أما الذين لا يحسنون هذا ولا يستطيعونه فإنهم يقضون أعمارهم في معاناة فكرية ثم يرحلون عن هذه الدنيا دون أن يتركوا أثراً فيها.

* * *

كل فروع الأدب تعد نوعاً خاصاً من أنواع التعبير حسب العناصر المختلفة التي يستعملها والأهداف التي يرمي إليها، أي تغدو لغة خاصة لذلك الفرع من الأدب ومع أن الجميع يستطيعون فهم هذه اللغة بدرجات مختلفة، إلا أن الأديب والشاعر الذي يستعمل تلك اللغة بمعناها الحقيقي هو الذي يفهمها حق الفهم.

* * *

وكما يفهم الصاغة في الذهب والفضة، فإن الأدباء وأصحاب البلاغة

هم الذين يفهمون جواهر الكلام. فالدابة قد تأكل زهرة واقعة على التراب، وقد يدوس عليها من الناس من لا يملك حساً رقيقاً أو تقديرا صحيحا للأمور، أما الإنسان فيرفعها من الأرض ويشمها ويضعها على صدره.

* * *

يجب تقديم الأفكار السامية والمبادئ السامية بأسلوب بليغ له قدرة النفوذ إلى الأذهان وتحريك القلوب وإثارتها. وإلاّ فإن الكثير من هواة الزينة والزخرف في الكلام لن يلتفت إلى جواهر المعاني العميقة إن قدمت لهم في ثياب مهلهلة.

* * *

لو لم يكن الأدب موجوداً ما كان بإمكان الحكمة أن تأخذ مكانها الحالي ولا الفلسفة أن تصل إلى الأيام الحالية، وما كان بإمكان الخطابة أن تؤدي دورها. ومن جانبها قامت الحكمة والفلسفة والخطابة، كل من زاويتها ومن ساحتها بتقديم ثروتها كرأسمال ومادة لا تنتهي للأدب مما أكسبته عمراً مديداً وخلوداً.

* * *

الأدباء والشعراء بترنمهم بالجمال الباطني والظاهري، أي الجمال في الأنفس وفي الآفاق يشبهون عازفي الناي. والناس يفهمون بواسطتهم معاني الأصوات الصادحة من هذا الكورس الغني، ولكن من لم يُرزق رقة الإحساس والشعور لا يستطيع فهم اللهيب المشتعل في أفئدة هؤلاء مثلما لا يستطيع غليظ الحس لا فهم نافخ الناي ولا فهم نغمات الناي.

* * *

كل فرع من فروع الفن –ما دام منبعه نظيفاً وطاهراً– وكل أثر فني يعرض جمالاً خاصاً وثمينا، كل من عالمه ومن جوه وإقليمه، ويعرض زهوراً وثماراً، وطعماً وعطراً خاصاً بكل ثمرة وبكل زهرة.

ظاهرة الأدب –مثلها مثل غيرها من أشكال الفنون– تصل إلى الخلود

بتمازج الحدس مع العالم الخارجي، وبخاصية تجاوزها لأبعاد الزمان والأهداف القريبة.

لذا كان من المهم جدا لكل فنان تجاوز كل شيء مرئي ومحسوس، وفتح صدره وقلبه للنسائم التي تهب من الآفاق البعيدة.

* * *

يجب أن يكون كل كلام مستعمل في شرح المقاصد أو توضيح المعاني - سواءً أكان نثراً أم نظماً- ظرفاً لهذه المعاني ومحفظة لها، وإلاّ يقوم بإلقاء أي ظل عليها، ولا أخذ مكانها. فإن قامت هذه المحفظة -حتى وإن كانت من الزبرجد واللؤلؤ- بإلقاء ظل على هدف الكلام وغايته ومقصده، فقد الكلام تأثيره وقوته، وكان قصير العمر.

* * *

بجانب كون اللغة وسيلة تعبير الأفكار والمفاهيم، فلها علاقة وثيقة مع مواضيع الفن والجمال. وكلمة الأدب هي التعبير عن هذا الجانب في اللغة.

* * *

العنصر الأساسي في الأدب هو المعنى. لذا يجب أن تكون الكلمات المذكورة قليلة وقصيرة وغنية بالمعاني. ومع أن البعض حاولوا شرح هذا الأمر كما تناوله القدماء بمواضيع البيان والبديع، أي بفنون التشبيه والاستعارة والكناية والتلميح والجناس...الخ إلا أنني أرى أننا يجب أن نبحث عن الكلام العميق عند المفكرين من ذوي القلوب الملهمة التي تحيط بالوجود وتعرف كيف تتسع قلوبها للوجود كله، وذوي الخيال الواسع الذين نجحوا في رؤية الدنيا والآخرة وجهين لحقيقة واحدة، والذين يملكون إيماناً عميقاً وفكراً تركيبياً قوياً.

* * *

كما توجد مدنيات مختلفة وثقافات مختلفة في هذه الدنيا، كذلك هناك

أنواع مختلفة من الأدب. فإن جميع هذه الأنواع تعرض لنا وجها عالميا واحداً للأدب لوجود حب الطبيعة بكل خطوط جمالها وأنغامها في لبه وجوهره.

* * *

قد يختلف الأثر الأدبي وانعكاسه حتى لدى الناس الموجودين في المنطقة نفسها وفي البلد نفسه. وهذا ينبع من اختلاف الزوايا التي يتم بها النظر إلى الأمور وإلى الأحداث وإلى طبيعة المبادئ والعقائد التي يعتنقها الأديب وإلى القيم الأخرى التي يقبلها أو يردها ويرفضها. فالنغمات التي يترنم بها شخص في قعر وادٍ قد تبدو نغمات ناشزة للشخص الموجود في قمة الجبل، ويرد الأمر نفسه بالنسبة لنغمات الموجود في القمة للشخص في الوادي. فقد تبدو له همهمة غير مفهومة.

* * *

الأثر الفني الجيد له علاقة قوية بجودة العناصر الداخلية فيه. وجودة هذه العناصر متعلقة بجودة أجزائها. فعندما لا يوجد جوهر نفسي متين لا يوجد إحساس طاهر. وعندما لا يوجد إحساس طاهر لا تظهر آثار فنية قيمة، ولا أساليب كألسنة اللهب.

* * *

الأديب كالفنان، يبحث دوماً في ألوان الكون وخطوطه وأشكاله عن نفسه. وفي اللحظة التي يجد فيها ما يبحث عنه ويعبر عنه يكسر قلمه ويرمي بفرشاته ويغيب بذهول وإعجاب عن نفسه. لذا فمن أراد أن يبحث عن العظماء في الفن وفي الفكر، فليبحث عنهم بين المفكرين المؤمنين بالحق تعالى والذين لا يستبدلون بعبوديتهم شيئاً.

الشـــعر

ليس الشعر عند القلوب الحساسة إلاّ تعبيرا عن الجمال والتناسق الموجود في روح الكون، وعن البسمة الموجودة في جمال الوجود. ومن بـــين هـــذه القلوب الحساسة قلوب بمثابة المحبرة، وأنفاس روح القدس حبرها.

* * *

الشعر هو بذل الجهد في محاولات البحث فيما وراء هذا العالم. وتختلف أصوات ونفحات الشعر حسب حالات الشاعر وحسب العمق النفسي له. فتكون أحياناً مثل شلال هادر، وتكون أحياناً أرق من ورق الورد. لذا فكل كلمة للشعر وكل صوت لا يمكن فهمه بحق إلاّ بعد فهم ومعرفـــة الحالـــة الروحية التي فجرت ذلك الشعر.

* * *

يولد الشعر ويأخذ شكله حسب إيمان الشاعر الذي يؤثر في أحاسيـــسه ونظرته للشعر وحسب ثقافته وطراز تفكيره. ولكن المنبع الوحيـــد الـــذي يعمق الشعر، ويعلو به فوق مستوى الإدارك هو الإلهام. ففي القلب المتهيج بالإلهام تصبح الذرة شمساً والقطرة بحراً.

* * *

الشعر لحن عشق ووجد من العالم البعيد يضيء الحاضـــر ويـــنير درب المستقبل. ففي مملكة الشعر الحق، تصل الأنـــــظار إلى النـــور، وتقـــرب المسافات البعيدة، وتبلغ الأرواح عزما وشوقا لا ينطفآن.

* * *

الأشعار كالأدعية، تعبر عن العالم الداخلي للإنسان وبكل ما يموج فيـــه من شوق وحزن، ومد وجزر. وبنسبة امتزاج الفرد بالحقيقة العليا يـــصبح الشعر أنفاساً لاهوتية. والحقيقة أن كل مناجاة شعر، وكل شـــعر مناجاة.

وذلك بشرط أن يعرف الشـــعر كيف يفتح أشـــرعته نحو اللانهاية.

* * *

الشعر المحلق في سماء الفكر الصافي بأجنحة القلب وبقوة الروح والمتغذي من فكر الخلود لا يهتم كثيراً بالتفكير الوضعي مثل العلوم. فهو لا يتنـــاول الأشياء المحسوسة إلاّ كوسيلة، لأن هدفه هو البحث عن المجرد واصطياده.

* * *

إذا كان الشعر يستطيع تصوير كل إحـــساس وفكـــر، ويمـــرر جميـــع التصورات من أشعة العقل وينجح في الاحتفاظ بهذه العناصـــر الخفيـــة - الشبيهة بنسيم رقيق في العالم الجواني للشاعر- حية حتى ظهورهـــا بـــشكل كلمات وجمل، فإن مثل هذا الشعر مرشح للبقاء حياً ونضراً على الـــدوام. وإلاّ فإن ما يقدم كشعر يشبه خاتم نحاسي مزين بأحجار الزبرجد أو قلادة من الماس الزائف.

* * *

ولأن هدف الشعر هو البحث عن ذلك "الموجود المجهول" لـــذا فإنـــه صوت صعب فهمه ذو أبعاد كثيرة، ويمر من دروب مضببة فيهـــا ظلمـــة السحر في إقليم سدت معظم مسالكه. ولذا ففي كل كلمة أو جملة لـــشعر حقيقي تختبئ أصوات مجهولة، مثل الأصوات الغامضة التي ترن في غـــرف قلعة مهجورة فتبعث القشعريرة في الأجسام.

* * *

الشعر هو حركة قلب وانفعال روح ودمعة عين. والحقيقة أن دمـــوع العين ليست إلاّ شعراً صافياً تحدت الكلمات.

الشعر زهور وورود لا تذبل للشاعر، وعطر لهـــذه الزهـــور والـــورود منتشرة حواليها. فإذا كانت تربتها صالحة وماؤها نقياً وبذورها معلومة فلا يمكن للإنسان أن يشبع من ألوانها وعطورها.

* * *

هناك من الشعراء من يتحدث دون أن يفهم، وهناك من يفهم دون أن يتحدث، لذا فمقابل الكلام الجزاف للقسم الأول منهم، يستطيع القسم الآخر أن يوصل إلى الإنسان أشياء كثيرة دون كلمات ولا جمل، بل بنظراته وأطواره وبسيماء وجهه.

* * *

من الخطأ أن نفهم الشعر أنه كلام موزون فحسب. فكم من نثر يعد شعراً في القمة بما يملكه من جاذبية للروح ومن مضمون ومن تعبير يثير الإعجاب والذهول في القلوب.

* * *

والشعر -مثله في ذلك مثل أي فن آخر- إن لم يحتضن اللانهاية والخلود كان عقيماً وشاحباً. ذلك لأن روح الإنسان المفتونة بالجمال اللانهائي، وقلب الإنسان المتعلق باللانهائي ووجدان الإنسان الذي لا يشبعه شيء سوى الأبدية يهمس في أذن الفنان أن ينقب دوماً في المفاهيم والآفاق البعيدة البعيدة. والفنان الذي لا يحس بهذا الأنين الصادر من قلب ومن روح ومن وجدان الإنسان يقضي كل عمره بتقليد الأشياء الظاهرية الملموسة، فلا ينجح أبداً في اختراق هذه الستارة المزخرفة ومشاهدة ما وراءها.

* * *

عندما لا تتم التضحية بالشكل من أجل المعنى، ولا المعنى من أجل الشكل في النظم، بل على العكس عندما يرتبطان مع بعضهما ارتباط الروح بالجسد، يصل آنذاك إلى مستوى من التناسق والتلاؤم يحبه كل وجدان. وفي شعر كهذا لا يخطر على البال اقتراح أي أسلوب جديد له.

* * *

للشعر وجه خارجي تشكله الكلمات والجمل والموازين وأسلوب الأداء. أما وجهه الباطني والداخلي فمتعلق بالروح التي نراها تبحث على الدوام عن

الجمل الجميلة جمال الورود وجمال أجنحة الفراشات وعن الكلمات الـــتي تحدث الشرارات في الأماكن التي تقع عليها وعن التعابير التي تئن أنين الناي لكي تستطيع التعبير عن الأفكار الموجودة في خميرتها. وعندما تجدها تضعها في أماكنها الصحيحة. وهذا ما نطلق عليه اسم تحول الشعر إلى موسيقى.

* * *

الأسرار والإيماءات والإشارات أحد منابع الشعر، وهي تكسب الـــشعر سعة ومساحة أكبر. ولكن هذه المساحة يجب أن تبقى داخل حريم الـــشعر وداخل أسواره. ومع أن الشعر يتوسع ويتسع ويتلون بـــالألوان العديـــدة لتداعي المعاني المختلفة، إلا أنه يبقى نفسه.

* * *

الصبغة السائدة في الشعر هي نماذج الفكر مع العاطفة وتداخلهما معـــاً. إلا أن هناك عنصرين مهمين وراء الفكر ووراء العاطفة والشعور يحكمـــان هذا الفكر وهذا الشعور ويظهران نفسيهما بوضوح وهما النيـــة والبـــصيرة حيث يعكسان لونهما في كل بيت من أبيات الشعر. وعندما ينـــزلق الفكر ويكاد أن يقع يقومان بالأخذ بيده ومعاونته، ويكونان مصباحاً سحرياً ينير الطريق أمام الأحاسيس والعواطف والشعور.

* * *

الشعر هو أنفاس المجتمع الذي تموج فيه الآلام والآمال والعواطف الجياشة وشعور الحسد والحقد وخيبة الرجاء. أما الشاعر فهو تارة رئة هذا المجتمـــع وقناة أنفاسها، وتارة لسانه وشفتاه. وكل شعر يحمل في دفتيـــه خـــصائص المجتمع الذي نشأ فيه. لذا كان من الصعب فهم الشعر فهماً جيداً دون فهم المجتمع الذي نشأ فيه.

التصوف

التصوف هو طريق الوجدان الإنساني في فهم حقائق الإسلام والإحساس بها. لذا فمن كانت حياته بعيدة عن الحياة العاطفية الإسلامية، فإنه لن يستطيع إدراك حقيقة التصوف. ولا نعني هنا القيام بتسرية النفس بمناقب الآخرين.

* * *

والتصوف في نهاية المطاف هو عنوان إدراك الإنسان لعجزه وفقره وضآلته، والذوبان أمام نور "الحق" وأمام تجليات صفاته التي تشكل أساس الوجود كله والفناء تجاهها.

* * *

التصوف هو عملية تصفية روح الإنسان وتطهره وتوحده مع ذاته، وتجاوز الزمان والمكان والوصول إلى أبعاد مجهولة. وهو الطريق الوحيد أمام كل فرد لكي يمر من الباب الذي فتحه المعراج النبوي ويصل إلى ربه... أي هو نوع من المعراج يتناسب مع قابلية الفرد واستعداده.

* * *

الفلسفة والحكمة توسعان ذهن الإنسان وأفقه وتساعدانه على فهم الأشياء والحوادث. أما التصوف فإنه يؤمن تقارب الإنسان مع ربه وخالقه في بُعد وأفق يستحيل إدراكه، ويجعله من محبيه والقريبين منه والمستأنسين به.

التصوف روح الإسلام، ولا يمكن تصور الإسلام دونه. والطرق الصوفية هي التي تنظم هذا الأمر. التصوف -كما يظهر ذلك في أهل الطرق- عبارة عن تنور قلب الإنسان بفيض الكمال الإلهي اللامتناهي عن طريق الذكر والفكر.

تكون بدايته بوضع خطوط فرضية لللانهاية بعد اتخاذ نفس الإنسان مقياساً لها. أما نهايته فهو التخلي عن أسرار النفس وفهم وإدراك كل شيء منه "هو".

* * *

التصوف هو درب البحث عن طريق القلب وعن طريق عين القلب عن الحقيقة الإلهية التي تعجز الفلسفة عن مد يدها نحوها. وبينما يرجع العقل عن هذا الدرب بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ، نرى القلب يطير فوقه بجناحيه في محاولة لفهم وإدراك ذلك "الموجود المعلوم" ثم يعبر عن مدى المعرفة التي حصل عليها بترديده "ما عرفناك حق معرفتك يا معروف".

سيدنا محمد ﷺ

عرفت الإنسانية المدنية الحقة وتبنتها بوساطة رسولنا محمد ﷺ. وكل جهد مبذول بعده في هذا المجال اقتصر على تقليد الأسس التي جاء بها أو تعديلها. لذا كان من المناسب أن ننظر إليه ﷺ باعتباره باني المدنية الحقيقية.

* * *

فهو الذي عد العمل عبادة ونهى عن الكسل و لم يرض عن الكسالى ومدح العاملين المجدين. وأشار لأصحابه وأتباعه والذين يأتون من بعدهم أن يكونوا عنصر توازن للإنسانية في كل حين وأن يتجاوزوا العصر الذي يعيشون فيه.

هو شخص لا نظير له ولا مثيل له من ناحية محاربته للكفر والوحشية وكونه سيف جلادة وبلاغة ضدهما. قام بإعلان الحقيقة بملء صوته على الملأ وأرشد الإنسانية جمعاء إلى الصراط المستقيم وإلى الطريق القويم... طريق الوجود الحق. و لم يكن له مثيل في هذا.

* * *

إذا كان الجهل والكفر يكرهان إنساناً فهو محمد ﷺ. ولكن القلوب الباحثة عن الحق والظامئة للمعرفة الحقة سيجدون عنده ما يبحثون عنه إن عاجلاً أم آجلاً، ثم لا يتركون السير في أثره أبداً.

* * *

والرسول ﷺ هو الذي بلغ الإنسانية جمعاء نظرة الدين في أن الحفاظ على العرض والشرف وعلى الوطن والأمة وحراستها والكفاح في سبيلها جهاد، وأن الجهاد أسمى ذروة في سلم أداء وظيفة العبودية لله تعالى.

وهو أول من أعلن للإنسانية عن الحرية الحقيقية، وأن الجميع متساوون أمام القانون وأمام العدالة، وأن أكرمهم عند الله أتقاهم، وأن دعوة الظالمين إلى اتباع الحق عبادة.

* * *

وهو الذي مزق الحجاب والستار عن وجه الفناء والموت إذ أبان بأن القبر ليس إلا صالون انتظار لعالم السعادة الأبدية، فقدم لقلوب الجميع من مختلف الأعمار إكسير السعادة الخالدة.

الجمهورية

الجمهورية تعني شكل الإدارة التي يملك فيها الشعب حق الانتخاب والشورى. وأول كتاب علم هذا دون نقص هو القرآن الكريم. لذا فالادعاء بأن الإدارة الجمهورية تخالف القرآن، إن لم يكن ادعاء مغرضاً فهو سوء فهم. أما نصير الجمهورية الذي يتناسى ويتعامى عن قصد عن مصدرها فهو معاند ليس إلاّ.

* * *

مثلما لم يدّع الرسول ﷺ أنه ملك، كذلك لم يدّع خلفاؤه من أصحابه الذين جاءوا من بعده أنهم سلاطين أو ملوك. ولم يظهر النظام الملكي إلا بعد الابتعاد عن روح الإسلام. وبنسبة هذا الابتعاد أصبح هذا النظام واسطة ظلم واستبداد.

إن النظام الجمهوري الذي يستند إلى المفهوم الحقيقي للحرية وللعدالة إضافة إلى كونه شكل إدارة أمينة وجيدة، فهو نظام مرهف ورقيق جداً.

فإذا لم يتم الالتفات إلى خاصيته هذه، فإن من الممكن أن يعشعش فيه الإلحاد والفوضى.

* * *

الجمهورية الحقيقية هي شكل إدارة النفوس العالية، وشكل إدارة لائقة بالكرامة الإنسانية. أما النفوس الغليظة التي لم تتلق التربية والثقافة اللازمة، ولم تسر في درب الكمال الإنساني، فإن الجمهورية تبدو لها سراباً بقيعة أو خيمة لا يمكن السكن فيها.

* * *

الجمهورية بمثابة أم للحرية أو مربيتها. فهي التي تربي الأجيال العاشقة للحرية وتغذيها. ومع هذا فليست الجمهورية شكل إدارة لحرية غوغائية، بل شكل إدارة لحرية أخلاقية.

* * *

تهيئ الجمهورية تربة صالحة للارتفاع بالإنسان وبقيمه الإنسانية العالية، ثم تدعه مع قيمه العالية ووجدانه اليقظ. عند ذلك يكون الإنسان سواء في بيته أو في عمله إنسان إرادة يبتغي الخير والفضيلة فقط ويتبع القيم الإنسانية الرفيعة.

* * *

نظراً لوجود الرغبة في الحرية في لب الروح الإنساني وجوهره فإنه لا يرغب في وجود أي قوة تحكمه، لذا نرى عنده ردود فعل لكل تحديد لفكره أو تصرفه. لذا فعلى أنصار النظام الجمهوري عندما يعطون حريات واسعة للأفراد أن يرتفعوا بهم من ناحية الأخلاق والفضيلة ليصبحوا من ذوي الإرادات القوية.

* * *

المحافظة على الشعور وعلى التفكير الديني ورعايته من واجبات النظام الجمهوري وضرورياته. لذا فإن القيام بإهانة من يحمل عاطفة دينية وفكراً

دينياً في هذا النظام والاعتداء عليهم واتهامهم إنما هو إهانة للنظام الجمهوري قبل أي شيء آخر واعتداء عليه.

* * *

النظام الجمهوري بحاجة إلى من يفهمه حق الفهم ويحس به حق الإحساس. ويجب أن يكون المجلس فيه مجلس حكمة ووقار ومجلس مفكرين ومجلس عدل يزن كل شيء ميزان الشعرة مثل أي محكمة عادلة.

السياسة

السياسة هي فن الإدارة التي تجلب رضا الله تعالى ورضا الناس. وبنسبة قيام الحكومات -بما تملك من قوة وقدرة- بالمحافظة على شعبها من الشرور والمفاسد، وصيانته من الظلم تكون بنسبة نجاحها وتوفيقها، وتبشر بمستقبل زاهر. وإلاّ فإن المظاهر الطنانة سرعان ما تزول مخلفة وراءها الفوضى والهرج والمرج، فلا تذكر مثل هذه الحكومات إلاّ باللعنات.

* * *

قام الأشخاص الأذكياء والمثقفون والناشطون من السياسيين بإدارة الجماهير منذ القديم. وقام العقلاء من بينهم بإدارتهم سواء أكانوا أشخاصاً جيدين أم رديئين. وقد توافقت سيادتنا العالمية مع امتلاكنا للكادر السياسي الجيد.

* * *

الشروط الآتية مهمة لكل سياسي ولكل إداري:

نصرة الحق وسيادة القانون والإحساس الوظيفي وفهم المسؤولية في الأمور الصعبة والثقيلة والمهارة في الأمور الدقيقة والمرهفة.

* * *

الحكومة تعني العدالة والاستقرار والأمن. فإن لم تكن هذه الأمور متوفرة

في مكان ما فمن الصعب الحديث عن وجود حكومة هناك. فإذا قمنا بتشبيه الحكومة بمطحنة فإن الدقيق الذي تنتجه هو النظام والأمن والاستقرار. والمطحنة التي لا تنتج هذا ليست إلاّ آلة ضوضاء جوفاء لا تطحن سوى الهواء.

* * *

قبل أن تقول الحكومة عن أمتها "ها هي أمتي" فمن الأفضل والأهم أن تبادر الأمة قبلها وتقول عنها "ها هي حكومتي"، لأن هذا هو المطلوب. وبعكس ذلك فإن الأمة ترى في حكومتها قوة ظلم مسلطة على رأسها، أي أن بنية الأمة تكون قد انفصلت تماماً عن رأسها.

لكي ينمو إحساس الشعور بتوقير الدولة والحكومة واحترامها لا حاجة لقيام الموظفين باستعمال القوة لتحقيق ذلك. فالتصرف الوقور والجدي لأركان الدولة وإخلاصهم في عملهم يكفي لذلك. فلم يستمر حكم أحد ويرسخ بظلم الموظفين، أو بخداع الجماهير واستغفالها.

* * *

إذا كان الموظفون الذين يديرون دولة فاضلة يتم انتخابهم حسب أصالة نفوسهم وأصالة أفكارهم وأصالة مشاعرهم فإن تلك الدولة دولة قوية وعلى أساس متين. أما الحكومة النكدة الحظ فهي الحكومة التي يفتقر موظفوها إلى مثل هذه الخصال الحميدة ولن يكون عمرها طويلاً. لأن تصرف هؤلاء الموظفين المفتقرين إلى السجايا الحميدة سينعكس عليها ويكون لطخة سوداء على جبينها وتفقد مصداقيتها عند جماهير شعبها.

* * *

ضمن إطار القانون على الموظفين أن يكونوا ليني الجانب عند تعاملهم مع الناس. وهكذا يقومون بالحفاظ على منزلتهم وعلى منزلة القانون والدولة أيضاً. فالقسوة الزائدة عن حدها في التعامل تولد انفجارات غير

متوقعة. كما يجب ألاّ يغرب عن البال بأن اللين الزائد عن حده يــؤدي إلى نتائج سلبية عند العديد من غير الناضجين.

* * *

يجب أن يكون القانون نافذاً في كل مكان وفي كل حين وعلى الجميــع دون استثناء. وعلى مطبقي القانون أن يكونوا عادلين وغير هيابين من أحد. وهذا شرط ضروري لحفظ هيبتهم لدى الجماهير من جهة، ولكي لا تفقد هذه الجماهير ثقتها في استمرار أمنها من جهة أخرى.

تكون الدولة قوية ومستقرة ومحظوظة بدرجة تمثيلها من قبل أفراد مؤمنين وأذكياء وأقوياء ونشيطين.

* * *

يقوم صاحب البستان بتغذية شجيراته وتنميتها، ويحــافظ عليهــا مـــن الآفات ومن الأعشاب الضارة، ثم يجمع محصولها يوم غلتها. كذلك العلاقة بين الحكومة والأمة.

* * *

تولد الحكومات المجيدة من الأمم المجيدة. وتولد الأمم المجيدة من الأفراد الممتازين للأجيال المؤمنة التي تملك قابلية علمية عالية، وإمكانيــات ماليــة كبيرة وأفاق نظر واسعة والتي تحاول أن تحافظ علــى ذاتيتــها وأصــالتها وهويتها.

* * *

يجب إيداع الإدارة في الأمة التي لم يبلغ كل فرد فيها درجــة الرشــد المطلوبة إلى أمهر أفرادها وأكثرهم علماً ومعرفة وسعة أفق. ولا يمكن تصور وجود كارثة أو نكبة أكبر من إيداع أمر إدارة شؤون الدولة وتسليمها إلى من لا يملكون علماً وعرفاناً ومهارة.

* * *

إذا جاء إلى إدارة شؤون الدولة نتيجة سوء الطالع من يفتقر إلى المعرفة والأصالة ومن لا يحسن هذه الإدارة ولا يفهم شيئاً عنها فإنه لا يتورع أبداً عن استغلال قوة الحكومة وقدرتها في سبيل مصالحه وأغراضه الشخصية فيصبح طاغية مستبداً.

في مثل هذه البلاد لن ترى سوى سطوة وقهر الظالمين، ولا تسمع سوى أنين المظلومين وآهاتهم. والعاقبة الحتمية لها على الدوام أن تلقى عاقبة "عاد" و"ثمود".

يجب ألاّ تقوم الحكومة بتنظيم أعمال وسلوك وتصرفات الأمة فحسب، بل بتنظيم تفكيرها وفهمها للأمور. وأهم أساس في هذا التنظيم وحدة التفكير ووحدة الشعور، ووحدة التعليم والتربية. فإذا ربي الأفراد المكونون للأمة على ثقافات مختلفة وغذوا بأفكار مختلفة، وأصبحوا متعادين فيما بينهم، فإن من المقدر على مثل هذه الأمة أن تأكل نفسها بنفسها.

* * *

بنسبة أهمية وحدة الأمة في الثقافة والتفكير والشعور في قوة الأمة وزيادة قدرتها، يلعب تفسخ الوحدة الدينية والأخلاقية دوراً مهماً في تشتت الأمة وتفرقها.

* * *

السياسة موجودة في كل أمر. أما سياسة الذين يهيئون لإيقاظ الأمة وبعثها من جديد فهي إيثار أمور الأمة على كل شيء وتقديمها على كل شيء وعدم التفكير في أي مصلحة شخصية واستفراغ الجهد في مصالح الأمة.

* * *

يجب ألاّ يتم البحث عن الإدارة الجيدة والسياسة ذات المستوى الرفيع لدى الذين شاب شعرهم وابيضت لحاهم ولا عند المتبصبصين والمتزلفين للحصول على المناصب والرتب ولا عند أصحاب الشهرة الكاذبة التي

وراءها محافل معينة وجهات معينة. بل يجب البحث عنها عنـــد أصـــحاب النفوس الكبيرة وأصحاب المعاناة الفكرية وعند الذين جعلوا أنفسهم عبيـــداً للحق وللحقيقة.

* * *

إذا كان كل بيت مدرسة تعليم وتربية لأفراده، وكانت كـــل مدرســـة معسكراً صغيراً يبث الروح العسكرية، وكل معسكر مجلسا يتم فيه بحـــث شروط بقاء الأمة وأمنها، وكل مجلس مختبرا اجتماعيا يقوم حسب وظيفتـــه وصلاحيته بفحص وتقييم كل مسألة تـــرد إليـــه في ضـــوء فكـــر الأمـــة وروحها... مثل هذه الأمة تملك أفضل كادر سياسي وإداري.

* * *

وجود أفكار مختلفة وآراء مختلفة من صفات الناضجين، ولكن هـــذا لا يعني تقسيم الأمة الى معسكرات فكرية متناحرة، إذ لا يمكـــن لأحـــد أن يتسامح في هذا الأمر، ولا يحق له هذا. ذلك لأن السماح بتفرق وتـــشتت الأمة إنما هو سماح بانقراض الأمة وانهدامها.

* * *

مهما كنت مرناً مع المخالفين لك في الفكر والشعور ومتسامحاً معهـــم وحسن النية بهم، فمن الضروري ألا يغرب عن بالك احتمال صدور الأذى منهم نحوك. ولكن إن كان الأمر متعلقاً بالسيطرة علـــى المواقـــع الحيويـــة للمجتمع وللأمة وشرايين حياتها فيجب ألا تعطي لهم مثل هذه الفرصة أبداً. ذلك لأن الإنسان قد يغض الطرف عن تصرفات تورده موارد الخطر، غـــير أنه لا يحق لأي أحد التصرف بشكل يوقع الدولة أو الأمة في خطر.

* * *

قد يكون هناك أشخاص مخلصون ومفيدون لا يفكرون مثل تفكـــيرك، ويختلفون عنك في نظرتهم للعالم وللحياة، ولكن عليك ألاّ تتعجل بمخاصمة

كل تفكير لا يعجبك، ولا تتعجل بفقد أصحاب الفكر. بل حاول الاستفادة من أفكارهم، وادخل معهم في حوار، وإلاّ فإن قمنا بإبعاد كل شخص لا يفكر مثلنا، تجمع هؤلاء الناقمون تدريجياً وأصبحوا كتلة كبيرة ضدنا وسببوا لنا أضراراً كبيرة.

ومع أن التاريخ لا يذكر لنا أن الناقمين استطاعوا القيام بأي عمل إيجابي، إلا أنه حافل بالدول التي استطاعوا هدمها.

على الإنسان أن يعرف كيف يستفيد من كل المعلومات المفيدة لمبدئه أو لنظامه أو لحياته ولا يهمه مصدر هذه المعلومات ومن أي إنسان صدرت، وألا يهمل أبداً الاستفادة من أصحاب التجارب.

* * *

الدين مؤسسة حيوية جداً بسبب خاصيته في توحيد الأمة ورص صفوفها، لذا كان على القائمين بأمور الدولة أن يأخذوا هذا بنظر الاعتبار فيحتموا بظله وبقدرته التي لا تغلب.

* * *

لا يوجد هناك أقوى وأكثر فاعلية في تأمين الاستقرار والطمأنينة للدول وللأمم من قوة الدين. إذ أنه بجانب كونه أكبر قوة مؤثرة في الضمائر فإنه أعظم موجه لتصرف الإنسان وسلوكه، لذا كان على القائمين بإدارة الدولة إبقاء الدين حياً في النفوس وفي الضمائر، ويدركوا جيداً أن حياة الأمة مرتبطة عن قرب بالحياة الدينية لها.

* * *

إن القيام بترقية الأمة ورفع مستوى الشباب لإدراك مستوى عصرهم، ولكن في إطار من إيماننا وفكرنا، ومكافحة الفقر والبؤس محاربة جادة وعن بصيرة، والمحافظة على ثقة الجماهير مرتبط باستعمال المعرفة والعلم في الصناعة والتجارة.

* * *

هناك ثلاثة عناصر تحيا بها الأمة: الدين والحكمة والسلاح. ونستطيع أن نفسر الحكمة بأنها إدراك لعلم الحقيقة ثم تطبيقه في الحياة الواقعية.

* * *

الدنيا محطة تجارب. وكل شيء يأخذ مكانه حسب المعنى الذي يأخذه بعد مروره عدة تجارب. وأنا أرى أنه بجانب الاهتمام بالأمور المجربة، علينا ألا نقصر في إجراء تجارب جديدة وتقييمات جديدة للأشياء لكي يتم صيانة خصوبة العلم وغناه.

* * *

يجب أن تكون الشفقة والدقة هي الصفة الأساسية في خلق الولاة، والنظام والنظافة والأمن في السوق لدى رؤساء البلدية ، و حب الحق وعدم الانحياز والشجاعة الأدبية لدى الحكام.

* * *

وجود المنافسة بين الدول والأمم شيء طبيعي. لذا فإن السياسة فيما بينها تجري إما على محور الصداقة أو على محور المنافع. وكلتا السياستين لا بأس بهما إن لم تؤديا إلى ضرر أو إلى ضِرار. على أنه من الضروري لنا عدم الوقوع في مصايد الآخرين وعدم استغفالنا من قبلهم، لذا يجب الانتباه واليقظة على الدوام.

* * *

الذين يعتقدون أن السياسة عبارة عن حزب ودعاية وانتخابات وصراع للوصول إلى الحكم مخطئون. لأن السياسة عبارة عن صورة واسعة لفن إدارة الجماهير وإرضائها بحيث تتماشى مع رضا الحق تعالى وتنظر للحاضر وللمستقبل في آن واحد.

* * *

الماضي مدرسة مليئة بالأمثال وبالعبر المأخوذة من الحياة. والذين يستطيعون معرفة كيفية الاستفادة من ثمرات هذه المدرسة وتقييمها تقييما

جيدا يستطيعون حكم المستقبل بكل نجاح. ذلك لأن اليوم يشبه الأمس، والأمس يشبه أمس الامس... الألوان هي المتغيرة فقط.

حكم القوة مؤقت وزائل. أما حكم الحق والعدل فباقٍ. وإذا لم يتحقق هذا الآن فالحق آتٍ عن قريب دون ريب. لذا فأفضل سياسة هي أن تكون بجانب الحق والعدل.

* * *

من المقاييس والموازين عندنا أن القول "إنني لا أتدخل في السياسة، ولا تتدخل أنت في السياسة" يعني "إنني لا أتدخل في شؤون الوطن والأمة ولا أتدخل في حياة وبقاء الأمة، ولا تتدخل أنت كذلك".

* * *

نظراً لأن الكثير من الناس في أيامنا الحالية يرى أن اللعب السياسية اليومية ليست سوى استغفال للناس وخداع لهم وصراع من أجل المنافع والمصالح وتصوير كل الأمور غير المشروعة وكأنها أمور مشروعة، لذا نرى أن الذين يريدون الاحتفاظ بحياتهم القلبية والوجدانية والفكرية سليمة، والاحتفاظ بعلاقتهم وارتباطهم مع الحق تعالى قوية يفضلون الابتعاد عن كل حركة سياسية ويرون هذا أمراً ضرورياً. ولكن هيهات! إذ أين السياسة المتعلقة بالحق وبالعدل والمرتبطة معها ارتباطاً لا ينفصم عن السياسة الغارقة في مستنقع الكذب والخداع.

الوجد والعشق

العشق نعمة من أخفى النعم والألطاف التي أنعمها المنعم الكريم على الإنسان. وهو يوجد بشكل بذرة أو نواة في قلب كل إنسان. فإذا توفرت الظروف والشروط الملائمة نمت هذه البذرة وأصبحت شجرة

باسـقة وأزهرت وأثمرت ونضجت وتكاملت لتصل البـدايـة بالنهاية.

والعشق يسيل إلى العوالم الداخلية للإنسان كإحساس من منافذ العـين والقلب والأذن. ويتجمع هناك كتجمع المياه والسدود، وينمو ويكبر وينتشر انتشار النار في الهشيم، ويحيط بالإنسان من كل جانب حتى ساعة الوصال. وعندما ينتهي العشق بالوصال يركد كل شيء، وتنطفئ النار ويفرغ السد.

والعشق الذي يشغل حيزا مهما في كل روح تقريبا منذ الولادة بـشكل نواة ومعنى يجد نغمته ولونه الأصلي عندما ينقلب إلى عشق حقيقي. وعندما يجده يكتسب صفة الخلود والأبدية، وتكون لذته عند الوصال لذة معنوية.

* * *

القلب هو اعظم منافذ الإنسان لتلقي التجليات الإلهية, وآية ذلـك مـا يضطرم في هذا القلب من العشق والوجد لله تعالى وما يلتهب فيه من نيران الشوق اليه.

* * *

أقصر طريق وأفضله للوصول إلى أفق الإنسان الكامل هو طريق العشق. فمن الصعب الوصول إلى هذا الأفق من دون عـشق ومـن دون شـوق. فللوصول إلى الحقيقة يمكننا القول إنه لا يوجد بجانب طريق "العجز والفقر والشكر والشوق" طريق يعادله سوى طريق العشق.

* * *

العشق بُراق أهداه الله تعالى لنا لنجد الجنة التي فقدناها. و لم يحدث حتى الآن لراكبي هذا البراق أن تاهوا في الطريق. وإن كان من الممكن لـراكبي هذا البراق السماوي رؤية الماشين في جانب هذا الطريـق مـن أصـحاب الشطحات والسكر، ولكن هذا يرجع تماماً إلى معيار العلاقة الموجودة بينهم وبين الله تعالى.

* * *

ولأن العشق يحرق الإنسان ويذروه رماداً، فإن النار لـــن تمـــسهم لا في الدنيا ولا في الآخرة ولن تستطيع حرقهم، استناداً إلى المبدأ القائل إنه لـــن يجتمع أمنان ولا خوفان لدى إنسان واحد. فلا يمكن تصور إنسان قـــضى حياته كلها وقلبه محترق بنار العشق الإلهي، وعالمه الداخلي في صراع مع نار جهنمية، أن يتعرض إلى ألم آخر مماثل ويقاسي من العذاب نفسه.

* * *

العشق الذي ينسي الإنسان نفسه، ويجعله فانياً في معشوقه.. مثل هـــذا العشق لا غرض له ولا منفعة، بل هو عنوان للذوبان في معشوقه والفناء فيما يحبه معشوقه ويرضاه ويريده. وأظن أن هذا هو المطلوب من الإنسان.

* * *

حسب قوانين العشق، فإن ورود خيالات أخرى لعين العاشق حرام. وارتكاب هذا الحرام يعني موت العشق. وحياة العشق تكون مستمرة ما دام العاشق يرى كل ما حوله أوصافاً لجمال حبيبه وأغاني مديح لكماله، وإلا خبا ومات.

لا يفكر العاشق في أي مخالفة لمراد معشوقه، بل لا يستطيع ذلـــك. ولا يرغب أن يلقي أي شيء ظلا عليه أو يسبب في نسيانه له. بل يـــرى كـــل كلمة وكل حديث لا يتعلق بمعشوقه عبثاً ودون فائدة. ويعد كل عمل له لا يتعلق بمعشوقه جحوداً منه وعدم وفاء.

* * *

العشق يعني أن تتطهر كل علاقات القلب وكل ميـــول الإرادة وكـــل الأحاسيس من غير المعشوق، وأن تتوجه كل لطائف الإنسان إليه حـــتى لا يرى في أحلامه وفي خياله ولا تتوجّهُ مشاعره الى أحدٍ سواه. وفي مثل هذه الحالة يبرق في كل تصرف من تصرفات العاشق معنى يعود للحبيب إذ ينبض قلبه بالشوق إليه. ويتغنى لسانه بحبه ويفتح عينيه ويغمضهما بذكره.

يشم العاشق في كل شيء عطر حبيبه. في النسيم الهـــاب، وفي المطـــر

الهاطل، وفي الجدول المنساب، وفي صوت الغابة، وفي غبش الصبح، وفي ظلمة الليل. وعندما يرى جماله المنعكس حواليه يجتاحه الوجد... وفي هبوب كل نسيم يحس بأنفاس حبيبه، فيثمل... وعندما يتوقع أهونَ عتابٍ من حبيبه يتفطر قلبه أسى وأنيناً.

* * *

وعندما يستيقظ العاشق على إشارات معشوقه يرى نفسه وقد تلونت شفتاه بحمرة الدم القاني، وصدره وهو يموج بطوفان من اللهب، ويجد نفسه وقد أحاطت به ألسنة اللهب... يرى هذا فلا يتمنى أن يخرج من لذة هذا الجحيم المحيط به.

* * *

يخطئ من يعد العشق هو الحب الشهواني للفاسقين. فمثل هؤلاء لا يعرفون العشق الحقيقي. هذا علماً بأن العشق المجازي ينقلب أحياناً إلى عشق حقيقي. ولكن هذا لا يعني أن للعشق المجازي والصوري أي قيمة، بل يدل أنه ناقص ومعيب ولا يحمل أي معنى من معاني الخلود.

* * *

العالم الداخلي للعشاق الحقيقيين يشبه عالم البراكين تتصاعد منه ألسنة الدخان والحمم. والذين يراقبون أحوالهم يعرفون أن كل أنة صادرة منهم كالحمم المنقذفة من البراكين تحرق كل مكان تقع عليه وتدمره وتشعل الحرائق فيه.

* * *

من الصعب جداً شرح العشق بالكلمات... بل قد يكون هذا مستحيلاً. لذا كان القسم الأكبر من شروح العشق شروحاً لظواهره المنعكسة على الخارج وليس العشق نفسه. ذلك لأنه حال، ولا يعلم هذه الحال إلا صاحبها.

* * *

إن العاشق هو الثمل الذي جعل عشق "الحق" مذهباً له، ويقضي حياته

في مشاعر الإعجاب والإجلال والحب لمحبوبه، والذي يحتمل ألاّ يَصْحوَ من سكره إلا على صوت الصور يوم القيامة. وقلب العاشق نافورة عشق دائمة الفوران تتدفق بالحب ولا تتوقف.

* * *

العشق الحقيقي هو العلاج الحقيقي الوحيد لتسكين آلام الفناء والموت وتهدئة اضطراب وآلام القلوب المتلوعة بأحزان الخريف. وهو الشفاء الوحيد لمشاكلنا وأمراضنا التي كنا نظنها مستعصية منذ سنين ولمخاوفنا وقلقنا وأزماتنا والدواء الوحيد لها.

* * *

عندما تغذت الأجيال بالعلم والعرفان وبثقافة أيامنا الحالية ولكن دون أن يتم قدح أي شرارة من العشق في القلوب وإن كانت شرارة صغيرة، فإن عملية التعليم والتربية بقيت ناقصة تماماً ولم تتجاوز تربية الأجسام أبداً.

المرأة

المرأة هي المعلمة الأولى لمدرسة الإنسانية. فهي التي تقوم بتعليم الأطفال وتربيتهم وبتأمين النظام والسعادة والتفاهم في البيت. لذا ففي هذه الأيام الحالية التي يتم فيها البحث عن مواقع جديدة لها، نرى أن قيامنا بالتذكير بهذه النعم التي قامت يد القدرة بإنعامها عليها قد يمنع مثل هذه البحوث التي هي في غنى عنها.

* * *

إن البيت الذي توجد فيه امرأة شريفة وذات تربية ومتعلقة ببيتها وعشها هو قطعة من الجنة. والأصوات والأنفاس التي تتردد فيه لا تختلف كثيراً عن أصوات الحور العين والغلمان المخلدين في الجنة.

إن الإنسان عندما يرى أحيانا امرأة مسحوقة تحت مظاهر الزينة لا يملك

إلا أن يتساءل "ترى هل تلقى العفة والشرف والفضيلة التي هـــي زينتـــها الداخلية كل هذا الاهتمام لديها؟"

* * *

إن الشيء الذي يرفع بالمرأة إلى مستوى أعلى من الملائكة ويجعلها أثمـــن من الماس هو عمق عالمها الداخلي وعفتها ووقارها. فالمرأة غير العفيفة تشبه عملة زائفة، والخالية من الوقار لعبة وموضوع استهزاء. وفي الجـــو الخـــانق لأمثالهن لا يمكن الحديث عن عش صحي ولا عن جيل صحي.

* * *

المرأة المتوجهة بعالمها الداخلي نحو الفضيلة تشبه ثريا من الكريـــستال في بيتها. ففي كل حركة منها يشع الضوء في أرجاء البيت. أما المخلوقة النكدة الحظ المستسلمة للأهواء المظلمة المتجسدة في صورة المـــرأة فهـــي مـــصدر تلوث، إذ تلوث كل مكان تحل فيه.

* * *

الكتاب الذي يجب على المرأة قراءته دائماً هو كتاب التربية الاجتماعية. ولكن لا يمكن لأحد الادعاء بأن أفضل كتاب في هذا الموضوع قد كُتـــب حتى الآن.

* * *

كلما شاهدت المرأة المستسلمة لأهوائها عذرت الذين يـــصفون المـــرأة بقصر العقل. وأنا أظـــن بأن هؤلاء لو شاهدوا كيف أن المرأة أصـــبحت اليوم مادة إعلان لما وجدوا كلمة يستطيعون بها وصف أمثال هؤلاء النساء.

* * *

كان القدماء يقولون "إن الإبرة في يد المرأة تشبه الرمح في يد المجاهـــد". والحقيقة أنني لا أرى في هذا القول أي مبالغة.

* * *

العهود التي أصبحت فيها المرأة متاعاً مبذولاً للشهوة والتـــسلية ومـــادة

للإعلان والدعاية عهود عديدة. غير أنها -لحسن الحظ- كانت أيضا بدايات لعهود رجعت فيها المرأة إلى نفسها ووجدت ذاتها.

* * *

كان يقال للابن في البيت "مخدوم"، ويقال للبنت "كريمة". وفي اللغة العربية تطلق على العينين اسم "الكريمتان". وهذه الكلمة تصف كيف أن البنت هي كالعين في مدى أهميتها وضرورتها وحساسيتها ورقتها.

* * *

نقول في المثل "احفظ إزارك من الغبار ومن التراب". إذن فما بالك بمدى ضرورة حفظ المرأة التي هي بمثابة بؤبؤ العين!!

* * *

كما أن زينة المرأة الفاضلة هي شرفها وعفتها، فإن أكثر جوانبها مدعاة للتقدير والإعجاب هي تربيتها الاجتماعية وإخلاصها لزوجها.

* * *

المرأة الجيدة هي المرأة التي تصدر الحكم من فمها، واللطافة والرقة من روحها، والتي تشيع بتصرفاتها الاحترام والتوقير فيمن حولها. والعيون المدركة تحدس هذا الجانب المبارك والمقدس لها، فلا تحس نحوها إلاّ بالاحترام والتقدير، وتنأى عن أي حس عكر تجاهها.

* * *

مع أن المرأة التي لم توسع ملكاتها الروحية مع نمو جسدها تبدو كزهرة تزين الرؤوس مدة من الزمن، إلا أنها سرعان ما تذبل ذبول أوراق الخريف، فتقع على الأرض وتدوسها الأقدام. فما أفجعها من نهاية للذين ضلوا طريقهم فلم يجدوا الطريق الموصل إلى الحياة الأبدية.

* * *

المرأة جوهرة نفيسة لا تستحق الوقوع في الأوحال. ولم نفقد بعد أملنا

في أن الأجيال المحظوظة القادمة ستكرمها وتعزها وتحافظ عليها محافظتها على عينيها.

* * *

المرأة عندنا أساس متين في شرف الأمة ونجابتها. وحصتها في إنشاء تاريخ أمتنا المجيدة لا تقل بحال عن حصة المجاهدين الذين قاتلوا الأعداء وفتحوا البلدان.

* * *

معظم حواريّ حرية المرأة وحقوقها لا يفعلون شيئاً سوى دفع المرأة إلى طريق الرغبات الجسدية وطعن حياتها المعنوية والروحية.

* * *

المرأة الواصلة إلى النضوج الروحي تستطيع إدامة الأجواء العطرة لبيتها بالخلف الصالح لها. لذا يظل بيتها مكاناً فوق كل وصف... مكانا يشبه الجنة في أجوائها وعطرها وسعادتها.

والمرأة التي فتحت قلبها لنور الإيمان وعقلها للعلم وللتربية الإجتماعية تضيف كل يوم جمالاً جديداً لبيتها وكأنها تنشئه من جديد. أما السفيهة فتقوم بهدم البيوت القائمة وتحويلها إلى خرائب، بل إلى مقابر.

* * *

ليست المرأة آنية ملطخة ولا قطعة معدن رخيص. ومحلها ليس محل الأواني الوسخة والمعادن الرخيصة. فهي جوهرة نادرة، لذا يجب أن تصان في علبة جواهر مرصعة بالصدف.

* * *

للمرأة موقع ممتاز من ناحية الرقة واللطافة والحساسية. ولا تستطيع أن تكون ذات فائدة لبيتها ولمجتمعها في مواصفاتها هذه إلا عندما تبقى ضمن إطار فطرتها وطبيعتها.

* * *

جميع المقترحات التي يقدمها أنصار المرأة الآن لا تؤدي إلا إلى تهوين شأنها ونزع برقع حيائها وتشويه طبيعتها. هذا مع العلم أن المرأة حلقة مهمة جداً في سلسلة الوجود. وأهم جانب عندها هو ضرورة احترامها لطبيعتها وفطرتها والبقاء ضمن إطارها.

القرآن

القرآن هو مجموعة القوانين الإلهية النازلة من لدن الخبير المتعال والمشرقة على عالم بني الإنسان، والتي تتناول الإنسان مع جميع جوانبه، من قلبه وروحه وعقله وجسمه.

* * *

واليوم يتبع ما يقارب المليار من الناس هذا القرآن الذي يعد الكتاب الوحيد الذي لا مثيل له ولا شبيه، والذي يستطيع بمبادئه الإلهية الأبدية الثابتة أن يوصل البشرية جمعاء إلى السعادة عن أقصر طريق وأقومه وأنوره.

* * *

القرآن منبع نور لأكثر الجماعات نورانية والتي سيطرت على مصير العالم وعاش فيها مئات الآلاف من العلماء والفلاسفة والمفكرين. لذا فلا يوجد لسلطانه شبيه ولا مثيل.

* * *

كم من اعتراض ونقد تعرض له القرآن منذ نزوله وحتى الآن. ولكن ما من محكمة دخلها إلاّ خرج منها بريئاً وفائزاً.

القرآن نور متبلور في القلوب ومنبع نور للقلوب ومعرض حقائق. ولكن لا يعرفه على حقيقته سوى القلوب التي تستطيع حدس كل جمال الكون عند رؤيتها لزهرة واحدة ومشاهدة طوفان من رؤية قطرة واحدة.

* * *

للقرآن أسلوب لم يملك حياله العرب والعجم سوى السجود عند الاستماع إليه. أما الأدباء المنصفون فلم يملكوا أمام جمال محتواه إلاّ الوقوف أمامه بخشوع واحترام.

السبيل الوحيد لوحدة المسلمين هو اجتماعهم على التصديق بالقرآن والإيمان به. وقد نجحوا في السابق في هذه الوحدة وسينجحون في المستقبل أيضا عند الإيمان والتصديق به. أما الذين لا يؤمنون بالقرآن فهم أولاً غير مسلمين ويستحيل عليهم ثانياً أن يؤسسوا وحدة باقية فيما بينهم.

* * *

القول بان "الإيمان مسألة قلبية" يعني أن الإيمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ وبالقرآن لا يكون باللسان فقط بل بالقلب أيضا. وكل عبادة من العبادات تكون مظهراً من مظاهر الارتباط بهذا الفهم للإيمان.

* * *

عندما كانت الإنسانية غارقة في ظلام الجهل والكفر والوحشية ظهر مثل طوفان من النور بين دياجير ذلك الظلام، ولأول مرة في التاريخ حقق مثل هذا الانقلاب الكبير الشامل الذي لم ير التاريخ مثيلاً له. ولم يتم هذا الانقلاب إلا بالقرآن. ويكفي التاريخ شاهداً على هذا.

* * *

القرآن هو الكتاب الوحيد الذي يعلّم الإنسان معنى الإنسان وماهيته والحق والحكمة وذات الله تعالى وصفاته وأسمائه الحسنى، وذلك بأدق ميزان. وليس هناك كتاب آخر يماثله في هذا الميدان أبداً. ولو طالعت حكم الأصفياء والأولياء وفلسفة الفلاسفة الباحثين عن الحق لعرفت ذلك بنفسك.

* * *

والقرآن هو الكتاب الوحيد الذي أمر بالعدالة الحقيقية وبالحرية الحقيقية وبالمساواة المتوازنة وبالخير والشرف والفضيلة والشفقة حتى على الحيوان،

وحرّم الظلم والشرك والجهل والرشوة والربا والكذب وشهادة الزور تحريماً واضحاً.

* * *

وهو الكتاب الوحيد الذي صان اليتيم والفقير والمظلوم وأجلس السلطان والعبد، والقائد والجندي، والمدعي والمدعى عليه على طاولة واحدة أمام المحكمة.

* * *

والذين يرون القرآن منبعاً للأساطير والخرافات، هم الذين ورثوا هذا الهذيان الأحمق من عصر الجاهلية العربية قبل أربعة عشر قرناً. والحكمة والفلسفة الحقيقية تسخران من هذه النظرة.

* * *

ويا ليت الذين يهجمون على القرآن وعلى تعاليمه يستطيعون تقديم أي شيء بديلاً عنه لصالح النظام البشري وأمنه وسعادته. والحقيقة أن من الصعب جداً فهم سبب هذا التمرد وهذا العناد ضد القرآن في الوقت الذي تتخبط جميع الحضارات والمدنيات المخالفة لتعاليم القرآن وتعاني الويل والثبور وتتجرع الآلام، كما تعاني جميع القلوب الخالية من نور القرآن أزمات نفسية حادة ومؤلمة.

* * *

نمط الحياة الذي يوصي به القرآن هو أفضل حياة للإنسانية وأكثرها نظاماً. بل يمكن أن يقال بأن كثيراً من محاسن المدنية التي تنال التقدير والإعجاب في جميع أرجاء العالم ليست إلا المحاسن التي سبق وأن شجعها القرآن وحض عليها قبل مئات الأعوام. إذن فمن الملام ومن المقصر؟

* * *

الذين تعودوا عندنا على التهجم على القرآن واتخذوا هذا عادة ومسلكاً

لهم هم في الأكثر فئة تجهل أنها تجهل ما تتعرض له. وهذه الفئة البائسة لم تقرأ شيئاً عما تتعرض له ولا تملك أي بحث أو تدقيق علمي حوله. وليس هناك من فرق بين هؤلاء وبين الجاهل الذي يعادي العلوم الوضعية. ولكن الظاهر أن هناك حاجة لبعض الوقت لكي تصل الحقائق إلى الجماهير العريضة.

* * *

الذي يؤمن بالقرآن يؤمن بمحمد ﷺ، والذي يؤمن بمحمد ﷺ يؤمن بالله تعالى. فمن لا يؤمن بالقرآن لا يؤمن بمحمد ﷺ ومن لا يؤمن بمحمد ﷺ لا يؤمن بالله تعالى... هذه هي أبعاد الإسلام الحقيقية.

* * *

استطاع الإنسان بفضل القرآن أن يصل إلى مرتبة سامية وهي مرتبة مخاطبة الله تعالى. والإنسان الذي يعي وصوله إلى هذه المرتبة إن حلف أنه استمع بلسان القرآن الكريم إلى الله وأنه تحدث معه لا يكون حانثاً في حلفه.

* * *

الإنسان الذي يعيش في الجو النوراني للقرآن، يحس ويشعر وهو في حياة الدنيا بعالم القبر والبرزخ، ويشاهد المحشر والصراط. فيرتجف من هول جهنم... ويتجول في ربوع الجنة فرحاً.

* * *

الذين يحولون دون فهم المسلمين لقرآنهم والتعمق في معانيه، يكونون قد حالوا بينهم وبين روح الدين وبينهم وبين لب الإسلام وجوهره.

* * *

وأنا أرى بأنه في المستقبل القريب ستشاهد الإنسانية بنظرات ملؤها الإعجاب والتقدير كيف أن شلالات مختلف العلوم والفنون تتجه نحو القرآن وتصب فيه. عند ذلك سيجد العلماء والباحثون والفنانون أنفسهم في البحر نفسه.

ليس من المبالغة أبداً النظر إلى المستقبل بأنه سيكون عهد القرآن، ذلك لأنه الكلام الذي يرى الماضي والحاضر والمستقبل في آن واحد.

الزواج وعش الزوجية

ليس الزواج من أجل الحصول على اللذة، بل هو لتشكيل أسرة، ولتأمين بقاء الأمة ودوامها، ولإنقاذ أحاسيس الفرد وأفكاره من التشتت، وللسيطرة على أهوائه وغرائزه الجسدية. وكما في مسائل فطرية عديدة، فإن اللذات ليست إلاّ جوائز للترغيب.

* * *

ويجب ألاّ يكون همّ المقبلين على الزواج المظهر الخارجي لرفيق العمر أو ملابسه وقيافته أو ثروته أو جماله الخارجي. ففي هذا الأمر الجدي والخطير يجب أن يتم اتخاذ القرار على أساس من الفهم لجمال الروح والفضيلة والأخلاق والسلوك العالي.

* * *

الذين لم يقوموا بالتدقيق والبحث الضروري قبل الزواج، أو لم يجدوا الفرصة لذلك، لن يفيدهم أي شيء ولا أي إرشاد عندما يصل الأمر إلى مرحلة الطلاق.

أجل! فالمهمّ هنا ليس إنقاذ الأسرة من الحريق بأهون الأضرار، بل المهم عدم إدخال ما يسبب الحريق إلى البيت.

* * *

يجب ألاّ نعطي أي بنت لمن لا نعرفه، ولا نطلب يد أي بنت لا نعرفها. فأي عقد نكاح يتم في ظل مثل هذه المجاهيل سيكون مصيره إما الطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى الله، وإما أسرة محكومة بحياة معذبة طوال العمر.

كم من أسرة مباركة أسست من اللحظة الأولى -باللجوء إلى الحق

تعالى- على أساس سليم من العقل والمنطق، فأصبحت طوال حياتها بمثابة مدرسة تخرج طلاباً نافعين يعدون ضماناً لبقاء أمتهم ودوامها.

* * *

أيّ زواج لا يتم بتفكير وتمحيص لا يخلف وراءه سوى أزواج بعيون دامعة وأطفال في ملاجئ الأيتام وجرائم تفتت القلوب والأكباد.

* * *

إن كانت فائدة الزواج بالنسبة للفرد فائدة واحدة. ففوائدها للأمة جمة، لذا فان أضرار عدم الزواج عديدة، مثله في ذلك مثل الزواج الفاشل حيث تصبح الفتاة بائسة والشاب ضائعاً. وهو مرض ينخر في جسد الأمة كالكوليرا.

* * *

الأسرة المؤسسة على أسس متينة منذ البداية هي عش ترفرف عليه السعادة المادية والمعنوية وحجر الزاوية لبقاء الأمة ودوامها على أساس متين ومدرسة مباركة تخرج أفراداً ذوي أخلاق فاضلة.

والأمم التي جعلت أسرها بمثابة مدارس مباركة ومثمرة، وجعلت مدارسها بدفء البيوت تكون قد أنجزت أفضل حركاتها الإصلاحية، وأمنت سعادة وطمأنينة أجيالها القادمة.

* * *

الأمة عبارة عن مجموع العائلات والأسر. لذا فالأمة التي تملك بيوتاً صالحة تكون صالحة، والتي تملك بيوتاً فاسدة تكون فاسدة. ويا ليت الذين يرومون صلاح الأمة يبدأون بإصلاح الأسر والبيوت قبل كل شيء آخر.

* * *

البيت يكون بيتاً حسب الأفراد الذين يعيشون فيه. أفراد البيت يكونون سعداء بنسبة ما يتحلون به من صفات ومن قيم إنسانية. أجل! نستطيع

القول بأن الإنسان بفضل بيته يستطيع العيش كإنسان. والبيت يكون بيتاً بالأفراد الذين يعيشون في ظله.

* * *

البيت أمة صغيرة، والأمة بيت كبير. والشخص الذي ينجح في إدارة بيت -كبيراً كان أم صغيراً- إدارة صحيحة ويرتفع بأفراد ذلك البيت إلى المستوى الإنساني اللائق يستطيع ببذل جهد صغير القيام بإدارة مؤسسات أكبر إدارة ناجحة.

* * *

الفوضى الموجودة في بيت يدل على فوضى ساكنيه وعلى بؤس البنية الروحية عندهم. كما أن وساخة الشوارع والأزقة والدكاكين والبيوت في أي مدينة وعدم انتظامها إشارة إلى اعتلال أمزجة كادر مؤسسة البلدية فيها.

الطلاق

الطلاق هو خروج المرء من قيد النكاح. ومن النادر أن يكون سبباً في الراحة والهدوء، إذ يجر الشقاء والسفالة في أعقابه.

* * *

الطلاق في نظر الدين هو أبغض الحلال. ولكن بدرجة بغض وقوعه يكون منعه غير طبيعي وغير فطري. إن تجاهل ضرورات الطلاق هو عدم معرفة بماهية الإنسان وخواص هذه الماهية. لأن توقع امتزاج كل زوجين مع بعضهما توهم سطحي بأن الجميع على فطرة واحدة وطبع واحد ومزاج واحد وسلوك واحد. وهذا سذاجة في التصور.

* * *

كل طلاق مزاجي ندم للمطلق وظلم للمطلقة ومصدر شقاء لأفراد الأسرة يدوم طوال الحياة كنزيف جرح غير مندمل.

* * *

إذا كان الطلاق بمثابة عملية جراحية لعضو مريض، فإن قيام الزواج على أسس منطقية وربطه بشروط متينة ضرورة قصوى. لذا فقبل الطلاق الــذي يهدم، وقبل منع الطلاق الذي يسحق الوجدان علينا القيــام بتــأمين زواج يسوده التفاهم والوئام وعدم التفريط بالشروط والظروف التي تؤدي إلى مثل هذا الزواج.

* * *

لقد جربت الدنيا طوال عصور عديدة إجبار الأزواج الذين لا يرضــون باستمرار الزواج بالعيش معاً. وذلك بمنع الطلاق أو ربطه بشروط مستحيلة. وجربت دنيا أخرى استعمال المرأة كمتاع، تؤخذ متى شاءوا وتطرح جانباً متى شاءوا. الدنيا الأولى كانت عذاباً للرجل، والثانية لم تكن تنظر إلى المرأة كانسان.

الإحساس والشعور

الإحساس عند الإنسان هو قابليته في إدراك ظاهر وباطن ما يصل إليــه بواسطة حواسه الظاهرية والباطنية. والإنسان الحساس هو من يدرك شيئاً أو عدة أشياء معاً في هذا المجال مثل هذا الإدراك.

* * *

العقل هو آلة إدراك العقل، والوجدان آلة إدراك الروح. فإن أطلقنا صفة "العلم" على الأول، فمن المناسب إطلاق صفة "الحس" أو "الإحساس" على الثاني. لذا كان من المستحيل على من كان عقله معطلاً ووجدانه ميتاً إدراك الوجود أو الإحساس به ولا معرفة ما يجري حواليه من أمور وحوداث.

* * *

الإحساس من زاوية نظر الحكمة هو الوجدان والضمير الذي هو آليــة

إدراك الروح نفسه، لذا فالإنسان عديم الإحساس هو دون وجدان. ومن لا يملك وجداناً لا يملك إحساساً، ومن لا يملك إحساسا لا يملك وجدانا.

* * *

والإحساس بمعنى أخص هو قابلية التمييز بين الخير والشر وبين الجمال والقبح بحدس داخلي حيث تظهر عن هذا الطريق كثير من الأوصاف الإنسانية. فمثلاً عندما نأسر أعداءنا أنقوم بقتلهم أم بالعفو عنهم؟ وعندما يلوثون شرفنا أنقوم بتلويث شرفهم أم بالتصرف أنسانياً نحوهم؟ نحن نختار موقفنا هذا بإحساسنا بهذا المعنى.

* * *

يتربى الإحساس بالحكمة وينمو. أما الفلسفة المادية فتقوم بإطفائه والقضاء عليه. لذا فالذين يسندون كل شيء إلى العقل لا يدركون أبداً العالم المضيء للأحاسيس.

يستلزم الإحساس الصادق شعوراً صافياً خالياً من الغرض. والشعور الصادق الصافي يتولد من إحساس حقيقي وتام.

* * *

جميع الانتصارات التي يحرزها عديمو الوجدان والإحساس انتصارات حيوانية وحلقات من سلسلة فضائح. وهي تنتهي دائماً بتعاظم حب الذات والنفس وبضمور الروح وبشلل الوجدان.

* * *

الذين يحسون في وجدانهم بآلام المصائب التي يتعرض لها الدين والوطن والأمة هم أصحاب الأرواح السامية الذين عشقوا هذه القيم السامية، وهم على استعداد ليضحوا بحياتهم في سبيلها دون تردد.

أما المحرومون من الأحاسيس والمشاعر فإنهم وإن تكلموا كثيراً عن

التضحية إلا أهم لا يستطيعون القيام بأي تضحية يلوكونها بألسنتهم مهما كانت صغيرة.

* * *

إن وجود بعض الخصال التي تعد كل خصلة منها فضيلة إنسانية قائمة بذاتها، مثل التفكير في الآخرين والعمل من أجلهم وإن أدى ذلك إلى ضرر شخصي، والعيش من أجل الآخرين والاشتراك في آلامهم وأفراحهم... وجود مثل هذه الخصال عند بعضهم يدل على قوة الإحساس الروحي عندهم. أما المحرومون تماماً من مثل هذه الأحاسيس فلن تجد عندهم خصلة واحدة من هذه الخصال. أما ما يلوح عندهم من بعض أمارات الفضيلة والشهامة فهي أشبه بغمغمة هامسة لِلحنٍ لحنه آخرون.

* * *

إن ترقي أي أمة وتقدمها مرتبط بدرجة وحدة الأحاسيس لدى أفرادها وبدرجة عمق مشاعرهم. فالأفراد الذي يملكون أحاسيس عميقة هم الذين لا يترددون في التضحية بأرواحهم في سبيل مبادئهم. فإن سدت أمامهم السبل وأسقط في أيديهم فقدوا عقولهم أو ماتوا من الهمّ والغم.

* * *

أعلى مرتبة من مراتب الإحساس هي الأحاسيس المتولدة عند الاعتداء على القيم الدينية والملية، إذ تقوم بهز الأرواح الحساسة كحمّى شديدة، ونستطيع أن نطلق عليها أسم "الحمية".

* * *

الحمية من أبرز العلامات التي تميز الإنسان الحقيقي عن الإنسان الذي لا يملك من الإنسانية إلا صورتها، وتبرز بشكل آلام روحية مبرحة عندما تنقلب القيم في وسط ما رأساً على عقب.

إن جميع العقول الكبيرة التي عانت طوال التاريخ بدءاً من صاحب أعلى

روح وأسماه ﷺ حتى يومنا هذا هاموا نتيجة حمّى الأفكار في عقولهم في البراري والجبال أو في المغارات والقبور... هاموا على وجوههم وهم يكادون ينسحقون من ثقل الأفكار التي تنبض بكل شدة في عقولهم. وأنا أعتقد أن الذين أنشأوا أفضل الأدوار في التاريخ كان هؤلاء الأبطال... أبطال الحمية والأحاسيس العميقة.

البصيرة

البصيرة هي الوعي الكامل لكل الأمور التي تيسر المشاهدة بنور العلم والتجربة والفراسة والإحاطة بها إحاطة كاملة. فإن كان الإنسان المالك لمثل هذه البصيرة منفتحاً على العالم الآخر فإنه يعد بطلا من أبطال الحقيقة وشخصاً يحاول أن يصل إلى مرتبة الإنسان الكامل.

* * *

العقل منبع مهم للعلم. أما البصيرة فمنبع مهم للمعرفة أو العرفان. فالذي يملك عقلاً ولا يملك بصيرة قد يعرف أشياء كثيرة ويفهم أشياء كثيرة إلاّ أنه لا يستطيع أن يصل بمعلوماته إلى شيء.

* * *

إذا كانت البصيرة معرفة الشيء على حقيقته أو قريباً منه، إذن فليس شرطاً أن يكون كل شخص عاقل ذا بصيرة.

* * *

العقل المحروم من البصيرة يكون غارقاً في التردد وعدم الاستقرار. أما عالم البصيرة فهو عالم دافئ ومستقر يشع طمأنينة وأمناً.

* * *

إذا كانت البصيرة هي المرحلة الأخيرة لإدراك العقل والفكر والدماغ

فإنها المرحلة الأولى لإدراك الروح. وذروة البصيرة هي الحكمة التي قال في حقها القرآن الكريم ﴿ومن يُؤْتَ الحكمةَ فقد أوتي خيراً كثيراً﴾.

* * *

الذين ينظرون إلى الوجود بأعينهم فقط، لا يدركون من الوجود إلا ما تراه أعينهم. أما أصحاب البصيرة فهم ينقبون عن أسرار الأشياء ليستخرجوا منها المعاني مثلما تقوم النحل بجمع رحيق الأزهار لصنع العسل.

* * *

عندما تنظر العين ترى صور الأشخاص وسيماءهم وقاماتهم. أما البصيرة فتحدس وراء كل هذه المظاهر الأخلاق والفضيلة ودرجة النضج الروحي فيهم.

* * *

العيون ترى في الأشياء والحوادث وجوهها الظاهرية وجوانبها المادية. أما البصيرة فترى الوجوه الباطنية لها مثل الحكمة والغاية والفائدة والمحتوى.

* * *

كما أن البصيرة لا تعني العقل فهي ليست التفكير أيضا. فكما أن الفكر يتجاوز العقل وثمرات العقل، كذلك فالبصيرة نعمة وملكة إلهية تتجاوز الفكر.

* * *

ما يميز الإنسان عن الحيوان هو كونه مظهراً للشعور والبصيرة ومن ثم الإلهام والحكمة. فمن حُرم من هذه الصفات لا يعدّ واصلاً إلى المستوى اللائق بالإنسان مهما كان شكله ومظهره.

الفن

الفن من أهم الطرق المؤدية إلى سمو الروح والمشاعر. والذين ضيعوا فرصة استعمال هذا الطريق من أصحاب القابليات والحظ السيء يعيشون طوال حياتهم كأشخاص أصابهم الشلل النصفي.

* * *

الفن مثل مفتاح سحري يفتح الكنوز السرية المكتشفة. فوراء الأبواب التي يفتحها تكتسي الأفكار صورها، وتكتسب الخيالات أجسامها.

* * *

إن كان هناك طائر فكري يأخذ بيد الإنسان لكي يسيح في البحار الواسعة التي لانهاية لها وفي أعماقها، وفي أجواء السماوات الزرقاء فهو الفن. وبفضل الفن يستطيع الإنسان أن يفتح أشرعته ليسيح في أجواء السماوات والأرض فيصل إلى مشاعر وحدس ما وراء الزمان والمكان.

* * *

الفن من أهم العوامل التي تحافظ على المشاعر الإنسانية، وترسم لهذه المشاعر أسمى الأهداف وتزيد من عمق المشاعر لدى أصحاب الأرواح الحساسة. ولولا الفن لحرمنا من كثير من ألوان الجمال الذي أوجدته الجهود الإنسانية في مجال المداخلة والاختراع، ولدفن في التراب كل المشاعر والأحاسيس الفنية الملتهبة للفنانين الكبار.

* * *

الفن هو اللوحة الأولى التي تستطيع تصوير قدرة ابن آدم وأعماقه. أجل! فبفضل الفن سجلت أعمق المشاعر والأفكار الإنسانية وأعمق خلجات الروح وحفظت وخلدت وكأنها مسجلة على شريط.

* * *

ألم يجعل الفن -وهو يرافق الإيمان- هذه الدنيا معرضاً للجمال بالمعابد الفخمة وبالمنائر التي تشبه أصابع الشهادة المتوجهة إلى السماء وبفن الحفر على أحجار المرمر وبالألوان والتصاميم الجميلة وفنون الخط والتذهيب والنقوش الجميلة جمال أجنحة الفراش؟

* * *

يظهر العلم الحقيقي نفسه بالفن. ومن لم يكن له أي أثر فني لا يمكن الادعاء بأنه يعرف شيئاً كثيراً.

* * *

القابليات الحية لدى الإنسان لها علاقة وثيقة بروح الفن عنده. ومع أن الإنسان الخالي من أي قابلية فنية لا يعد ميتاً، إلا أنه لا يُعد حياً كذلك.

* * *

السبب الكامن من جميع المحاولات الفنية التي لا تحوز القبول من قبل الفنانين الأصلاء هو عدم التمييز بين الشكل والروح.

* * *

لا شك أن الثناء والمديح المتوجه إلى أي أثر فني لا يتوجه إلى صاحب ذلك الأثر، بل إلى المهارة وإلى الفن الموجود في روحه.

* * *

الفن هو الذي يجعل الحديد أغلى من الذهب والنحاس أغلى من البرونز. أجل! فبفضل الفن تصبح قيمة أرخص المعادن أغلى من الذهب والفضة والماس.

* * *

كما أن جميع الفنون الجميلة على مستوى الأفكار هي هدايا خالدة من قبل أصحاب الأرواح الفنانة، كذلك فإن جميع الوسائل والوسائط التي أصبحت وسيلة وواسطة لرفاه الإنسان وسعادته بدءاً من النظارة التي تكسب عيوننا الكليلة قوة، إلى أجهزة اللاسلكي والهاتف التي تقرب لنا الأصوات من المسافات البعيدة، إلى أجهزة التلفاز التي تنقل إلى غرفنا الصور من أطراف العالم، إلى القطارات والسيارات والطيارات التي تنقلنا من مكان إلى آخر، إلى المركبات الفضائية والأقمار الصناعية التي تقدم خدمات جليلة للإنسانية... كل هذه الوسائط وسائط منفتحة على الفن، وهي من آثار الأشخاص الذين يحملون بذور الفن في أرواحهم.

* * *

الأرواح الخالية من الفن والمنغلقة دونه يستوي وجودهم وعدم وجودهم، لأنهم ليسوا إلاّ أفراداً لا يستطيعون تقديم أي نفع لا لأنفسهم ولا لعوائلهم ولا لأمتهم، بل قد يكونون ضارين أيضا.

الحياة والروح

الحياة سر إلهي، ولا يعرف ماهيتها إلا الواقفون على الأسرار الألهية والمدركون لها. الحياة عيش بدني. والحيوية والحرارة الموجودة في البدن مسألة فطرية تماما، وتحصل نتيجة تحول الأغذية المأخوذة إلى دماء وحيوية.

* * *

الغاية من الحياة الجسمانية عبارة عن إيفاء حق وظيفتها في مستوى الحركة والحيوية وأداء بعض الوظائف البدنية. ومثل هذه الحياة لا يختلف فيها الإنسان عن الحيوان. أما الحياة الإنسانية الحقيقية فهي الحياة المنفتحة على الشعور والإدراك وعلى العالم الآخر.

* * *

الحياة لا تعني الروح، فهي عيش جسماني. أما الروح فهو لا يتجزأ ولا يتحلل، ويختلف عن الجواهر المادية. فهو وجود لطيف ومشاعر من عالم الأمر. الروح متعلق بالجسم طوال الحياة. وعندما يفارق الجسم تنطفئ الحياة. أما الروح فيبقى بفضل الله وإبقائه له حيا إلى أبد الآبدين.

* * *

منبع الحياة هو الفطرة، وله أبعاد طبيعية. أما الروح فنفحة إلهية ذات هوية تعلو فوق الطبيعة. الحياة لها خاتمة وهي الموت. أما الروح فهو أبدي وخالد.

* * *

الروح وجود مدرك وذو شعور ومريد يتجاوز ألية الدماغ ويسمو عليها. أما علاقته بالبدن فعلاقة جوار مؤقته، وعلاقة وحدة قدرية.

* * *

الروح طائر خالد يستطيع التحليق والوصول إلى جهنم أو إلى الجنة دون أن يتأثر بالموت، فيقفز فوق حفرة القبر. الروح كائن يستطيع تجاوز حفرة القبر بكل سهولة دون أن يتأثر بالموت، كذلك يستطيع التخلص من عوائق البرزخ والمحشر ليلتحق بالحياة الخالدة في جهنم أو في الجنة.

* * *

يظهر الروح أحياناً في صورة إنسان أو في شكل طيف لطيف أو بشكل جوهر آخر في مرايا عالم المثال أو في الرؤى والأحلام. ويكون كالملائكة علامة يمنٍ وبركة، أو ملوثا بالشر وبالنقائص كالشياطين.

* * *

الحياة الحقيقية هي الحياة التي تسير فيها الحياة الروحية والحياة الجسدية جنباً إلى جنب. مثل هذه الحياة تكون بمثابة البذرة التي تتحول إلى سنبلة في هذه الحياة ثم إلى سنابل متعددة وعناقيد في حياة الجنة.

لقد أودعت لنا الحياة الحقيقية كأمانة منذ ولادتنا متعانقة مع الحياة الحيوانية لكي نقوم بتنميتها ورعايتها. وستبقى هذه الأمانة في عهدتنا حتى انقطاع العلاقة بين الروح والبدن.

* * *

للإنسان علاقة بالحيوان بحياته الحيوانية، وعلاقة بالملائكة بحياته الروحية. فمن استغل قابلياته واستعداداته الروحية الموجودة فيه اقترب من الملائكة، ومن أهملها أو استغلها استغلالاً سيئاً وجعلها أداة هدم وتخريب فهو يسقط إلى مرتبة أدنى من الحيوان، بل يكون شبيها بالشيطان.

الشعور الحساس والصفاء نتيجة للحياة القلبية. لا توجد أي حياة قلبية فيمن لا يحيا حياة جدية. وبكاء هؤلاء ليس إلا كذبة.

الطبيعة

الطبيعة بالمعنى العام هي الوجود بأكمله وبخصائصه وبالصفات النابعة من الخلق. أما في الإنسان فيأتي بمعنى المزاج والطبع والسلوك. وعلى أي حال فإنك إن تناولتها من أي جانب أو من أي زاوية فليست إلا نقشاً من يد صاحب القدرة اللانهائية وقانوناً وضعته يد القدرة الخالقة وكتاباً ينطق بحكمته جل وعلا. والطبيعة مثلها مثل المادة خالية من الحس ومن الشعور ومن الإدراك. لذا فهي تنطق وتشهد بكل المخلوقات الموجودة وبكل الكائنات الموجودة عندها والتي تتطلب علماً وإرادة وتقديراً وتصميماً نراها تنطق بعجزها وبفقرها، أي أنها تشير وتعلن بكل وضوح عن وجود علم محيط يحير العقول وقدرة شاملة وراءها.

* * *

وبما أن الطبيعة هي نتيجة للخواص المادية والصفات الناتجة عن خلقها لذا لا يمكن أن تكون قبل المادة لأن وجودها مدين لها. إذن ألا يكون إسناد الوجود والحوادث إليها والقيام بتفسير كل شيء بها محاولة خداع وتضليل؟

إن الذين لهم أي اطلاع -مهما كان قليلاً وضئيلاً- بالعلوم الطبيعية اليوم يعلمون جيداً أن الطبيعة عمياء وصماء وأنها لا تستطيع خلق أي شيء. لذا فإن محاولة إحلالها محل الخالق ومحل قدرته ليس إلا نوعا من التعصب الأخرق للكفر.

* * *

ومع أن ماهية الطبيعة معلومة جيداً وواضحة تماماً فإن إظهارها بشكل يخالف ماهيتها وتقديمها إلى الأجيال كقدرة خالقة ليس إلاّ مخالفة ومعارضة للعلوم وإهانة وتحقير لكل الكائنات والموجودات التي يعد كل منها تحفة نادرة في الخلق والتصميم.

* * *

إن كانت الطبيعة هي الوجود نفسه، أفلا يدرك الــذين يقولــون "إن الطبيعة هي التي خلقت" أنهم يقولون في الحقيقة "إن الوجود هو الذي خلق نفسه بنفسه؟"

أما إن كان القصد من كلمة "الطبيعة" هو المزاج والطبــع والــسجايا والصفة والقانون والنظام، عند ذلك عليهم أن يوضحوا كيف يمكن للطبيعة أن تقوم بخلق الأشياء وإحداث الوقائع التي هي مهد نشاطهم وعلة أعمالهم, بتنظيم ذلك كله.

العبــادة

العبادة اسم لأفضل تعبير حول كون الله معبوداً والإنسان عبداً. ثم تنظيم علاقة العبد الحقيقي مع خالقه في إطار من علاقة المخلوق مع الخالق.

العبادة هي شكر الإنسان لنعم عديدة لا تحــصى كــالوجود والحيــاة والشعور والإدراك والإيمان. أما عدم العبادة فإنها وإن لم تكن عمى مطلقــاً وتاماً فلا شك أنها جحود غليظ.

* * *

العبادة هي طريق وصال. وآداب هذا الوصال وضعها الله تعــالى لنــا للوصول بها عن طريق الإيمان إلى سعادة الدنيا والآخرة. والذين لم يعثــروا على هذا الطريق و لم يحصلوا على هذه الأداب لا يمكنهم الوصول أبــداً إلى الحق تعالى.

* * *

العبادة هي أسلم الطرق وأكثرها أمناً للوصول بقلب الإنسان في مجــال الحقيقة الكبرى المعروفة نظرياً إلى مرتبة "حق اليقين". وعندما يحلق الشعور بأجنحة الخشية والتوقير للبحث عن "اليقين" يصل الإنسان في كل منـــزل من منازل هذا الطريق إلى وصال جديد ومختلف.

* * *

إن كثيراً من الذين انغلقت قلوبهم وأرواحهم دون الحقيقة يمضون حياتهم وراء مسائل نظرية وخيالية. وحتى لو قضى هؤلاء حياتهم في ظل أفصح بيان وأبلغه فلن يستطيعوا تسجيل تقدم شبر واحد.

* * *

العبادة نبع فياض مبارك لتقوية نواحي الخير والجمال والصدق في فكر الإنسان، وإكسير سحري يصلح أهواء النفس ونزعاتها الشريرة فيجعلها شبيهة بالملائكة. والشخص الذي يتوجه إلى هذا النبع كل يوم عدة مرات بالفكر والذكر هو شخص عازم على السير في درب "الإنسان الكامل" ويكون قد عثر على الملجأ الذي يحفظه من دسائس الشيطان.

العبادة هي عملية إنماء الجوهر الملائكي الموجود في روح الإنسان لكي يكون أهلاً للجنة، وعملية سيطرة على نزعاته الحيوانية. وكما ظهر منذ الأمس وحتى اليوم أشخاص عديدون فاقوا الملائكة وسبقوها بفضل عبادتهم، فإن عدد الذين تدحرجوا إلى أسفل السافلين لعدم عبادتهم ليسوا قليلين أبداً.

* * *

أفضل العبادة هي معرفة الله تعالى وحبه وإفادة الناس. وذروة الذرى هذه تشير إليها بوصلة الوجدان التي تبحث على الدوام عن مرضاة الله تعالى في ظل دستور ﴿فاستقم كما أُمرت﴾. والمؤمن الحقيقي هو المؤمن الذي يبحث عن الحق دائماً.

العالم الداخلي

كل فكر تسلل إلى أرواحنا واستقر فيها سيعطي ثمرته عاجلاً أم آجلاً. هذه الثمرة قد تكون شجرة طوبى في الجنة أو شجرة الزقوم في جهنم.

إن الإنسان الذي توجد نوى الخير والجمال والعفو والصفح في عقله

يشبه قلبه على الدوام حدائق الجنة. فلا يمكن على الإطلاق أن تتوقع من مثل هذا الشخص أن يتحول فجأة إلى سارق أو إلى قاطع طريـــق أو إلى زانٍ أو إلى قاتل أو إلى سكير أو مدمن مخدرات أو إلى شخص مغرور يستهين بكل أحد وينتقد كل شيء. فجميع هذه التصرفات الشائنة تتطلب أفكاراً خاطئة مسبقةً، وخططاً شريرة مسبقةً.

أما الشخص الذي امتلأ فكره ودماغه بأفكار الشر، فأفعالـــه ســـتكون صدى لعالمه الداخلي. ولهذا فإن أعمال مثل هذا الإنسان لن تكون أعمـــال خير ولا يمكن أن تبدو جميلة. وإن بدت فلن تكون كذلك لمدة طويلة قبـــل أن يصل الإنسان إلى السلام والنظام في عالمه الداخلي.

بريق الحِكَم

من الخطإ مخالفة الجماهير. ولكن بشرط أن تكون الجماهير جماهير بحـــق وحقيق، وإلاّ فإن من الخطأ موافقتها. فكما أن مخالفة رأي المهندسين في حق مريض لا تعد خطأً، كذلك لا يعد خطأ عدم أخذ رأي الأطباء في حسابات الأبنية والمشاريع الإنشائية.

* * *

ليس العجز هو الضعف وعدم القدرة. فكم من أشخاص أقويـــاء وذوي قابليات يُعدون عاجزين لأنه لا تتم الاستفادة منهم.

* * *

لا يمكن إطفاء الأضواء التي يملكها بعضهم في أنفسهم بواسطة الظـــلام كما لا يمكن مغالبتها بأضواء أخرى. فهذا النبع الضوئي سيبقى متألقـــاً في حدود عمر هذا الانسان الطبيعي رغم كل شيء ويضيء ما حواليه.

* * *

إن لم يزين العقل نفسه بالايمان, فلا يكون إلاّ آلة مزعجة.

* * *

الذي يعمل في حدود رؤيته ومشاهدته الحياتية لا يكون ناجحاً كالذي يعمل حسب علمه. ولا يكون هذا الأخير موفقاً كالذي يعمـــل حـــسب مشاعره الوجدانية.

* * *

ليس الفقر هو عدم تملك النقود والمال فقط، فالذي لا يملك علمـــاً أو فكراً أو مهارة فقير أيضاً. لذا فالأغنياء الذين لا يملكون لا علماً ولا فكـــراً ولا مهارة هم فقراء في الحقيقة.

* * *

تكون النظارة احياناً منفذاً وتكون العين دائماً منفذاً للعقل، والعقل منفذ للبصيرة، والبصيرة منفذ للوجدان، والوجدان منفذ للـــروح في المـــشاهدة والرؤية.

* * *

أكثر الناس بؤساً هو الإنسان العاقل الموجـــود في مستـــشفى المجـــانين. ويكون المجنون بائساً ان وُجد بيننا. الكل مجانين، ولكن كيفية الجنون مختلفة.

* * *

الإنسانية تشبه شجرة والأمم أغصانها. وتقوم الحوادث -الـــتي تـــشبه العواصف- بضرب هذه الأغصان بعضها ببعض حسب شدتها. والنتيجـــة الطبيعية لهذا هو تضرر الشجرة نفسها. لذا ما أصدق الحكمة القائلة: "على نفسها جنت براقش"

* * *

الذين يُدعون للرحلة إلى ما وراء الافق يُختارون دائماً من الذين يهيمون في أوقات السحر.

* * *

الليالي ميادين مفتوحة لفائدة البشرية وسعادتها ونمائها. فما أكثر المبادئ والأفكار العالية والسامية التي انبثقت في العقول في ظلام الليل البهيم وقدمت لأجل فائدة البشرية.

* * *

تقوم المعدة بطرح الأغذية التي لا يمكن هضمها أو الاستفادة منها، ثم تلفظها خارجاً... وهذا هو ما يقوم به التاريخ تجاه الأشخاص عديمي الفائدة.

* * *

ليس كل أصفرذهبا, ولا كل لامع ضوءً، ولا كل منساب ماءً.

* * *

الصدأ عدو للحديد، والرصاص للماس، والسفاهة للروح، إذ تقوم بعملية تعفين للروح... إن لم يكن اليوم فغداً.

* * *

كل سيل عبارة عن قطرات صغيرة من الماء لا يعيرها أحد أي أهمية ولكنها بتجمعها تصبح قوة لا يمكن مقاومتها. وبنية المجتمع مفتوحة ومعرضة دائماً لمثل هذه السيول التي تجرف في طريقها أحياناً من يريد أن يكون سداً أمامها.

* * *

إيصال العلم والحقيقة إلى الأشخاص قصيري النظر صعب صعوبة التعامل مع المجانين، ومع ذلك فعلى جنود الإرشاد القيام بهذه المهمة.

* * *

أخطر البلايا، هي البلايا التي تأتيك بوجه ضاحك.

* * *

نظراً لأن الجميع لا يستطيعون إدراك الحقيقة العارية لذا يفضل ترك أسلوب التجريد والاستعانة بطريقة ضرب الأمثال العملية.

* * *

تتم الشكاية على الدوام من الزمان والمكان. بينما الجهل هو المجرم الحقيقي فالزمن والقدر بريئان، ولكن الإنسان جاحد وجاهل جداً.

* * *

الوطن غابة، بل حديقة. لذا هناك حاجة لتكثير أشجار الفواكه والأزهار فيها، لذا فلا يدري الإنسان ماذا يقول للذين يتركون الأعشاب تنمو وتستولي على الحديقة ثم يشتكون من القدر.

* * *

كم من طريق مشرق وجميل ومزدان بالأزهار الجميلة والعشب الأخضر ولكنه يؤدي إلى صحاري مهلكة. وكم من طريق متعرج وضيق تكثر فيه الأشواك ولكنه يؤدي إلى نقطة التقاء الصراط مع الجنة.

* * *

حكمة "الإنسان مخبوء تحت لسانه" من أفضل الحكم. وأفضل منها الحكمة القائلة: "إن أردت صاحباً فالله يكفيك، وإن أردت صديقاً فالقرآن يكفيك".

* * *

يستطيع الناس إدراك الإدراك، وإدراك موضوع الإدراك، ولكنهم لا يستطيعون إدراك الْمُدْرِك. ذلك لأن الْمُدْرِكَ هو الروح، والعقل وسيلة عنده، والناظر هو الروح، والعين هي الوسيلة.

* * *

إن كانت الحركة نتيجة سوق عقلي أو طبيعي فهي حركة حيوانية، وإن كانت نتيجة إرادة ووجدان فهي حركة روحية وإنسانية.

* * *

العدم "هو شيء" مخيف. واللاشيء ساحة لانهائية تتحير فيها العقول، إذ لن نجد فيها من الوجود حتى ذرة واحدة.

* * *

أصبحوا الآن يطلقون على المتدين صفة "المتعصب" بينما التعصب هو الإلتزام الأعمى بالباطل والإصرار عليه. بينما الإصرار على الحق فضيلة، وهذا الإصرار من قبل المؤمن لا يعد تعصباً أبداً.

* * *

كل فلسفة لا تستند إلى الفيوضات الإلهية تعد فكراً زائفاً.

* * *

الفلسفة الحقيقية هي معاناة فكرية وروحية نتيجة للتشويق الإلهي للإنسان لطلب الحكمة.

* * *

ليست الفلسفة الحقيقية إلاّ معاناة الفكر والروح في طريق ارشاد الله تعالى للإنسان إلى الحكمة.

الحكمة

هناك شعلة إلهية تنير الطريق أمام العقل وتفتح له أفاقاً جديدة، ففي ضوء هذه الشعلة يمكن قطع طريق سنة في ظرف ساعة واحدة... هذه الشعلة هي الفكر.

* * *

مهمة الفكر هي البحث عن الصحيح. وعناصره عبارة عن المواهب الإلهية وفي مختبره يتم تغيير درجة الصحة لكثير من الصحاح... وهنا تكمن أصالة الفكر.

الفكر يعني التفكير. وهو لا يعني الإيمان بكل ما يخطر على البال من دون تمحيص وتدقيق، أو البحث عن قصور وأخطاء الآخرين وقضاء العمر في نقدهم. بل هو جهد مبارك للوصول إلى الحقيقة، حيث يأخذ قوته وقدرته من المنطق والحكمة والإلهام الإلهي.

* * *

الفكر في معنى من معانيه هو رقّة العقل وتنوره. والخلو من الفكر لا يعني الخلو من العقل. وبينما يقوم العقل بتلقف كل شيء في ضوء النهار وتقييمه،

يفضل الفكر تناول أموره في الظلام. أجل!... يقوم الفكر والروح بنشاط أكبر في الظلام.

* * *

الحكمة أو الفلسفة الإسلامية نمت وترعرعت في مثل هذا المناخ الفكري. وفي كل موضع أو مكان يكون فيه الفكر الصحيح سائداً تظهر الحكمة السديدة. وتظهر الفلسفة الخادعة في الأماكن التي تسود فيها الأفكار الناقصة والعوجاء.

* * *

إن أطلقنا إسم الحكمة على الفلسفة وغضضنا النظر عن كل عيوبها ونقائصها، عند ذلك يمكن أن نطلق إسم "الحكيم" على الفيلسوف، ومعناه "محب الحكمة".

* * *

من أهم منابع النور التي تنقذ فكر الإنسان من الأكدار وقلبه من الوحشة، وتصفي روح الإنسان والتي تعطي وجدان الإنسان شعلة تنير طريقه وتساعده على التعرف على سر الوجود هي الحكمة أو الفلسفة الإسلامية.

* * *

تتجول العلوم ضمن دائرة العقل، أما الحكمة فترداد إقليم الروح. والمعنويات تتولد وتنمو في إقليم الروحانية التي تتجاوز دائرة العقل والروح.

* * *

غاية الحكمة هي تنوير الطرق المؤدية إلى الله والى الروح، وهذا التنوير يحدث أحياناً من الأثر إلى المؤثر وأحياناً من المؤثر إلى الأثر.

والذي يحمل شعلة الحكمة في يده يستطيع أن يوصل الإنسان -بدرجة سلامة نيته وقوة نظره- إلى الخير والى الجمال المطلق في كلا الطريقين.

* * *

ليس العالم من يعلم فقط، بل هو الذي يحس بعلمه في وجدانه. والحكيم تجاه العالم هو كموقف العالم أمام الجاهل.

* * *

قد ينظر العالم إلى ما حواليه من جمال بعينه دون أن يحس صدى هـــذا الجمال في قلبه، بل قد يعده قبيحاً. أما الحكيم فلأنـــه ينظـــر إلى مـــا وراء الأستار في كل شيء، فإنه يتابع جميع العمليات والنشاطات الفكرية بـــروح العبادة.

* * *

ليس شرطاً أن يكون أي شيء غير محبوب قبيحاً أو سيئاً. فالأطفـــال لا يحبون القراءة والتفكير ولا خزات الإبر ومرارة الأدوية. ولكنـــهم يحبـــون اللعب بالنار وبالحية... ويمكن النظر إلى عقل العلم والى عقل الحكمة ضمن نفس المقاييس.

* * *

الفلاسفة الجدد عندنا هم أقل الناس علاقة بالفلسفة. فكل مـــا عملـــه معظم هؤلاء هو القيام ببعض التراجم الناقصة ويااليت هذه التراجم كانـــت تراجم صحيحة وجيدة... ولكن هيهات.

* * *

لا يتم تصديق الحكمة بواسطة العقل بل بشهادة الـــروح وتقـــديره... أجل! لا تفهم الحكمة سوى الحكمة. أما العقل فهو اما عدوها أو صديقها غير المخلص.

* * *

أحياناً قد لا يعجب العقل بالحكمة بسبب عدم استطاعته إدراكها, ذلك لأن مسائل الحكمة دقيقة جداً إلى درجة أن العقل الذي لا يسمو بالإلهـــام يصعب عليه بل يستحيل عليه الوصول إلى مستوى الحكمة.

* * *

إذا كان العقل هو قسم البياض من العين فالحكمة هي القسم الأسود منها...

* * *

يصل العقل إلى الإدراك عن طريق الحواس، أما الحكمة فبالبصيرة وإذا كانت العين ترى الأشياء من خلف نظارة، فالحكمة تراها بالتلسكوب.

* * *

لا يمكن للعقل تجاوز حدود المادة. فالحكمة والفلسفة الحقيقية هما اللتان تستطيعان حدس ما وراء المادة. وكم يحز في القلب عدم استماع الناس إلى الصوت الجهوري للحكمة، وإنصرافهم إلى استماع الطبل والزمر.

* * *

هناك مشعلتان تضيئان الدروب المظلمة والمتعرجة للحياة. إحداهما هي العقل السليم والأخرى هي الحكمة.

* * *

العلوم هي ضياء العقل، أما الحكمة فهي البروق التي تبرق في سماء الروح.

* * *

خلط الفلسفة المادية بالحكمة تعبير عن عدم فهمهما معاً. لذا فمن الغرابة بمكان ألاّ تسمع الآن سوى ثرثرة أمثال هؤلاء الجهال.

* * *

الحكيم الذي امتلأت فطرته وذاته بالحكمة، يستطيع -وهو قابع بين جدران أربعة في غرفة صغيرة- ان يتأمل الكون فيصل إلى مواضع وأماكن يعجز السياح الذين جابوا أقطار الأرض من الوصول حتى إلى واحد بالمائة مما وصل إليه.

* * *

يقولون عن الفيلسوف انه هو الشخص الذي يعرف الكـــون ويعـــرف الحقيقة، وانا أقول بان من لا يعرف الله لا يمكن أن يكون فيلسوفاً بحق.

* * *

كل كلمة تصدر عن روح الإنسان تكون حسب مستوى ثقافته ودرجة عرفانه، ولا يفهم عنه سوى الأشخاص الذين وصلوا إلى ذلك المستوى. أما عدم إدراك الأقوال الدقيقة. والحكم الدقيقة أو عدها اعتيادية فلا يرجع إلى جهل الروح أو خشونته، بل إلى عدم تحليه بالعرفان.

* * *

كثيراً ما انسحقت الأمم تحت العجلات الحديدية للقوى الغاشمة البعيدة عن الحكمة. وعندما تقوم القوة الخالية من الحكمة بسحق الحكمة الخالية من القوة فإن الضحية الأصلية هي الحقيقة.

* * *

الصرافون يعرفون قيمة الجواهر، والعلماء يعرفون قيمة العلم، والـــذين سموا إلى مرتبة الإنسانية من الأناس الكاملين يعرفون قيمة الإنسان. فالجوهر يكون غريباً في سوق النحاس، والعالم يكون غريباً بين الجهلاء، والإنـــسان يكون غريباً بين أصحاب الأرواح الحيوانية الدنيئة، والحكيم غريباً في دنيـــا أهملت ضميرها وجانبت منطقها.

الضمير من زاوية الحكمة

الوجدان هو عنوان وعي الإنسان لنفسه ولكيانه. وهو آلية روحية تحدس وتدرك وتنشر أشرعتها على الدوام نحو اللانهاية.

* * *

الإرادة والشعور والذهن والقلـــب هـــي أدوات الإحـــساس للـــروح ووسائطه، وهي في الوقت نفسه أهم أسس الضمير والتي تقـــوم بإيـــصال

الإنسان إلى الكمالات الإنسانية ثم إلى السعادة الأبدية وسعادة النظر إلى الله تعالى ومشاهدته في الدار الآخرة.

* * *

الضمير مرآة مجلوة صافية ترينا الحقَ تعالى كما لا يوجد مثيـــل لـــه في الترجمة عن الذات الإلهية، ولكن بشرط أن يجد الآذان التي تسمع صوته.

* * *

لكون الضمير إحساس الروح ورؤيته، كان على الدوام متجاوزاً للمكان منفتحاً على العالم الآخر. لذا عدت موازين الضمير متينة وصـــافية وبريئـــة براءة الملائكة.

* * *

عدد المفتين غير قليل، وكلهم يراجعون المـــصادر نفـــسها ثم يقومـــون بالإفتاء، والضمير مفت حاد البصر إلى درجة انه عندما يقوم بالإفتاء يكون دائماً بجانب الحقيقة ولاً يخدع في فتواه أحداً.

* * *

الضمير العام هو إدراك وحس وحدس السواد الأعظم، لذا كان خطؤه نادراً، ولاسيما أن كان الإلهام نفسه من منابع معلوماته ومكتسباته.

* * *

عندما يكون الضمير العام بمثابة حاكم فهو لا يخطئ ولا ينخـــدع، ولا يَسَعُ الجميع سوى الانقياد لأحكامه وقبولها والرضى به حكماً. وهذا يعـــني أنه يكون المرجع الأخير في بعض المسائل.

* * *

الوظيفة هي العمل الذي يأمر به الله تعالى، ويمثلها في الحياة أصـــحاب الضمائر السليمة كالأنبياء، فلا يبقى هناك مناص من قبولها، فاذا كان الحق

هو الحاكم المطلق، فالضمير أصدق مرآة له. قد تبدو صورها مضببة وغير واضحة أحياناً، إلاّ أن صورها في معظم الأحيان تكون واضحة.

* * *

النظام الذي يبدو في سلوك أي إنسان وفي تصرفاته ينبع من روحه وفكره المتسمين بالنظام. أما ما يبدو من لدنية في حركاته فلكون ضميره منفتحاً على العالم الآخر.

المعرفة من زاوية الحكمة

القراءة والمطالعة والمعرفة من أهم أغذية الروح، والحرمان منها حرمان خطير لا يمكن تلافيه.

* * *

بينما يقوم الأجانب بتدقيق كل شيء في بلدنا بدءاً من سهولها وجبالها والاستفادة من خزائننا في الفن والثقافة والعلم، لا نقوم نحن بأي بحث في منابع تراثنا العلمي والثقافي، ولا نقرأ -أولا نستطيع قراءتها- لذا فما علينا إلا البكاء على حالنا.(١)

* * *

يصعب في الحقيقة فهم اللامبالاة التي نبديها كأمة تجاه التراث الأدبي والعلمي الذي تركه لنا أجدادنا العظام، هذا التراث الذي شغف العالم أجمع ببحثه وتدقيقه.

* * *

الذين يقومون ببلبلة وتعكير أفكار الأجيال بالمعلومات التي لم يفهموها

---

(١) بعد قلب أحرف الكتابة في تركيا من الأحرف العربية إلى اللاتينية لا يستطيع أكثرية الشعب التركي والمثقفون قراءة كتبهم التراثية وآثارهم. (المترجم)

جيداً أو فهموها و لم يهضموها جيداً... مثل هؤلاء ليسوا ضارين فقط بل يمكن عدهم خونة.

* * *

المعاناة من أهم مصادر الإلهام.

* * *

كيان الأمة ووجودها ومجدها متناسب تناسباً طردياً مع عمق الثقافة والفن الذي تمتلكه تلك الأمة. والأمة التي خلفت في مختلف أرجاء الأرض أثاراً فنية تملك بعدد تلك الآثار ألسنة تقول: "أنا أيضاً موجودة".

* * *

الرفعة والقيمة بين الناس تكون بالعلم والعرفان، ويستطيع شخص وضيع وخسيس أن يكون غنياً. ولكن لن يستطع امتلاك الرفعة والشرف والمعالي.

* * *

مهما كثرت قراءة الإنسان ومطالعته ومعلوماته، فلا يجب أن يكون هذا الأمر باعثاً أو سبباً في التوقف عن المطالعة والقراءة والتعلم. فالعلماء الحقيقيون ظهروا من بين أناس عدوا معلوماتهم قليلة وغير كافية مع كونهم في بحث دائم ومتواصل.

* * *

عندما يبدأ الحق بالحديث يغضب الجهل، وينزعج التعصب أما العلم فيكون أذانا صاغية.

* * *

ليس من الصحيح أن يعد كل جاهل محروماً من المعرفة. فالجاهل الحقيقي هو الشخص المحروم من الإحساس بالأمر الصحيح. فمثل هذا الشخص جاهل وإن ملك ركاماً من المعلومات.

* * *

ليس العيش رؤية ومعرفة أو أكل وشرب، بل هو شعور وإحساس. فالذي يعرف يكون مفيداً. والذي لا يعرف يكون ضاراً. أما الذي يعرف قليلاً فضرره

أكبر. لأن الذي يعرف تماماً والذي لا يعرف أي شيء وان خُدعا في أحيان نادرة إلا انهما لا يخدعان. أما الذي يعرف قليلاً فيخدع كثيراً.

* * *

ما يمكن أن يُشرح ويُفهّم باسم العلم يعد مفهوماً، وما لا يمكن شرحه يعد غير مهضومٍ بعد بشكل جيد. ولذا فبينما يتركز الاهتمام على الشباب الذين لا يفهمون جيداً في المدارس نرى وجوب الاهتمام بوضع المعلمين أيضا.

* * *

إن لم تتحول المدارس بيد المعلمين الإكفّاء إلى ما يشبه المعابد فإن من العبث انتظار خلو السجون من المساجين.

* * *

عندما ينوي الإنسان القيام بعمل ما عليه محاولة معرفة كل ما يعود إلى ذلك العمل. وعندما يقتنع بانه يستطيع تنفيذه عليه ألاّ يقصر في التنفيذ.

* * *

على كل واحد أن يعرف عمله ومهنته جيداً، وعليه البقاء ضمن دائرة مهنته واختصاصه قدر الإمكان. ذلك لأن من الممكن ألا يكون الجميع ناجحين خارج اختصاصاتهم. فعلى الطبيب أن يبقى طبيباً وعلى المهندس أن يبقى مهندساً. فعلى الأستاذ ألا يكون طبيباً، وعلى الطبيب ألا يكون محامياً ولا يحمل على ذلك.

الشرف في لغة الحكمة

الشرف والعفة نتاج مبارك من الوفاء والعفة والإخلاص، وعندما يستعمل هذا المزيج مونة رابطة في البناء، فلا يمكن لهذا البناء أن يسقط من أي هزّة إلاّ نادراً.

* * *

العفة أسمى جانب عند الشجاع وأهم صفة عنده. أما أكبر نقيصة عنده وأسفلها فهي ألا يكون مبالياً في دواعي العفة.

* * *

أسمى قيمة عند المرأة ان تكون ذات عفة وشرف ودون أي لطخة. ومن البديهي أن الذين لا يبدون حرصاً وحساسية في مسألة الحفاظ على عرضهم وعفّة نسائهم لا يمكن أن يكونوا حريصين في الحفاظ على عرض أمتهم.

* * *

العفة والنبل شيئان مختلفان، فقد تكون الثروة أساساً للنبل وليس الشرف كذلك، فالفقر لا يعيب الشرف أبداً.

* * *

الشرف مقدس إلى درجة أن بعض الأمم تقوم بالقسم والحلف به ومن أنفس جواهر الفضيلة وأغلاها. والذي لا يعرف الشرف لا يمكن له ادعاء النبل والفضيلة.

* * *

الشرف جوهرة لا مثيل لها، لذا يجب الحفاظ عليها في أفضل محفظة، وعندما تصان بهذا الشكل تتضاعف قيمتها.

* * *

الذي لا يحافظ على عرض وشرف الآخرين مثلما يحافظ على عرضه وشرفه لا يمكن إئتمانه على أي شيء، ولا يمكن الثقة به.

* * *

كما تهرب الخفافيش من الضوء، يهرب اللادينيون من الدين، والجهال من العلم وعديمو الأخلاق من قواعد الأخلاق والذين لا يعرفون الشرف لا يرغبون به.

الكذب في نظر الحكمة

الكذب لفظ مظلم، يقود الإنسان –حالما ينكشف أمام الرأي العام آجلاً أم عاجلاً– إلى فقد اعتباره في الدنيا، والى جهنم في الآخرة.

* * *

الكذب رفيق المداهنة، والحقيقة رفيقة الجد وهي مستغنية. الكذب سخيف وأحمق. والحقيقة وقورة ومهيبة.

* * *

البلدان التي تسود فيها الحيلة والسرقة والكذب والإفتراء ينتشر فيها الخراب، وأهالي هذه البلدان فقراء وجنودها ميالون للانقلابات العسكرية.

* * *

مهما أراد الكذب الاختباء تحت أغطية مختلفة فلا يمكن أن يخفي نفسه عن أنظار الضمير العام. ولاسيما عن أنظار أصحاب الفراسة الذين ينظرون بنور الله.

* * *

عندما يكون الكذب رائجاً ويسود صوته في الساحات وفي الميادين فمعنى هذا أن لسان الحقيقة مقطوع.

* * *

الضمير العام يشبه بحراً. وهذا البحر يستطيع أن يجمع الكذب ويرجعه ويعيده إلى الساحل حتى وان نجح الكذب في الوصول إلى وسط هذا البحر.

* * *

هناك من يبصق في وجه الكذب والإنكار والمعاذير والرياء ويهينهم... ألا وهو الضمير.

* * *

الكذب والمظاهر الخادعة تكون دائماً صاخبة. أما الحقيقة والصدق فصامت وهادئ والبروق تصل إلى اهدافها قبل الرعود على الدوام.

الحكمة والفضيلة

الفضيلة تجلس على بساط بسيط بين الناس. أما الغرور فلا يكفيه أفخم الكراسي. فإن شبهنا الغرور ببئر معكوسة لها منظر القبة، نستطيع تشبيه الفضيلة بسماء هبطت نحو الأفق.

* * *

الجهل يؤدي إلى الغرور. والحكمة تؤدي إلى الفضيلة. الغرور لقيط غير شرعي للجهل، أما الفضيلة فابن شرعي للحكمة. الغرور نصير للاستبداد أما الفضيلة فنصيرة للحرية وللمساواة.

* * *

يتجول الغرور في وحدة قاتلة باحثاً عن الأنداد والأمثال... أما الفضيلة فهي بين الشعب وملؤها السعادة لأنها وجدت أمثالها وأندادها.

* * *

يقولون: "إن المعروف لا يكون بالقوة والإكراه". هذا صحيح فالعظمة أيضا لا تكون بالقوة والإكراه. فمثل هذه الأمور يعينها الضمير العام.

* * *

هناك أناس يعدون المعجبين بأنفسهم من "المتفائلين" وغير المعجبين بأنفسهم من "المتشائمين". لذا يقدرون الصنف الأول ويفتحون لهم صدورهم، ويكرهون الصنف الثاني ويحاولون مطاردتهم في كل مكان. أما الشيء الصحيح فهو مطاردة أمثال هؤلاء المغرورين من المعجبين بأنفسهم.

* * *

المتفائل يرى كل شيء حسناً، أما المتشائم فيرى كل شيء سيئاً. وكلتا النظرتين خاطئة. فالباحث عن الحقيقة يرى الحسن حسناً والسيء سيئاً.

المحبة من زاوية الحكمة

تعني المحبة الميل نحو كل جمال مادي أو معنوي. محبة الأشياء المادية جسمية وبدنية. ومحبة الأمور المعنوية تكون روحية ووجدانية. لذا فمحبة الجمال الظاهري تولد ألماً محضاً لأنه ليس خالداً. أما محبة الأمور المعنوية فخالدة وخالية من الألم.

* * *

الحصول على اللذائذ المتمناة يؤدي إلى القضاء على الأمل وعلى العشق. فالأمل والعشق هما جناحا الأرواح الباحثة، وهما معها طوال فترة البحث.

* * *

يعرف الأطباء تأثير المرض عن طريق بعض الأمارات. أما المريض فيحس بالمرض ويشعر به. لذا فلا يعرف المحبة الحقيقية إلاّ المحبّون، ولا العشق إلا العاشقون، ولا الجذبة إلا المجذوبون، ولا اللذة الروحية سوى العارفين... هذا هو علم الحال.

* * *

إذا كانت المحبة الموجودة في القلب حقيقية وصادقة تكون العداوة مجازية واسمية. أما إن كانت العداوة حقيقية فالمحبة تكون مجازية واسمية.

المطبوعات من زاوية الحكمة

المطبوعات ترجمان لمشاعر الأمة، ومرشدة للجماهير وناشرة للأفكار. أي نشر أفكارها ولكنها لا تكون في عهود الاستبداد إلا أسيرة أو مداهنة.

* * *

على كل محرر أن يكون متأدباً في كلامه وسلوكه، نزيهاً في كتاباتــه. وإلا أصبح سبباً لأضرار محققة في سبيل فوائد موهومة.

* * *

الأمم التي لا يستطيع فيها المحررون والمؤلفون تحرير أفكارهم المعبرة عن أحاسيس وأفكار أمتهم... مثل هذه الأمم أمم أسيرة.

* * *

حتى وإن كانت مؤسسة المطبوعات مؤسسة مفتوحة لجميــع الأفكــار الصحيحة منها وغير الصحيحة، إلا أن من الضروري تنظيمهــا حــسب متطلبات الأمة وحسب روح تلك الأمة.

* * *

على الجرائد وقنوات التلفزيون خاصة الابتعاد تماماً عن خدمــة أهــواء الأشخاص ومصالحهم والتوجه إلى هدف واحد وهو إرشاد الأمة.

* * *

كم من جماجم تركت للتفسخ في ظلمة القبور، صحبت معها إلى القبر كتباً عديدة لم تستطع كتابتها بسبب قوانين الحظر في عهود الظلم والاستبداد.

المعجزة والكرامة

الذين لا يؤمنون بالمعجزات لا يعرفون عظمــة الله إذن ولا يــدركون قدرته. والادعاء بان "القمر" لا يمكن ان ينشق بالمعجزة، هو ادعاء بان "الله لا يستطيع شق القمر". والذي يقول: ان الموتى لن يعودوا إلى الحياة، إنمــا يدعي بان الله عاجز عن إحياء الموتى.

* * *

الكرامة حدث غير اعتيادي يظهر لدى الأولياء، وهي بالتالي تؤيد معجزات النبي وتؤيد نبوته كذلك.

* * *

الكرامة هدية إلهية. يظهرها أخلاء الحق تعالى من الذين لم يدعوا النبوة. ولا يفهم هذا إلا من فهم الإنسان بحق.

* * *

مقام الولاية هو مقام الذين يحبون الله ويحبهم الله. وكما يمكن أن يعلي الحق تعالى عبيده المخلصين هؤلاء بإنعام والطاف كثيرة ويظهرهم بين الناس علناً، كذلك يمكن أن يخفي أمر بعضهم عن أنفسهم وعن الناس حتى محطتهم الأخيرة في الحياة مثلما يتم حفظ اللؤلؤة في صدفتها.

* * *

أصحاب المقامات السامقة من أمثال هؤلاء المتفوقين على الناس العاديين من ناحية الإدراك والشعور والفهم والمنفتحين على مواهب عالية وسامية، وأمثال هؤلاء يمثلون ظل حقيقة النبوة. والمسافة بين النبوة والولاية هي هذه المسافة.

* * *

الولي هو صاحب الحكمة، وبنسبة علو الحكمة وسموها على الفلسفة يعلو الحكيم على الفيلسوف... بل ان هذا العلو كبير إلى درجة لا تقاس.

الحـــق

الحق محبوب ومقبول حتى وإن كان مغلوباً على أمره، والباطل مكروه وغير مقبول وإن كان غالباً.

* * *

الحق جميل بذاته، وصاحب الحق قريب من القلب، وهو نظيف وطاهر وإن وقع في الوحل. وغير المحق غير طاهر وغير نظيف وان اغتسل بالمسك.

* * *

قد يتغير الشكل، وقد يتغير اللون، ولكن اللب أو الجوهر لا يتغير... والصيت والعنوان قد يتغيران ولكن الذات لا تتغير، وأكثر ما يخدع الناس هو تغير الشكل واللون والصيت والعنوان.

* * *

الذي يسحق الضعيف مغلوب وإن كان غالباً. والمغلوب هنا غالب إن كان الحق معه.

الوجه الحقيقي للدنيا

يرى بعضهم إن الدنيا عبارة عن مقدار من المال ومقدار من العافية. وهذا قد يكون صحيحاً للذين يرجعون كل شيء إلى المادة فيعتقدون أن الدنيا ما هي إلاّ ما يرونه ويشاهدونه ويعرفونه. ولكن الواصلين إلى الحقيقة يعرفون أن هذا وهمٌ ولا شيء سواه.

* * *

يبدو الذين يحاولون إفساد الدنيا أكثر عدداً وأقوى نفوذاً من الذين يحاولون حفظ نظامها. لذا فإن لم يكن هناك قوة معنوية تقوم بالتأثير على موازين القوى فمن الصعب توقع أي تحسن ملحوظ في الوضع الحالي في وقت قصير من جهة الخير والجمال.

السوء

الذين يعملون السوء على الدوام سينقلب هذا السوء حتماً عليهم في يوم من الأيام وإن لم يتدخل أحد لمنعهم من السوء... أجل! فإن المصير المحتوم للسوء المستمر هو الزوال عاجلاً كان ذلك أم آجلاً.

* * *

الشرور العارضة وإن بدت دائمية، إلاّ أنها مؤقتة. ومثل أي شيء آخر فعندما يحين وقتها ويأتي أجلها ستموت وتفنى. والشيء الوحيد الذي يدعو إلى الأسف والى الأسى انها عندما تذهب وتزول تأخذ معها بعض القيم الإنسانية.

الخير والشر

عمل الخير وظيفة من وظائفنا من وجهة نظر الدين والحكمة، وتصرف يستحق التقدير من زاوية الضمير. وعدم عمل الخير إثم من وجهة نظر الدين، واسفاف من وجهة نظر الحكمة، وعدم مبالاة من وجهة نظر الضمير. وقد يكون الخير دون فائدة، بل مضراً على نحو ما، ولكنه لا يكون شراً أبداً. لأن الشر على نقيضه تماماً.

الفناء

الكل تقريباً يعرفون أن القيامة قريبة، ولكن لا أدري كم منا يدرك أن جزءً من القيامة يقوم كل يوم.

* * *

لو استطاع الشباب حدس كم يفقدون من قيمتهم بعد ذهاب شبابهم ونضارتهم لما انفكوا من البحث عن الطريق المؤدي إلى الشباب الدائم الخالد.

* * *

كم من أمر يهتم به الإنسان ويقدره تقديراً كبيراً، ولكنه ما ان يموت حتى تفنى تلك القيمة وتصبح هباءً منثوراً. ولكن أعمال الخير التي قام بها، والأفكار المفيدة التي قدمها تبقى حتى بعد وفاته وتستمر وتعيش إلى الأبد.

* * *

نبضات القلب هي همسات لحن الموت الذي يبدأ مع الولادة.

البكاء والضحك

البكاء هو محاولة الأرواح الحساسة القيام بالتسرية عن نفسها وإطفاء النار المتوقدة في الضمير بدموع العين. ولكن تعال وانظر فإن معظم الناس يضحكون بدل أن يبكوا، ويبكون بدل أن يضحكوا.

* * *

عندما يشتعل الروح يشتوي الوجدان ويتقد، عند ذلك يبدأ الإنسان بالبكاء. في هذه الأثناء تهرع الدموع للنجدة فتطفئ لهيب الروح وأنا أعتقد بأن العلاقة بين عين الماء (أي النبع) وبين عين الإنسان هي هذه العلاقة.

التاريخ سلسلة من العبر

من الخطأ تكرر التاريخ على نفس النمط تماماً. ومع وجود التشابه فإن كل حادثة مقيدة بزمانها وظرفها. لذا فإننا لا نأخذ دروساً من التاريخ بل عبراً.

* * *

على الإنسان ألا يكتفي بقراءة الصفحات المشرقة واللطيفة للتاريخ فقط بل قراءة صفحاتها المخيفة والمرعبة كذلك لكي يتسنى له أخذ التحذير اللازم. وإلا بقي في أفكاره في مرحلة الطفولة.

* * *

لا يبقى أي شيء تطلع عليه الشمس وتغرب نضراً على الدوام.

* * *

ليست هناك امة بقيت في الذروة إلى الأبد.

الصبر

الصبر مثل عشب مر يهدئ الآلام... أي مع أنه يؤلم النفس إلا أنه يداويها في الوقت نفسه.

* * *

كل عسر يحمل يسرا، ولكن يجب إظهار التحمل في مدة الحمل هذه.

* * *

النجاح في الصبر وفي الثبات، وهما تؤامان في مظهرين مختلفين.

* * *

تتكون البحار من قطرات الماء. ولكن ليس بمقدور أحد تقصير المدة اللازمة لتجمع القطرات لتكوين البحار.

* * *

التأني أفضل طريق للتمني.

* * *

الأخطاء هي أكثر الموجودات في جعبة المتعجلين.

* * *

طريق الذروة يبدأ من قعر الوادي... طبعاً للصابرين.

* * *

إذا كان هناك شيء مبدأه سم، ومنتهاه عسل فهو الصبر.

* * *

عنوان التصرف الإيجابي حيال الحوادث هو الصبر. لذا عدّ الله طلب الصبر قبل موسمه محذوراً.

الأشياء الصغيرة التي تحمل على أكتافها أشياء كبيرة

عود ثقاب واحد يستطيع حرق غابة كبيرة يحتاج تكونها وظهورها إلى سنوات عديدة لا تحصى وتحويلها إلى رماد.

* * *

قد يستطيع جسم صغير بحجم حمصة إسقاط شخص عملاق على الأرض.

* * *

الشجرة الباسقة تنشأ من بذرة صغيرة. وينشأ هذا الإنسان الذي كرمه الله تعالى من ماء مهين، وتتكون الشمس من ذرات والبحار من قطرات الماء... إذن فكم من وسائل صغيرة تؤدي إلى نتائج باهرة.

الشورى

الشورى طريقة مهمة لإكساب العقل المحدود وللتفكير المحدود شمولية غير محدودة.

* * *

ليست هناك دولة غنية كالمشورة ولاهناك جيش قوي يضاهيها.

* * *

مُدح الصحابة بصفة أن ﴿أمرهم شورى بينهم﴾ وليس بصفات أخرى.

* * *

الشخص الأعقل الذي يتجاوز العاقل بعدة خطوات هو الذي يعطي أهمية وقيمة لأفكار الآخرين ووجهات نظرهم.

* * *

أفضل إكسير لإزالة صدأ الأفكار هو المشورة.

* * *

إن كان عقلان أفضل من عقل واحد فمن باب أولى أن تكون مئـــات العقول أفضل من عقل واحد. وإسم وعنوان إجتماع هذه المئات من العقول هو "المشورة".

* * *

الذين يثقون بعقولهم ولا يراجعون عقول الآخرين يُعدون من الحمقـــى وإن كانوا من النابغين، لأنهم بتركهم المشورة يحولون دون إكتساب القضايا عمقاً كبيراً.

* * *

الرضاعة عيب للشخص المسن أما فطمه فصعب.

* * *

غضب الشخص الذي لا يغضب، غضب مختلف.

* * *

الانزواء في التكايا من قوة الارادة، ويجد الفرد فيها نفسه. والانعزال هنا شيء أساسي ويلزم لذلك باطن ومظهر أجود. ولكن الإنسان الكامل يتطور في داخل المجتمع، ولا يمكن فهم العلاقات الإنسانية إلا داخل المجتمع.

المعاملة والسلوك

"إنما الدين المعاملة".

* * *

كما يرتبط المطر بوجود الغيوم. يوجد السلوك الجيد في القلوب المرتبطة بالله.

* * *

كما لا يمكن أن يكون لإنحناء العصا ظل مستقيم، كذلك لا يمكن توقع أي تصرف صحيح ممن لم يضبط و لم يعر أهمية لتوازن قلبه.

* * *

إن كنت بتصرفاتك قد حللت موضعاً ما في عيون الناس، فلا تتوقع ان يتغير موضعك هذا قبل تغيير وضعك.

* * *

ليس هنا ألذ من العافية، ولا أكثر ألماً من الحاجة إلى الآخرين. ولا أصعب من التدين. عندما تكون الظروف غير ملائمة.

* * *

كلام بلا عمل... وفقه بلا ورع... وعلم لا يوصل إلى الزهد والى الولاية... وصداقة دون وفاء، وحياة دون عافية... كلها سراب خادع.

* * *

تضامنوا كالأحباء وكونوا جسداً واحداً، ولكن في مجال المعاملات والأعمال تصرفوا وكانكم غرباء.

* * *

لا تصرف جهدك في تعريف نفسك... دع تصرفاتك هي التي تعرفك.

* * *

يقوم المؤمن بالعمل وهو يعلم أنه سيمر من رقابة الله تعالى.

* * *

كل شيء يمكن السيطرة عليه، عدا الطبع.

المضحي

همة كل شخص وشهامته تكون حسب درجة علوه، أما الشخص الذي لا يفكر إلا بنفسه فهو إما ليس بإنسان، أو هو مخلوق ناقص. والطريق المؤدي إلى الإنسانية يمر عبر تفكير الإنسان بالآخرين واستعداده إن اقتضى الأمر لإهمال نفسه في سبيل الآخرين.

* * *

على الإنسان أن يتصرف تجاه أخطائه كمدعي عام، وتجـــاه أخطـــاء الآخرين كمحامي دفاع.

* * *

الإنسان الناضج والصديق الصدوق هو الإنسان الذي يستطيع أن يقول للآخرين عند الخروج من النار أو عند الدخول إلى الجنة "تفضل".

* * *

الإنسان الحقيقي هو الإنسان الذي لا يدع إناء الآخرين فارغاً عنـــدما يملأ إناءه بالحليب، مهما كانت الظروف.

* * *

عليك أن تبذر ثم تمضي في طريقك، ولا يهمك من سيحصد.

الإنسانية أو المروءة

المعاملة التي تنتظرها من الناس، هي المعاملة التي ينتظرها الناس منك.

* * *

الإسراع في معونة الآخرين، أفضل دعوة موجهة للعناية الإلهية.

* * *

لا تنسَ أن تفرح أخاك ولو بابتسامة.

* * *

محبة الناس وإحساسهم بمحبتك نصف العقل.

* * *

منـــزلتك لدى الناس هي بقدر منـــزلتهم لديك.

* * *

الذي يصيح دائماً على من حواليه ويغضب، سيحصل على عكس مراده، إذ سينفض عنه أصدقاؤه ويفرح أعداؤه.

* * *

لا تنسَ بأن ما يفرحك هو ما يفرح الآخرين كذلك.

* * *

العاقل هو من يعرف كيف يستعمل قدرة وقوة المحيطين به لحسابه... أما الأبله فبدلاً من استعمال هذه القوة يجد السلوى في لوم الآخرين.

* * *

جرب تليين جانب من تخاف شره بمعروفك.

* * *

اصفح عندما تكون قادراً على العقاب، وبذلك يكون لصفحك قيمة.

* * *

لا تنسَ وجود إخوان لك وإن لم يجلسوا في حضن أمك.

* * *

عملك الخير هو السبيل لكي ترى الخير من الآخرين.

* * *

ما نعمله للآخرين من خير أو شر سيكون بذور ما سنجابهه في المستقبل.

* * *

الشخص المثالي شمعة تحترق على الرغم منه لإنارة سبيل الآخرين.

* * *

اللسان الطويل واليد القصيرة وان كانتا ملائمتين للثعبان، الا أنهما إن وجدتا في الإنسان انقلب ذلك الإنسان إلى ثعبان.

* * *

قيمة الصفح والعفو تتناسب طردياً مع القدرة على إنزال العقاب.

الحق والعدل

العدل أقوى من العديد من الأفواج الحربية الآلية.

* * *

حتى وإن كان الحق سيفاً منقضاً على رأسك، فلا تتردد في مد عنقك تحته.

* * *

يحق الحق عندما يجد من يعلمه ومن يتعلمه، ومن يمثله ومن يصبو إليه.

* * *

العدل رأسمال نافق في كل مكان.

* * *

العدل طريق القرب من الله تعالى. ولكن لأمر ما يرجح أكثـــر النـــاس الابتعاد عنه.

* * *

الحق سور الإسلام، والعدل بابه والسعادة داخله.

* * *

الخرائب التي يسودها العدل أفضل من القصور. والقصور التي يسودها الظلم أسوأ من الخرائب.

* * *

من كانت عقيدته الأخروية ويقينه قوياً، كان شعور الحق والعدل عنده قوياً ومتيناً.

* * *

من حارب الحق غُلب عاجلاً كان أم آجلاً.

* * *

عندما تقوم بقهر الآخرين لا تنس وجود قوة تستطيع أن تقهرك.

السر وكـــتم السر

السر منبع لقوة لا تقاوم، ومثل جيش لا يمكن هزيمته.

* * *

هناك أعمال يكون السر فيها مثل الخضر عليه السلام كلما كتمتها أتتك المعونة.

* * *

قلب الأحمق على طرف لسانه، أما لسان العاقل ففي أغوار صدره.

* * *

الذي يحبس لسانه، ينقذ نفسه من أسر كلامه.

* * *

احذر من إيداع سرك للأحمق... وهو لا يتردد في إفشاء سرك عنـــدما يكون قريبا منك ويعرفك

* * *

السكوت حكمة أيضاً، ولكن مثل هذا الحكيم قليل أو يكاد لا يوجد.

النتيجة والمصير

ليس المهم المظاهر المزخرفة للبداية... المهم هو الثمرة في النهاية.

* * *

المشاريع التي تقرر دون تفكير في العواقب تنتهي بالندامة في أكثر الأحيان.

* * *

الزبدة والعسل المقدمان إليك لكي يكونا وسيلة لإرغامك على تنـــاول الفلفل الحار والملح الأجاج في المستقبل هما أمرّ من السم.

* * *

الفرح الحقيقي هو الفرح في النهاية.

* * *

كم من شيء حُسب ضاراً فظهر انه مفيد في النهاية. وكم من شـــيء حُسب مفيدا ثم تبين انه ضار في النهاية.

* * *

قد تكون المرحلة الأخيرة للعسر المرحلة الأولى للانفراج واليسر.

النصيحة

النصيحة عمود الدين.

* * *

لو كانت النصيحة عبثاً أكان الله تعالى يرسل الرسل؟

* * *

النصيحة وسيلة مهمة للخير... وكل وسيلة للخير خير. وكل وســـيلة للثواب ثواب.

* * *

لكي يكون الناصح مقنعاً عليه أن يطبق نصائحه أولاً على نفسه ويعيش بها ويمثلها... وهذا على ما أعتقد هو السبب وراء تأثير النصائح بـــالأمس وعدم تأثيرها اليوم.

* * *

الذين بقوا تحت رحمة الأدلاء العميان... هؤلاء لو بقوا في أماكنهم بدلاً من السير وراء العميان لكانوا أقرب إلى الهدف.

* * *

الطبع اللين والكلمة الطيبة هما مفتاح القلوب.

* * *

إقناع الأذهان عن طريق الخلق والتصرف الجيد أكثر تأثيراً من الإقناع بالكلمات.

* * *

تكلم بليونة لكي تنفتح لك القلوب. كن دافئ القلب، لكي تتقبل الضمائر أفكارك. كن مخلصاً لكي يدوم تأثيرك.

* * *

عندما تبقى كلماتك معلقة في الهواء، قد يكون من المفيد تجربة القيام بعتاب لين لمخاطبك.

* * *

هناك خير أفضل من خير، وشر أعظم من شر... والعاقل والملهم هو الذي يعرف متى يختار وأي شيء يختار.

* * *

الواعظ الناجح هو الذي يرى الجماعة كلها، ويمسك بنبض الجميع.

العلم والجهل

لا يظهر اليوم عندنا مكتشفون ولا مخترعون... بل يظهر المقلدون. نحتاج إلى نفسية متمردة تقوم بتغيير كل شيء تقريباً. يجب أن يتغير كل شيء: الكتاب... المدرسة... ومن أجل هذا التغيير فإن البداية بالنقد هي الأساس.

* * *

العلم مرشد مهم للهداية، فإن استند إلى الوحي وتغذى به وصل إلى أبعاد تتجاوز الأرض والسماء، وحاز على قيمة لا تقدر بثمن.

* * *

الجهل أسوأ صديق. والعلم أخلص صديق.

* * *

عندما يتحد العلم مع الخلق اللين يصل إلى أعماق كبيرة.

* * *

عندما يغضب الجاهل يصرخ ويسبّ، أما العاقل فيقوم بالتخطيط لما يجب عليه عمله.

* * *

تقف الفضيلة على أسس ثلاثة هي العلم والحلم والعبادة.

* * *

إن لم يستند العلم إلى العمل فمصيره الذبول.

* * *

الحاجة هي العين الحادة للاستكشافات العلمية.

* * *

الفهم شيء، والمعرفة شيء آخر، وبدلاً أن تعرف ألف شيء فمن الأفضل أن تفهم شيئاً واحداً حق الفهم.

* * *

عوّد نفسك أن تقول: لا أعلم، لكي تتخلص من خجل قول: "لا أعلم" كُلَّ الوقت.

* * *

لو جرت مسابقة في "الفقر" مثلما تجري المسابقات الأخرى، لأصبح الجهل هو الفائز الأول فيها.

* * *

مع أن تصنيف العلوم ودرجها في الكتب شيء مفيد من زاوية حفظها واستعادتها عند الحاجة إلا ان هذا قد يصيب بالشلل ملكة الاستنباط والاستلهام لدى الإنسان.

الحسن والأحسن

الحياة نعمة إلهية، والنعمة الأكبر منها هي أن تعيش طليقاً من أساره.

* * *

أسعد إنسان هو الإنسان الذي يكون عمر آثامه قصيراً. والأسعد منه هو الشخص المصان من الآثام.

* * *

هناك إنسان ينحت الزمن لحسابه. وهناك إنسان ينحته الزمن طوال عمره.

* * *

أكبر هَمٍ في الشيخوخة والذي يضاعف الشيخوخة هو خوف الشيخوخة.

* * *

من الحسن أن تعادي الظلام. ولكن الأحسن هو القيام بإيقاد شمعة بدلاً من لعن الظلام.

* * *

بر صغير دائم أفضل من بر كبير لا يكون إلاّ من حين لآخر.

* * *

خطوة واحدة في سبيل حفظ الصحة أفضل من مئة خطوة من المعالجة.

* * *

ثدي واحد يدر اللبن أفضل من مئة من الأغنام الميتة.

* * *

عصفور واحد باليد خير من حمامة ليست باليد.

* * *

عزة وشرف المسلم يكمن في كونه مقتدياً برسوله محمد ﷺ.

النعمة والشعور بها

نعم الله تعالى على الإنسان لا تعد ولا تحصى. ومن أكبر هذه الـنعم أن يكون الإنسان شاعراً بها مدركاً لها.

* * *

الصحة نعمة لا يحس بها ويقدرها إلا من فقدها.

* * *

أكبر نعمة لله على الإنسان هي نعمة الإيمان. وحمد هذه النعمة وشكرها يكون بعدم عصيانه.

* * *

القيام بشكر كل نعمة من جنسها هو معرفة بقدر تلك النعمة.

* * *

كثيراً ما يكون الجاهل سعيداً ومرفهاً، وأرباب الحكمة في فقر وشـقاء... وهذا يبين لنا أن النعم لا تنـزل في الدنيا بقدر القيمة الذاتية للأشخاص.

* * *

ليس المهم معرفة سعر الأشياء... المهم معرفة قيمها.

* * *

إحسان الله تعالى بقدر عظمته، أما طلبه الحمد والشكر فبنـسبة قـدر الإنسان الذي وهبه من النعم والإحسان وبحسب منـزلته.

* * *

النعمة التي تبعد الإنسان عن الله هي أكبر نقمة وأكبر مصيبة.

الطمع

الطمع فخ يقلب الأسد فأراً. ومن يقع بين فكيه فلن يكتب له الخلاص.

* * *

الطمع وحش يصرع أشجع الشجعان ويطرحه أرضاً.

* * *

من لا طمع عنده يكون مطمعاً للجميع بعد مدة.

* * *

الحسد لدى الحساد، والطمع لدى الطماعين جهنم دنيوية لهم.

* * *

الطمع طوق أسر حول عنق الإنسان.

* * *

الحاجة عثة تقرض شعور الحياء، ولاسيما أن أضيف لها الطمع.

* * *

يسلم الإنسان روحه بين ذراعي من كان مفتوناً به.

الإثم والتطهر

إن كان الإثم فساداً في الفطرة وإنحرافاً عنها، فالندم والتوبة هي الرجوع إلى الفطرة.

* * *

الإثم الذي أحدث صدأً في القلب هو مثل فيروس متسلط على البـــدن، فلا يلبث –عاجلاً أم آجلاً– ان يُشعر به.

* * *

سوء الظن إما مرض عقلي أو درن قلبي. وطريق الخلاص منه هو انتباه الإنسان لآثامه وأخطائه الشخصية.

* * *

لكي نخرج أنفسنا من الحفر التي وقعنا فيها نتيجة إهمالاتنـــا، علينـــا أن نتلافى هذه الإهمالات.

* * *

المشغول أبداً بأخطاء الآخرين وعيوبهم، يبقى العمر كله مقترفاً للعيوب.

* * *

يقال: لكل جواد كبوة، ولكل كريم نبوة، المهم أن يرجع الإنـــسان إلى نفسه بعد كبوته.

* * *

القول: "سافعل هذا غداً" تعبير آخر عن عدم وجود الإرادة.

* * *

تنمو أكبر الآثام في مستنقع الشهوات... والسيطرة على الشهوة هـــو أفضل سيطرة.

* * *

الشعور باللامبالاة تجاه الإثم، هو أكبر إثم.

* * *

لا تغتر عندما ترى عدم أخذ الله بالعذاب... تذكر أنه يمهل ... تذكر هذا وارتجف.

* * *

المؤمن الحقيقي هو المرتبط على الدوام مع الله تعالى، والآثام شـــرارات ضارة تقطع هذا الارتباط.

* * *

إن كان بيتك من الكريستال الخالص فلا ترمِ حتى قن الآخرين بحجر.

* * *

إن لم تكن الشجرة يابسة، فإنها تستطيع الشعور بالربيع.

الوعد

الأولى أن تنجز وعدك مرة واحدة بدل أن تعد ألف مرة.

* * *

إنجاز الوعد من لوازم الإنسان ومن لوازم المعرفة الإنسانية.

* * *

الأرض التي تطأها الأقدام في الرواح والمجئ لا تنبت شيئاً. والإنسان الذي لا هم له سوى الرواح والمجئ لا خير فيه.

* * *

إظهار الاهتمام بإيفاء الوعد من علامات الإيمان. والرجوع عن الوعد من علامات النفاق.

* * *

هناك من الناس من يعيشون العمر كله وهم يحاولون الالتزام بالعهود التي قطعوها على أنفسهم. وهناك من يعيش وهو ساهٍ عن مثل هذه العهود... وهنا يتميز المؤمنون عن المنافقين.

* * *

لا تقل: "وعد فأخلف"... تذكر وعودك التي أخلفتها.

لا تعتب على أحد قائلاً: "لم يمد يد المساعدة الإنسانية"... بل تذكر فرص المساعدات الإنسانية التي لم تستغلها.

الاحتياط

حتى وإن صعدوا بك إلى السماء فلا تنس بان الأرض أكثر أماناً. فالذي يسقط من الطائرة يتمزق إرباً، ولكن لا يحدث هذا لمن هو فوق الارض عند سقوطه.

* * *

يجب ألا يتم التخلي عن الإنصاف أبداً ان أريد الوصـــول إلى أفكـــار سليمة وإلا حدثت جروح لا تندمل وكسور يصعب جبرها حتى وإن تَـــمَّ التصرف بعد ذلك بعقل وتدبير.

فكرة الاتفاق

الكل يريد التسليم بفكره ويرغب في إقبال الناس إلى جبهته، ولا يريـــد السلم مع الآخرين. بينما يدعو الله تعالى للدخول إلى السلم كافة.

* * *

إن لم نستطع الاتفاق فعلى الأقل لنتجنب الوقوع في الخلاف، أو دعونا لا نضخم خلافاتنا.

إلى جنود الإرشاد

قام رسولنا ﷺ بأداء الحج مرة واحدة. ولكنه قضى كل عمره في التبليغ والإرشاد.

* * *

من لا يعمل حسب ما تقتضيه أفضال الله عليه واحسانه يكون قد جفف جميع منابعه.

* * *

بعض قطرات الدموع قد تكون وسيلة لفتح قلوب عديدة.

* * *

ليس الكبير من ينجز الأعمال الكبيرة ويضع الخطط الكبيرة. بل هو الذي يهدف إلى نيل الرضا الإلهي ويكون مظهراً لأن يقول له الله تعالى: إنني راضٍ عنك.

* * *

إياك أن تؤجل موسم بذر البذور إلى موسم الحصاد، وإلا ذهبت جهودك هباءً في كلا الموسمين.

* * *

تصرفنا في أرض الله، يشبه التصرف بالأراضي الأميرية.

* * *

إن كانت لديك بيضات وفراخ كثيرة فلا تضع جميعها في سلّة واحدة.

* * *

من الضروري لكل إنسان مؤمن أن يضع إيمانه على أساس من العمل. وعندما يوثر إيمان العمل هذا على مشاعر الإنسان يكون موجهاً لسلوكه وتصرفاته.

* * *

عندما تتوقف الخدمات الإيمانية تبدأ البلايا بالقدوم.

* * *

عندما تبدأ الأخطاء بإزعاج الإنسان، فهذا يعني أنه بدأ يميز بين الثواب والإثم.

* * *

الرفاه عدو للنجاح. ولا يتم نجاح المسلمين إلا إن عاشوا بنمط العيش البسيط "للكوماندوز".

* * *

المهم في الدعوة ان يكون الموضوع المتناول مقترناً بالإخلاص وحسن القبول. ولا يحاولن أحد أن يقوم بالدعوة لأشخاص هم أعلى منه مستوى، لأن ذلك قد يولد رد فعل سلبي. فعلى الإبن ألا يقول شيئاً لوالده ولا التلميذ لاستاذه ولا العامل لمعلمه وعدم قبول ابي طالب لدعوة النبي ﷺ موضوع يجب الوقوف عنده والتمعن فيه.

* * *

مع أن التدبير لا يغير القدر، إلا أنه ينقذ الإنسان من التهجم على القدر.

* * *

حسن الظن شيء، وحسن الظن وعدم الثقة شيء آخر... وأرباب الفراسة يستيطعون تعيين مكان كل واحد منهما.

* * *

لا يمكن التضحية بالأب والأم لأي سبب من الأسباب. ولكن إن قاما بمنع الخدمة الإسلامية، عند ذاك لا يمكن إطاعتهما. وعدا هذا الأمر فإن إطاعة الوالدين تجلب البركة لحياة الأولاد.

* * *

يجوز اعطاء الهدايا إلى الأشرار الذين لا يعرفون في حياتهم سوى اقتراف السوء وعلينا تذكر الحكمة القائلة:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم　　　فطالما استعبد الإنسان احسان

المؤمن رمز للأمن والثقة في الأرض

على الإنسان ألا يناقش والده وإن كان محقاً. فصفة الجلال موجودة بشكل جزئي عند الكل. فالغضب غير مقبول. والإنسان المتأدب بالأدب المحمدي يكون وقوراً تجاه الكفّار متواضعاً تجاه المؤمنين.

* * *

إن كان لابد من قراءة الجرائد والمجلات التي تهاجم الإسلام فيجب قراءتها بحذر وتمعن.

* * *

الشيطان يغوي من لم يكرس نفسه للدعوة. فمن لا يقم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يستفد من بركة الوحي، ولا تصله نسمات الإلهام أبداً. قد يقومون بتأليف الكتب ولكن هذه الكتب تكون دون يمن ودون بركة ومجرد كتب سوداء. بينما نشاهد نسمات الإلهام لدى القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لذا علينا أن نقرأ ونفكر ونحاول إيصال وإفهام كل شيء للجميع وبهذه الطريقة فقط نستطيع أن نبقى احياءً بأرواحنا.

* * *

على كل مرشد أن يكون رضا الله تعالى غايته، وألا يكون أي طلب أو فكر دنيوي هدفاً له. يجب أن يكون شعار المرشد: "لو مر طريقي يوماً على جهنم لبحثت لأجد هناك من أبلغه الحق والحقيقة". هذه هي صورة رجل الدعوة الذي نحتاجه في عصرنا الحالي.

* * *

الأشخاص الاقزام -من ناحية قيمتهم الذاتية- يحاولون على الدوام احاطة أنفسهم بافراد صغار النفوس وباهتي الشخصية. وهم يظنون أنهم بهذا قد يبدون أعلى ممّن حولهم.

التوحيد ومحبة الله

عند الكلام عمّا يجول في النفس لا تنظر إلى المتكلم، بل إلى الداعي للكلام، وقل: "إن الله هو الذي أنطقه". ومثل هذا الطراز من التفكير يكون خالياً من الخطأ ومن الخطر كذلك.

* * *

أجمل حب لله هو محبة الله المحاطة بمخافته تعالى.

* * *

ما أسمى هذه المرتبة التي أنعمها الله تعالى علينا. عندما يسر وسمح لنا بمحبته.

* * *

لقد ثبت بالآف من التجارب بان الكثير من الطرق التي حسبنا أنها توصل إلى الهدف تحطمت وتناثرت وأصبحت هباءً منثوراً. لذا ما علينا إلاّ التشمير عن الساق والعمل متوكلين على الله.

* * *

من يستند إلى الله يعد حياً حتى وإن مات ورحل لأنه يعد حياً بانتسابه إلى الحق تعالى.

الجوامع ومهماتها

كانت الجوامع حتى في أسوأ الظروف الأماكن التي تتناول فيها المسائل القرآنية وتتذاكر.

الجوامع أماكن مباركة للعلم وللعرفان وتشبه المدارس في مختلف مستوياتها.

* * *

الجوامع أبنية سماوية يجري فيها الذكر والفكر بصورة حيوية بجانب أداء مراسيم العبودية.

* * *

كانت الجوامع في عهود معلومة مجالس للشورى بين رجال الدولة.

* * *

من الصعب التعبير عن المكاسب التي حصل عليها الإنسان جراء بحث ومناقشة حتى الأمور الدنيوية في المعابد، أي في الأماكن التي تظلها العناية الإلهية.

* * *

كأن الجوامع أماكن للتعليم السماوي التي تنظم فيها حياة المؤمنين.

رجل الدعوة

ليس من الضرورة لرجال الدعوة أن يكونوا على الدوام من القادة.

* * *

سلوك رجل الدعوة ثابت لا يتغير سواءً أكان منتصراً أم مغلوباً.

* * *

إن لم تتم التربية المتأنية الصابرة المنضجة في دور الأرقم فكل شيء لا يعدو أن يكون خيالاً خادعاً.

الجنة

ليست الجنة دار رقي أو دار تدنٍ. ربما كانت دارا لإغناء الأذواق الروحية وتعميقها.

صدمة الغرب

أحدثت الثورة الصناعية أوّل صدمة في العالم الإسلامي... كانت هذه شبيهة بلعبة القط مع الفأر بعد إحداث صدمة مرعبة عنده... أجل! بدءاً من ذلك التاريخ وحتى اليوم أحدث الغرب صدمة في العالم الإسلامي وبدأ اللعب به.

الوسيلة والغاية

لا يمكن الوصول إلى الحق بوسائل باطلة. يجب أن تكون الوسائل المستعملة وسائل حق.

وخدع الإنسان

لو كنت كاتباً لسيناريو لكانت أوّل جملة في السيناريو هي: (...وخُدع الإنسان).

مشعلة البرزخ

صلاة التهجد مشعلة في يد الإنسان ضد ظلام البرزخ. ثم ان كل صلاة من الصلوات الخمسة تنير نقطة مظلمة لدى الإنسان مضيئة أجزاء معينة من الزمان. لولا الصلاة لما كان بإمكان الإنسان السير في طريق الدين ولما كان بإمكانه الاستقامة على الحق. وكان رسولنا ﷺ إذا فاتته صلاة التهجـــد في الليل قضاها في النهار وذلك لكي يعطي لنا درساً في وجوب عدم ترك أي فجوة في حياتنا.

قطوف

من طلب ما يريده من الله فلن يبقى محروماً

* * *

من اعتمد على الله كان حياً لا يموت.[١]

* * *

حتى وإن لم تقم بالتعرض لمن أصبح هدفاً لقهر الله، فإن الله سينتقم منه في الوقت الملائم.

* * *

(١) المراد هنا المعنى المجازي للموت والحياة. (المترجم)

الحياة سر إلهي لا يعرف ماهيتها سوى من ألف الأسرار الإلهية.

* * *

ما يعمل المؤمن من عمل إلا وهو يعرف أن الله يراقبه.

* * *

عدم تذكر الموت يدل على صدأ القلب. أما الخوف من الموت فلقلة اليقين.

* * *

لا صديق صدوق للأناني، ولا راحة لضميره.

* * *

من تدخل في كل شيء لا يسلم من التهمة.

* * *

حسن الجوار للجار.

* * *

لا يعطى للثعالب وظيفة حراسة بيوت الدجاج.

* * *

حتى إن لم يغير التدبير القدر، إلا انه ينقذ الإنسان من لوم القدر.

* * *

ليس من اليسير على كل لبيب إرضاء كل الناس.

* * *

الحسنات درجات في مرآة الروح... وكذلك السيئات.

* * *

إن أكرمت نفسك أكرمك الناس.

* * *

نبضات القلب هي لحن الموت البادئ مع الولادة.

* * *

الذين تخلوا في حياتهم عن الجد لا يملكون حياةً قلبية... لذا فبكاؤهم كذبة أخرى.

* * *

الجماعة نعمة خاصة من نعم الله تعالى لا يحصل عليها الفرد مهما كان عظيماً.

* * *

الصديق الحقيقي هو من يعينك على نوائب الدهر، وليس الذي يهز رأسه على الدوام مؤيداً لك.

* * *

الحقد يصم ويعمي ويجرد من القلب.

* * *

الفلسفة التي لا تستند إلى الإلهامات الإلهية فكر زائف.

* * *

المدعون للرحلة وراء الأفق يُختارون من بين المتجولين في وقت السحر.

متفرقات

الأنبياء كالجبال بين الناس، فكما أن الجبال ضرورية لثبات الأرض واستقرارها ولتلطيف الجو وتصفيته وعنصر أمن، كذلك الأنبياء بين الناس، لذا ذكرا معاً في أحيان كثيرة. فالنبي نوح ﷺ مع جبل "جودي"، والنبي موسى عليه السلام مع جبل طور، والنبي محمد ﷺ مع جبل حراء... كل هذه الأمثال إشارات وإيماءات في فتح فرجة بين أستار هذا السر.

* * *

العقل لمن لم يزين نفسه بالإيمان ألة مزعجة.

* * *

الإحساس والصفاء نتيجة للحياة القلبية.

* * *

الشاعر شاعر منذ ولادته. فامرؤ القيس لم ير مدرسة، وكان أنشتاين يهرب من المدرسة، لأن تفكيره كان مختلفاً، وكانت درجات نيوتن في الرياضيات ضعيفة غير أن نظرياته مؤسسة على الرياضيات. أما نحن فنقوم بخلط ما هو موجود في قدور غيرنا بمعرفتنا.

* * *

سيقوم المتعصبون بتكسير وتخريب كل شيء... إلاّ الذين يطيعون دون قيد أو شرط.

* * *

المؤمن رمز للأمن وللثقة على الأرض.

* * *

معاناة الألم نبع صافٍ للإلهام.

الدعاء

الدعاء غذاء الروح. ويجب إعطاء هذا الغذاء للروح دون انقطاع.

* * *

الدعاء سحر يمنح الارادة جناحين. ولا يفهم سر هذه القوة إلاّ المداومون على الدعاء.

* * *

الدعاء يجتاز الأسباب الظاهرية، وهو إعلان ثقة بقدرة الله تعالى من جهة والضعف البشري من جهة أخرى.

* * *

أخطر فيروس للدعاء هو الاعتقاد بتأثير حقيقي للأسباب. والروح الذي تلوث بهذا الفيروس يحتاج إلى علاج إضافي.

* * *

أفضل الأدعية في زمن الشدة، هي الأدعية التي قيلت في أثناء الرخاء والأمن.

* * *

اللهم زدني ثقة بك وبدعائي المتوجه إليك، واجعل رعــايتي للأســباب وقيامي بها شعوراً بأداء الوظيفة.

* * *

اللهم! لا طاقة لي لا بعذابك ولا بحرماني من رحمتك.

* * *

اللهم إن بعدت عنك جحوداً مني فحالي تنطق باني لن أستطيع شيئاً من دونك. فالطف بي، لا بدرجة جحودي بل بدرجة حاجتي إليك.

* * *

والحمد لله أولاً وآخراً.

فهرس

تمت

صدر للمؤلف الكتب الآتية باللغة العربية

١. النور الخالد محمد ﷺ مفخرة الإنسانية (مجلدان)

٢. سلسلة النور الخالد (٧ أجزاء)

٣. القدر في ضوء الكتاب والسنة

٤. أسئلة العصر المحيّرة

٥. روح الجهاد وحقيقته في الإسلام

٦. طرق الإرشاد في الفكر والحياة

٧. أضواء قرآنية في سماء الوجدان

٨. الموازين أو أضواء على الطريق

٩. ترانيم روح وأشجان قلب

١٠. ونحن نقيم صرح الروح

١١. حقيقة الخلق ونظرية التطور

١٢. التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح

www.ar.fgulen.com

المَوَازِينُ أوْ أضْوَاءٌ عَلَى الطَّرِيق

- افتح صدرك للجميع... افتحه أكثر ما تستطيع... ليكن كالبحر... لتمتلئ بالإيمان وبمحبة الإنسان... لا تبق خارج اهتمامك أي قلب حزين لا تمد له يدك.

- ادفع السيئات بالحسنة، ولا تهتم كثيراً بالسلوك المفتقر إلى الذوق، فكل إنسان يعكس طبيعته وأخلاقه بتصرفاته وسلوكه. أما أنت فاختر لنفسك طريق المسامحة، وكن كريماً عالي النفس حتى أمام الذين لا يعرفون قواعد السلوك والخلق.

- أهم ما يميز القلب الذي يهتز بالإيمان هو أنه يحب الحب ويعادي العداوة... أما الذي يكره الجميع وينفر منهم فهو إما شخص سلم قلبه للشيطان أو هو شخص مريض... أما أنت فليكن شعارك هو حب الإنسان والإنسانية.

- أبطال المحبة فقط هم الذين يستطيعون إنشاء عالم المحبة والنور والسعادة في المستقبل... أبطال المحبة على شفاههم بسمة المحبة، قلوبهم عامرة بالمحبة، نظراتهم تشع بالمشاعر الإنسانية، يغمزون للكل غمزة محبة.. ويرون في شروق الشمس وغروبها وفي بريق النجوم وخفوتها رسائل محبة.

